الإتحاد الإشتراكي العربي
منظمة الشباب الإشتراكي
محافظة القاهرة

البرنامج الثقيفي
لأعضاء
منظمة الشباب الإشتراكي

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

تقديم

مع المرحلة التاريخية والمصيرية التى نمر بهـا .. والمتمثلة فى تحقيق ازالة آثار العـدوان والحفاظ على مكاسبنا الثورية ، واستمرارا للمسيرة الاشتراكية ..

وتطبيقا لوجود برنامج تثقيفى لأعضـاء منظمـة الشـباب الاشتراكى بالقاهرة ، كجانب رئيسى من خطة العمـل السـياسى المقرة من أمانة الاتحاد الاشتراكى العربى بالقاهرة ..

وتأكيدا لأهمية وضرورة التوحد مع الخط الفكرى والعمـل التثقيفى فى هذه المرحـلة التاريخية ، والذى يصـدر عن التنظيم السياسى القائد ..

لهذا فلقد أخذ فى الاعتبار أن هذا البرنامج التثقيفى لأعضاء منظمة الشباب فى القاهرة بالضرورة لابد له أن يرتكز أساسا على البرنامج المركزى وبعض المحاضرات التى أصـدرتها لجنـة الثقافة والفكر والاعلام باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ، وحتى يتحقق هذا التوحد الفكرى مع عدم اغفال خاصية العمل فى بعض المجالات التى تتواءم مع طبيعة العمل فى منظمة الشباب الاشتراكى، فلقد أضيف على ما سبق أساسا بعض الجوانب البسيطة التى تعطى الوضوح للشباب حول أهداف منظمتهم واسلوب العمل السياسى بهـا ..

البـــرنـــامج

* حول أهداف وواجبات منظمة الشباب الاشـــتراكى ، فى الفترة الانتقالية ..
* محاضرة : الصراع العربى الاسرائيلى فى اطاره العالمى .
* محاضرة : عدوان يونيو ٦٧ ـ مقدماته وأهدافه .. أشكال ووسائل النضال لكسب المعركة ..
* محاضرة : حول قضايا التغيير والمعركة والتحول الاشتراكى .
* محاضرة : المنهج العلمى فى التحليل .
* محاضرة : المفاهيم والأسس والمهارات الرئيسية للعمل السـياسى فى جوانبه المختلفة ..
* محاضرة : العلاقة بين الدين والعلم والتطور .

حول أهداف وواجبات
منظمة الشباب الاشتراكي
في الفترة الانتقالية

ان الشباب فى كل مجتمع يمثل عصب الحياة ، وعنصر الاستمرار ودعامة المستقبل وتعمل أغلب الدول على رعاية هذا الشباب وتربيته من خلال تنظيمات خاصة له ، تتيح الفرصة أمامه لكى يكسب الاعداد والصقل الكافى ليكون عنصرا بناء فى المجتمع ٠

ويتجلى ذلك بالذات فى المجتمعات الاشتراكية التى تعمل كل منها على بناء تنظيماتها الشبابية ضمانا لاستمرار البناء الاشتراكى وتدعيمه عن طريق اتاحة الفرصة أمام الشباب للاعداد العقائدى وممارسة تجاربه الذاتية عن طريق العمل الميدانى كى يصل الى بناء شخصيته بناء متكاملا ، بما يضمن له تيارا دائما من القيادات الشابة الصالحة ، والحاجة الى وجود التنظيم الشبابى واستمراره ضرورة ترتبط ببناء المجتمع الاشتراكى واستمراره ، وتصبح هذه التنظيمات رمزا لاستمرار الثورة وتحقيق التقدم ٠

ويتحدد دور هذه التنظيمات فى أنها معهد اعداد للشباب ، وافراز القيادات اللازمة لمد التنظيمات السياسية التى تقود العمل الوطنى ٠٠ ودورها بذلك لا يلغى أو ينافس أو يكرر دور هذه التنظيمات ٠ كما أن هذه التنظيمات الأخيرة لا تستطيع أن تستغنى أو تحل محل التنظيمات الشبابية وذلك لضمان الاستمرار والتجديد ووجود المنبع الدائم لتوفير قيادات جديدة بصفة مستمرة ٠

ومنظمة الشباب الاشتراكى هى التنظيم السياسى لشباب الجمهورية العربية المتحدة ، الذى يعمل على اعداد وتنمية قدرات الشباب عقائديا وفكريا ونضاليا لضمان استمرار الثورة والوصول بالتحول الاشتراكى الى أهدافه المرتقبة والذى يعمل على توجيه قوى الشباب للمشاركة فى ازالة آثار العدوان ٠

ولقد كان الانطلاق فى بناء المنظمة منذ البداية تحقيقا للهدف الذى أعلنه الرئيس المناضل جمال عبد الناصر حينما قال :

« ان المهمة الأساسية التى يجب أن نضعها نصب عيوننا فى المرحلة القادمة هى أن نمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية ، والا فان ما صنعناه يهدد بأن يتحول مهما كانت روعته الى ثورة لمعت ثم انطفأت ، الى بداية تقدمت ثم توقفت ٠

واذا تأخر وصول هذا الجيل بأقل من الاستعداد المطلوب للمهمة الكبرى فسوف تكون هذه مسئولية جيلنا الذى يسجل على نفسه أن عرف كيف يبدأ ولم يعرف كيف ينتهى » ٠

وقد أصدرت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى قرارها فى عام ١٩٦٦ بتشكيل المنظمة اعلانا لممارستها نشاطها فى اطار التنظيم القائد ٠

ولقد مرت المنظمة بعدة مرحل منذ قيامها ، حتى كانت نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ ، التى ألقت كثيرا من ظلالها الكئيبة على العمل السياسى وتنظيماته المختلفة فى بلادنا ، الا أن هذا الوضع لم يكن ممكنا أن يستمر لفترة طويلة • اذ بعد وقفة سريعة لاعادة النظر فى مجالات عملنا الوطنى فى الداخل والخارج اتضحت الحاجة الى تغيير فى بعض أساليب حركتنا وميادين عملنا •

ولقد كانت عملية اعادة بناء التنظيم السياسى القائد « الاتحاد الاشتراكى العربى » ديمقراطيا بالانتخاب من القاعدة الى القمة اشارة الى ضرورة العمل على اعادة بناء التنظيم السياسى للشباب ليتمكن من استئناف دوره التاريخى فى تعبئة جهود الشباب •

وفى اعادة البناء ، فان المنظمة لا تأتى من فراغ ، وانما أمامها تجربة الماضى • كان لابد أن تقيمها وتستخلص منها أبرز الايجابيات لتتزود بها ، واستجلاء جميع السلبيات لنبذها عن البناء •

وليست اعادة بناء المنظمة عملية مستقلة بذاتها ، معزولة عن سواها ، وانما هى تأخذ حجمها وجوهرها الحقيقى حين تتدرج فى مجمل ظواهر المجتمع ، تتفاعل معها ، تتأثر بها وتؤثر فيها • ومجتمعنا الآن يعيش مرحلة الاعداد الثورى للمعركة ، ومن هنا فان الاعادة لبناء التنظيم الشبابى تهدف فى الدرجة الأولى الى تعبئة جهود الشباب من أجل المعركة واستمرار التحول الاشتراكى •

ولقد كان المدخل الطبيعى لممارسة اعادة البناء هو الانتخابات المباشرة غير أنه لما كانت نتيجة الانتخابات تتقرر بمدى ظروف المجتمع الموضوعية وظروف الشباب الذاتية ، فلقد حددت فترة انتقالية لمدة سنة يتم فيها انضاج هذه الظروف حتى تصبح قابلة لافراز القيادات الأكثر شعبية وكفاءة وثورية والتزاما بأهدافنا الاشتراكية وآمال جماهيرنا الشعبية وقيادتنا الثورية التاريخية المناضلة متمثلة فى الزعيم البطل المعلم المناضل عهد الناصر

سمات المرحلة الانتقالية :

كان ضروريا ازاء الظروف التى تواجه المنظمة فى مرحلة اعادة البناء أن تمر بفترة انتقال لها ملامحها المميزة ، ولها لائحتها التى تنظم حركة الشباب خلال تلك المرحلة •

(أ) الأهداف :

١ ـ فتح باب تجديد العضوية لأعضاء المنظمة القدامى الراغبين فى المساهمة الثورية والمشاركة فى واجبنا المصيرى المقدس نحو ازالة العدوان وتحقيق النصر ، هذا مع السماح لدخول دم جديد عن طريق عضوية منتسبة تغذى التنظيم وتدعمه •

٢ ـ الاعداد والتربية السياسية والتنظيم لهذه الاعداد ولتلك الطاقة الشبابية المتمثلة فى شباب قوى الشعب العاملة ☜ المؤمن بالقيم الديمقراطية ••

المتمسك بمبادىء الثورة والملتزم بقيادتها المناضله على طريق العمل السياسى فى اطار التنظيم الفائد فى تحقيق الحرية والاشتراكيه والوحدة .. والحاشدة نفسها فى خدمة المعركة وتحقيق النصر .

٣ ـ تنظيم جهود الشباب لتحقيق الأهداف الثورية للمجتمع من خطة تنمية أو تكليفات التنظيم القائد ـ وأيضا السعى الايجابى لحل مشكلات الشباب وتنميه مهاراته وقدراته بما يحقق بناء الشخصية المتكاملة للشباب العربى الثورى بجوانبها المختلفة .

٤ ـ ضمان وجود واستمرار النبع الدائم الذى يمد التنظيم القائد بالقيادات المستمرة لحمل الأمانة ومواصلة التقدم بها حماية للثورة الاشتراكية ومنجزاتها والنضال من أجل استمرارها .

(ب) المبادىء التنظيمية :

يعتمد أسلوب العمل داخل التنظيم على الديمقراطية والولاء التنظيمى وفقا للمبادىء الآتية :

١ ـ الالتزام التنظيمى ويقوم على الأسس التالية :

(أ) النقاش الحر والحوار الفكرى العميق داخل كل مستوى تنظيمى حتى يتخذ القرار فيصبح ملزما .

(ب) التزام الأقلية برأى الأغلبية والدفاع عنه أمام المستويات الأدنى حتى اذا كان لا يمثل رأيها .

(ج) التزام المستويات الأدنى بقرارات المستويات الأعلى .

٢ ـ القيادة الجماعية :

ان جماعية القيادة عاصم ضد الفردية والتكتل وتأكيد للديمقراطية على أعلى المستويات .

٣ ـ النقد والنقد الذاتى :

يجب أن يمارس على أوسع نطاق بجرأة وشجاعة داخل الاطار التنظيمى تطويرا للعمل وكشفا للأخطاء والنواقص وتلافيا لها ، وصولا للوسائل الصحيحة نحو تحقيق الأهداف .

(ج) بالنسبة للبناء التنظيمى :

البناء التنظيمى للمنظمة ـ ويتدرج من :

١ ـ الوحدة الأساسية ، وتضم اعضاء المنظمة داخل مقر العمل أو الحى السكنى .

٢ ـ لجنة القسم أو المركز .

٣ ــ مستوى المنطقة ٠

٤ ــ لجنة المحافظة ٠

٥ ــ المستوى المركزى ٠

(د) العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى العربى والمنظمه :

المنظمة هى الجناح الشبابى للتنظيم القائد ، وهى تنظيم له مستوياته القيادية المتدرجه وقيادته فى خلال الفترة الانتقالية تتمثل فى لجنة الشباب المتفرعة من لجنة التنظيم باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى وهى تقوم بوضع أسس الخطة العامة للنشاط الشبابى ومتابعتها ٠

ويتم التنسيق فى العمل بين المنظمة والتنظيم القائد ، بما يحقق الاتصال الرأسى بين كافة المستويات القيادية داخل التنظيم (المنظمة) وفى نفس الوقت يتم اتصال أفقى بين مستويات المنظمة والمستويات المقابلة فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، وكذلك بما يؤكد ويعمق دور الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى قائد ودور المنظمة كجناح شبابى لهذا التنظيم القائد ٠

(هـ) العضوية :

قام بتجديد العضوية من توافرت لديه الرغبة فى الاستمرار فى عضوية المنظمة من بين الأعضاء القدامى ٠

وبالنسبة للأعضاء الجدد فقد فتح الباب أمام كل من تتوفر فيه الشروط العامة للعضوية ، وذلك لاتاحة الفرصة أمام جموع الشباب بشرط ألا يقل السن عن ١٤ سنة ولا يزيد عن ٢٥ سنة وأن يجتاز العضو بنجاح فترة انتساب مدتها عام وفقا للبرامج والمعايير التى تقرها المنظمة ٠

وللعضو حق المشاركة فى كافة مجالات العمل السياسى والانشطة التى توفرها المنظمة ، وله حق المناقشة وابداء الرأى والاستفسار فى كل ما يطرح عليه داخل المستوى الذى ينتمى اليه ٠ كما أن له توجيه النقد لكافة المستويات فى المنظمة طبقا للقواعد التنظيمية وداخل الاطار التنظيمى ٠

شروط العضوية :

١ ــ أن يكون من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ٠

٢ ــ ألا يقل سنه عن ١٥ سنة ولا يزيد عن ٢٥ سنة ، وللجنة المركزية أن تستثنى من ترى ضرورة استمرار عضويتهم بعد سن ٢٥ سنة خدمة لأهداف المنظمة ٠

٣ ــ أن يكون وطنيا مؤمنا بمبادىء الثورة وقيادتها مؤمنا بحتمية بناء المجتمع الاشتراكى ملتزما بالميثاق والخط السياسى للاتحاد الاشتراكى العربى ٠

٤ ــ أن يقبل النظام الأساسى للمنظمة ويكون ملتزما ببرامجها ٠

٥ ــ أن يكون عنصرا قياديا نشيطا ملتحما مع الجماهير منتجا وقدوة في مجال عمله ونشاطه ٠

٦ ــ أن ينتظم في حضور جلسات المستوى الذى ينتمى اليه ويسهم ايجابيا في تنفيذ خطة العمل المحددة له ٠

٧ ــ أن يمارس النقد البناء والنقد الذاتى ويناضل ضد حب الظهور والغرور والفردية ويكشف النواقص في العمـــل ويسـعى لازالتها ويبلغ المستويات الأعلى بها ٠

٨ ــ أن يكون حاميا للبناء الاشتراكى حارسا للثورة ملتزما بقيادتها خادما لمتطلبات المعركة بالبذل والتضحية ٠

٩ ــ أن يعمل على كشف أى تنظيمات أو اتجاهات معاديه تعمل لصالح الاستعمار أو الرجعية ، وأن يتصدى للعملاء الذين يعملون بتوجيه من قوى أو تنظيمات أجنبية والانتهازيين والمنحرفين ، وأن يبلغ عنهم طبقا للقواعد التنظيمية ٠

١٠ ــ أن يكون مثالا وقدوة في العمل والدراسة والانتاج ، عاملا على رفع مستوى كفاءته باستمرار ٠

١١ ــ أن يعمل جاهدا على اكتشاف العناصر الصـــالحة وتجنيـدها وترشيحها طبقا لقواعد الترشيح بالمنظمة ٠

١٢ ــ أن يسدد بانتظام الاشتراك الشهرى المقرر ٠

حقوق العضو :

١ ــ للعضو حق المناقشة وابداء الرأى والاستفسار في كل ما يطرح عليه داخل المستوى الذى ينتمى اليه ٠

٢ ــ للعضو توجيه النقد لكافة المسـتويات في المنظمة طبقا للقواعد التنظيمية وداخل الاطار التنظيمى ٠

والى جانب مزاولة العضو ــ سواء كان عاملا أم منتسبا ــ لكافة الحقوق التى نصت عليها اللائحة ، فانه يلتزم أيضا بأداء الواجبات التى تفرضـها عليه ، على أن يحاسب عما يأتى :

ــ الانحراف عن مبادىء الميثاق ، وعدم الالتزام بأهداف الخط السياسى للتنظيم القائد ٠

ــ الاهمال في القيام بواجبـاته أو الامتناع عن تنفيـذ قرارات المنظمة والسلبية في تحقيق خطتها التفصيلية ٠

ــ العمل على تفتيت وحدة المنظمة أو التنظيم القـائد بالتشـكيك أو أساليب منحرفة ومضادة ٠

ــ الاضرار بمصالح المنظمة أو التنظيم القائد ٠

– ارتكاب جريمة من الجرائم المخلة بالشرف أو الاخلال بحسن السمعة والسلوك ·

وقد تتدرج العقوبات التى يجوز توقيعها على العضو الذى تثبت ادانته من عقوبة « لفت النظر » الى « الفصل من عضوية المنظمة والاتحاد الاشتراكى العربى » ·

وقد رسمت اللائحة أسلوبا لتوقيع هذه الجزاءات فحددت المستويات التى تقوم باجراء التحقيق بالنسبة لكل مستوى من مستويات التنظيم ، كما أوضحت اجراءات التحقيق بما يتيح الفرصة الكافية أمام العضو المشكو لكى يدلى برأيه ويقوم بالدفاع عن نفسه ، وبحيث لا يوقع الجزاء الا بعد التحقق الكافى من ارتكاب العضو للخطأ ·

كذلك حددت اللائحة مستويات توقيع الجزاء بالنسبة للعقوبات المختلفة ·

ورسمت اللائحة أسلوبا أمام العضو الذى تم توقيع الجزاء عليه فأتاحت الفرصة لامكان اعادة النظر فى الجزاء بعد ٦ أشهر على الأقل من صدوره وذلك بناء على طلب العضو أو المستوى التنظيمى الذى ينتمى اليه بحيث يمكن رفع العقوبة اذا ما ثبتت صلاحية العضو ·

خطة العمل :

ترتبط الخطة بالعام الانتقالى من حياة المنظمة الذى يهدف الى ارساء حجر الأساس تنظيميا وفكريا وعمليا حتى تتمكن من فوقها جموع الشباب الاشتراكى من أن تمارس دورها التاريخى الذى يحدد مسار الثورة العربية فى مصر ·

ولقد نوقش مشروع خطة العمل بواسطة قيادات الشباب بالمحافظات فى هيئة مؤتمر عقد بحلوان فى أبريل سنة ١٩٦٩ ، وانتهى الرأى الى اقرار المشروع بعد اضافة بعض التعديلات التى اقترحها المؤتمر · وأهم ما يتضمنه المشروع فى المجالات المختلفة هو :

(أ) فى المجال التنظيمى :

يتحدد الهدف فى اعادة بناء الهيكل التنظيمى للمنظمة بحيث :

١ – يضم أفضل العناصر القيادية داخله ·

٢ – ينتهى بقاعدة واسعة من العضوية تحتوى العناصر الممتازة من جماهير الشباب ·

٣ – يستند الى نظام داخلى للعمل يضبط وينظم الحركة داخل المنظمة بما يتلاءم مع طبيعة العضوية وواقع المجتمع ·

هذا وقد تحدد نظامان داخليان للعمل : أحدهما للأعضاء ، يتحقق فيه الانضباط من خلال عقد اجتماع شهرى للمجموعات القاعدية ، والآخر

للكوادر ويسرى على جميع المستويات القيادية واحتياطيها ابتداء من المستوى المركزى حتى مستوى اللجان القيادية بالوحدات الأساسية وينفذ فيه نظام التكليفات التنظيمية كالتقارير والاجتماعات ونظام المتابعة ٠

(ب) فى مجال التثقيف :

يركز التثقيف على اعداد الشباب اعدادا يتيح له اكتساب الرؤية الثورية الصادقة ٠

ويستهدف العمل التثقيفى تحقيق واجبين أساسيين :

١ ـ خدمة القضايا العملية والتطبيقية المتصلة بالمعركة مع العدو ٠

٢ ـ دعم التحول الاشتراكى ومكاسب قوى الشعب العاملة ٠

(جـ) فى مجال العمل السياسى :

يضع العمل السياسى أمامه تحقيق أهداف ثلاثة هى :

١ ـ ربط الشباب بقضية المعركة عمليا من خلال المشاركة فى واجبات المعركة ٠

٢ ـ دعم الاقتصاد المصرى ورفع مستوى الجماهير الشعبية من خلال

المشاركة فى تحقيق زيادة الانتاج والاسهام فى تنفيذ مشروع محو الأمية والمشاركة فى دفع مشروع تنظيم الأسرة والمعاونة فى رفع مستوى الطبقات الشعبية من خلال المشروعات المختلفة ٠

٣ ـ دعم كيان المنظمة باعتبارها نموذجا متفوقا للعمل الشبابى ٠

(د) فى مجال الأنشطة :

العمل فى مختلف المجالات التى تجذب اهتمام الشباب والاستفادة من شغل أوقات فراغه واستغلال الطاقات الخلاقة الكامنة فيه ٠٠ مثل النشاط الأدبى والثقافى والرياضى والرحلات والمعسكرات ٠٠ الخ ٠

وأخيرا ٠٠ اذا كانت هذه الفترة هى أخطر مراحل تاريخنا الوطنى والقومى ، ومن أجلها تحشد الجهود فى انتظار معركة المصير ، فانها تعتبر امتحانا أمام التنظيم الشبابى لاختبار مدى صلابته وايمانه ٠ ومما يضاعف مشقة الاختبار أنه يجرى فى وقت تعيد فيه المنظمة بناء نفسها ٠٠ وهذا هو ما يلقى على عاتق الشباب ، وخاصة قياداته وعناصره النشطة جهدا مضاعفا ٠٠ لن يتقاعسوا عن القيام به ٠٠ حتى يسجلوا فى تاريخ المستقبل أنهم جيل تحمل العبء وقام بأداء الواجب ٠٠ وكان على مستوى المسئولية ٠

بجهود الشباب الاشتراكى ٠٠ وبممارسة العمل فى اطار منظمة الشباب بالأسلوب العلمى السليم ٠٠ وتحت قيادة التنظيم القائد الاتحاد

الاشتراكى العربى يستطيع المجتمع أن يحقق كثيرا من الآمال ... وكما عبرت قيادات المؤتمر القومى العام فى قرارات الدورة الثانية للمؤتمر عن تقديرها للدور الذى يمكن أن تسهم به المنظمة فى تنظيم طاقات الشباب سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وتقديرها للدور الذى يمكن أن يؤديه الشباب بطاقاتهم المتزايدة لدعم الصمود والنضال العسكرى والاقتصادى ، ووجوب أن يمتد نشاط المنظمة الى جميع قطاعات الشباب ، فان ذلك مدعاة لأن يكون الشباب ـ ومنظمته ـ جديرا بهذا التقدير .. قادرا على تحقيق الأمل .

المحاضرة الأولى

الصراع العربي - الإسرائيلي

في إطاره العالمي

نظرة تاريخية :

الصهيونية كفكرة ترجع الى عهود قديمة ، وهى فكرة ترتبط بما تحدثت عنه التوراة من الملك البائد لبنى اسرائيل · وكان اليهود طيلة قرون يتدارسون هذه الذكريات ويحلمون باعادة مملكتهم ·

أما الصهيونية كحركة سياسية فيرجع تاريخها الى القرن التاسع عشر وهو الذى شهد أحداثا سياسية وتيارات فكرية أضفت الى الصهيونية صفة الحركية وصبغة العمل والهدف السياسى فضلا عن امدادها بزعامات فكرية وسياسية من اليهود الذين ثقفوا بتيارات هذا القرن ووضعوها فى خدمة الصهيونية ·

ولقد شهد القرن الماضى فيما شهد تيارات وظواهر أهمها :

١ ـ بروز الوعى القومى وازدياد الحركات القومية بين شعوب أوروبا مما أشعر اليهود بين تلك الشعوب بعزلة عنها خاصه وقد كانوا يرفضون الاندماج فى اطار هذه الشعوب ·

٢ ـ نمو النظام الرأسمالى وبدء دخوله ـ منذ النصف الثانى من القرن الماضى ـ مرحلة الاحتكار ثم الاستعمار ومن ثم تطلعت أنظار أوربا ومن فيها من اليهود بالتالى الى استعمار واستثمار بلاد وأراضى شعوب أخرى خاصه فى القارتين الأفريقية والآسيوية ·

٣ ـ بروز موجة من اضطهاد اليهود بدأت بعد اغتيال قيصر الروسيا سنة ١٨٨١ وشملت أجزاء من شرق أوربا حيث فاقمت من حدة ماكان يسمى بالمشكلة اليهودية ·

٤ ـ بروز زعامة صهيونية كانت بمثابة العقل المفكر والمنظم الذى ترجم الصهيونية من فكرة الى حركة ، ومن آمال الى كتابات ، ومن شراذم الى مؤتمرات ، وتمثلت هذه العقلية فى تيودور هرتزل وكتابه الشهير بعنوان (الدولة اليهودية) ، ولقد استغلت الزعامة الصهيونية العناصر الثلاثة الأولى :

ـ فهى من جهة ركبت المد القومى لتطالب بوطن قومى لليهود واتطهر ان تحقيق هذا المطلب انما هو الحل الأمثل للمشكلة اليهودية ومظاهرة العداء للسامية فى أوروبا ·

ـ وهى من جهة ثانية ركبت موجة المد الاستعمارى وربطت نفسها بالأطماع الامبريالية وتطلعاتها فيما وراء البحار ، ومن ثم رأينا الزعامات الصهيونية لا تفرق بين أطماعها بين أوغندة أو الارجنتين أو شبه جزيرة سيناء مثلها فى ذلك مثل أى قوة تبغى الاستعمار أو الاستيطان الاستعمارى ·· وما كانت فلسطين التى وقع عليها الاختيار فى نهاية المطاف سوى ورقة

دينية رابحة لعبت بها الحركة الصهيونية ولعبت بواسطتها على مشاعر اليهود وفكرة العودة الرومانسية التى ظلت تجيش فى وجدانهم ، اذ يقرأون ما بين أيديهم من سطور التوراة ·

– وهى من جهة ثالثة استغلت ظاهرة اضطهاد اليهود وجسمت وقائع ونتائج هذا الاضطهاد واضعة بذلك الدول الأوروبية أمام صياغة تقول : « ان اليهود لن يندمجوا بحال فى مجتمعات أوروبا بل سيظلون كدأبهم يعزلون أنفسهم فى (الجيتو) أو حارات اليهود ممثلين بذلك جيوشا غريبة التجانس البشرى والوجدانى – ان لم نقل أيضا الدينى – فى المجتمعات القوميه الجديدة ·

– وأن اليهود سيتعرضون لاضطهاد محتمل باستمرار ويسببون بذلك مشاكل سياسية ثم اقتصادية للدول القومية الناشئة ، ومن ثم فان على تلك الدول أن تبادر حرصا على مصلحتها وسكينتها واستقرارها فى المحل الأول أن تبحث عن موطن لليهود يهاجرون اليه ، ويستوطنون فيه تخلصا من ظاهرة مرضيه كبيرة وجديرة بأن تطفح آثارها باستمرار على الكيانات القومية الجديدة ·

هذه الثلاثية التى استغلتها الحركة الصهيونية أسفرت عن قرار وبرنامج فى مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ يقول :

أولا – بتشجيع الهجرة المنظمة والواسعة الى فلسطين ·

وثانيا – بالحصول على اعتراف الدول وتأييدها المستمر للوجود الصهيونى فى فلسطين ·

وثالثا – باجتذاب يهود العالم الى صف الحركة والفكرة والأطماع الصهيونية فهم مصدر الدعم المادى والبشرى للمخطط الصهيونى فى فلسطين ·

ومن هنا يصدق قول الدارسين على الصهيونية أنها بدأت وظلت مجرد حركة عملية واقعية سياسية ، قامت بقيام المد الاستعمارى فى أوروبا واستغلت كما فعل هذا المد الاستعمارى المشاعر القوميه ، ثم كان لها ما أمكنها استغلاله من عوامل خاصة لليهود بالذات وعلى رأسها الأفكار الدينية ثم اضطهاد اليهود ·· ولعل هذا المخطط الصهيونى والعوامل التى يستثمرها لتحقيق أهدافه ما زالت فاعلة منذ القرن التاسع عشر حتى الآن وان تغيرت الوسائل والأساليب ·

الصهيونية والاستعمار فى الوطن العربى :

مع مطلع هذا القرن العشرين برزت ظاهرتان بالنسبة للمد والزحف الاستعمارى فى منطقة الوطن العربى ·

الأولى – استبعاد الصهيونية لفكرة الاستقرار والاستيطان أى «العودة» كما ألهبوا بها مشاعر اليهود – فى أى جزء من أجزاء العالم سوى فلسطين بالذات وقد تأكد هذا بعد انعقاد المؤتمر الصهيونى السابع سنة ١٩٠٥ ·

الثانية ـ حاجة القوى الاستعمارية الغربية فى الوطن العربى الى تطوير أسلوب استغلالها لأقدار ومواهب وموارد هذه المنطقة الحساسة من العالم ، خاصة وقد خبرت مدى مقاومة شعوب هذه المنطقة للمصالح والوجود الاستعمارى : الفرنسى فى المغرب ، والبريطانى : فى المشرق ، كذلك استخلصت بخبراتها حقيقة تواصل موجات المقاومة العربية ضد الاستعمار الأوروبى بحيث يمكن أن تعد كل منها صدى للأخرى وبحيث يشكل ايصالهما معا فى خط نضالى واحد خطرا جسيما على المصالح الاستعمارية فى المنطقة.

من هنا التقت مصالح الحركة الصهيونية مع مصالح الحركة الاستعمارية الأوروبية وكان اللقاء فوق أرض فلسطين كبداية .

واذا كانت الصهيونية قد بدأت من ثم ـ هجرة نشطة دؤوبة الى فلسطين حتى ليصل عدد مستعمراتها ما بين عامى ١٩٠٥ و ١٩١٤ الى تسع وخمسين يعيش فيها ١٢ ألفا من المستوطنين الصهاينة ـ فان القوى الاستعمارية الأوروبية خرجت بدروس مستفادة طوعتها أمامها دراسات مستفيضة أجرتها لجنة كامل باترمان سنة ١٩٠٧ وشملت مجالات التاريخ والجغرافيا والاقتصاد وعلم الأجناس والسلالات وغيرها ، وتتمثل أهم تلك الدروس فى :

(أ) أن المنطقة الواقعة فيما يسمى حدود الوطن العربى من المغرب حتى العراق ومن شمال سورية حتى البحر العربى منطقة يعيش فيها شعب واحد تتوفر له مقومات التجمع والترابط من وحدة لغة الى وحدة تاريخ الى وحدة آمال ومستقبل ومصير .

(ب) أن المنطقة غنية بمواردها الاقتصادية الواسعة وحساسة بموقعها الاستراتيجى الممتاز ومنذرة بالخطر على الاستعمار بكثرة تناسل سكانها ونزعاتهم الثورية المستمرة .

(ج) ان الخطر على المصالح الاستعمارية سيصبح أمرا واقعا فى هذه المنطقة ـ خاصة ما يقع منها على السواحل الشرقية والجنوبية للبحر الابيض المتوسط ـ اذا توحدت اتجاهات سكانها حول قيادة سياسية واحدة.

(د) ان حل مشاكل الاستعمار وتطوير أساليب الاستغلال الأوروبى واطالة عمر المصالح الاستعمارية فى المنطقة لابد أن يجرى حسب الأسلوب البريطانى المعروف ـ والذى يسميه الأستاذ أرنولد توينبى أنه نموذج أنجلو سكسونى من نماذج الميكيافيلية الممتزجة بالفرنسية وذلك بايجاد جسم جديد فى المنطقة ـ حاجز بشرى قوى غريب عن سكان المنطقة صديق وممثل للمصالح الاستعمارية يفصل الجزء الشرقى الآسيوى للمنطقة عن جزئها الغربى الأفريقى وترسم له أرضية مثلثة الأبعاد :

ـ على مقربة من قناة السويس .

ـ على الجسر البرى الذى يربط آسيا بأفريقيا .

ـ عند الساحل الجنوبى الشرقى للبحر المتوسط ·

ولقد تم التزاوج غير الشرعى بين المصالح الصهيونية والمصالح الاستعمارية وفى طليعتها البريطانية وسط ظروف مواتية لكل منهما تمثل اهمها بالآتى :

(أ) أن المنطقة التى تم عليها هذا الزواج الصهيونى الاستعمارى كانت فى معظمها موهنة القوى بفعل قرون من الاستعمار التركى المتخلف شوه هويتها القومية واستنفذ طاقاتها الحضارية كذلك فان ما اعتمل بها من تيارات اليقظة فى القرن التاسع عشر تحرك فى اطر اقليمية ضيقة مما حرمه من الطاقات القومية للعرب ككل ، ثم زادت الظاهرة فداحة وتفاقما حقيقة ارتباط هذه اليقظة بأطماع بعض حكام المنطقة حيث تكسرت بعض تياراتها نتيجة أطماعهم ، والمثل هنا من محمد على فى مصر ـ وانقلب البعض الآخر ـ والمثل من خلفاء محمد على ـ الى عوامل فتحت باب السيطرة الأوروبية الشرهة على أقدار المنطقة بدأت بسلاح الديون وانتهت الى سلاح المدفع والاحتلال المباشر السافر والذى جاء ليس تكسة لحركة ثورية شعبية بلورت ما كان يعتمل فى الوجدان الجماهيرى من سخط وآمال ·

(ب) ان تركيا التى كانت متحكمة اسميا فى أقدار المنطقة كانت قد بلغت من التدهور دوليا واستبدت بها الصراعات الداخلية الى الحد الذى جعل المنطقة بعد كبت نزعاتها الثورية تعيش ما يشبه فراغ القوى الفاعلة والمؤثرة ثم كان دخول تركيا فى صدام مسلح فى الحرب العالمية الأولى ضد انجلترا والحلفاء سببا فى انهاء سيطرتها التى كانت اسميا على المنطقة كى تكشف المنطقة بلا حول ولا قوة لأطماع الحلف الاستعمارى ـ الصهيونى ·

(ج) ان توقع الاستعمار لبوادر حركة ثورية تنظم المنطقة العربية وتغطى معظم مساحاتها فى مصر والمغرب وفى شبه الجزيرة العربية وفى الشام والعراق جعله يحتضن هذا العرش الصهيونى للوكالة عن مصالح الاستعمار فى المنطقة وليشكل كما قيل بدقه وبحق رأس جسر لهذه المصالح يكتسب صفة الاستمرار أو يتواصل دعم الاستعمار له ماديا ومعنويا ويخفى الوجود الاستعمارى السافر المثير للعداء المستنفر لطاقات الغضب واحتمالات الثورة ·

فاذا أضفنا الى ذلك كله بعض الحقائق الأوروبية الخالصة ومن بينها رغبة الساسة الانجليز بالذات فى الظهور بمظهر أنبياء حل المشكلة اليهودية وذلك طبعا تملقا للمصالح الاقتصادية الصهيونية وللضغوط الاعلامية والصهيونية فى بلادهم ـ واذا أضفنا الى ذلك أيضا عاملا يوضحه مؤلف كتاب (مدخل الى اسرائيل) ويتلخص فى أن كثيرا من الغربيين خلطوا بين الصهيونية وبين الليبرالية وهى حركة التحرر الانسانى والمساواة فظنوا أن الصهيونية تحاول حل مشكلة اليهود ، وحل مشكلة اليهود خطوة منطقية مع موجة التحرر الانسانى والمساواة ، وجهلوا بسبب هذا الخلط أن الليبراليين « المتحررين » حقا هم اليهود الداعون الى اندماج اليهود فى

المجتمعات التى يعيشون فيها ، اما اليهود الصهيونيون فهم انما يقدمون حلا عنصريا دينيا قائما متعصبا وليس حلا انسانيا متحررا متسامحا (عن كتاب اسرائيليات : أحمد بهاء الدين) .

اذا أضفنا هذه العوامل كلها الى بعضها لخرجنا بحقيقة تقول بأن الدوافع التى حدت بدول الاستعمار الغربى وعلى رأسها بريطانيا المتحكمة بأقدار المشرق العربى حينذاك هى ما تلخصه كلمات المؤرخ العالمى أرنولد توينبى حين يقول « انها نموذج انجلو سكسونى من نماذج الميكيافيلية (الانتهازية السياسية) الممتزجة بالفرنسية » أى نموذج من قدرة الأنجلو سكسون على مزج أهدافهم السياسية والمصلحية بشعارات انسانية (المرجع السابق) .

ويتضح هذا الرباط الوثيق العضوى بين الكيان الاستعمارى الصهيونى وبين قوى الاستعمار العالمى ـ كما يتضح أيضا قدم هذا الرباط ونشأته مع نشأة الصهيونية كفكرة فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ويكفى فى هذا المجال أن تراجع مذكرات هرتزل مفكر الصهيونية الاكبر ويومياته لندرك حقيقة تقول « ان الرجل كان يعى استحالة تحقيق هدفه بأنشاء دولة صهيونية على أرض فلسطين بدون أن يمهد لهذا الانشاء وبدون أن يدعم ذلك الانشاء ويحميه بعد قيامه بتعاون وثيق بين الحركة الصهيونية الناشئة وبين بعض دول أوروبا (دول المد الاستعمارى فى ذلك الوقت) وهو تعاون يمكن الصهيونيين من تحقيق غرضهم وحماية دولتهم مثلما يمكن هذه الدولة الأوروبية أو تلك من تحقيق مصالحها وخدمة أهدافها الاستعمارية السياسية أو الثقافية أو الاقتصادية فى منطقة مهمة من العالم (كتاب يوميات هرتزل ـ ترجمة هلدا شعبان) .

ويتضح من يوميات هرتزل أنه قام بحركة واسعة للوصل بين الحركة الصهيونية وبين قيصر روسيا وقيصر ألمانيا ثم مع النمسا وفرنسا وسلطان تركيا وذلك مع التركيز على بريطانيا حيث نقل رئاسة الحركة الصهيونية الى لندن ، كذلك نلمح فى اليوميات بعض شذرات توضح كيف كان هرتزل متفهما لحاجة المد الاستعمارى الى الكيان الصهيونى منها قوله مثلا « سنبحث ـ بعد انشاء الدولة الصهيونية ـ عن مواد خام ونرسلها الى أوروبا .

وعلى هذا الأساس ـ أساس تبادل المصالح الاقتصادية فى المحل الأول مغلفة بشعارات الانسانية وحل المشكلة اليهودية على مستوى دول الاستعمار الأوروبى ، وبشعارات العودة والنبوءة التوراتية على مستوى الحركة الصهيونية ـ على هذا الأساس صار التحرك الصهيونى فى مخطط لاغتصاب الأرض العربية فى فلسطين .

ومن هنا وجدنا الصهيونيين يخاطبون فرنسا الاستعمارية فى وثيقة رسمية ـ تقول بالنص : سنضم البلاد التى نعتزم احتلالها ـ : مصر السفلى والاقسام الجنوبية من سوريا ولبنان وسيمكننا هذا الوضع من أن نصبح سادة التجارة مع الهند وشبه الجزيرة العربية وأفريقيا الشرقية والجنوبية ، ونحن نعتقد أنه ليس فى وسع فرنسا الا أن ترغب فى رؤية الطريق الى الهند والصين محتلة من شعب يسير وراءها الى الموت ـ وهل هناك من شعب

يصلح لهذا الهدف أصلح من اليهود الذين شاء القدر لهم منذ بدايه عصور التاريخ أن يرتبطوا بمثل هذا الهدف ، وليس ثمة شك فى أن اليهود والفرنسيين قد خلقوا منذ الأزل ليعملوا معا » ٠

(كتاب المعركة بين العرب واسرائيل)

والى ألمانيا القيصرية المتطلعة الى مناطق نفوذ فى المنطقة العربية يتوجه زعماء الحركة الصهيونيه بقولهم « نحن نريد أن نقيم على الشواطىء الشرقية للبحر الأبيض المتوسط حضارة عصرية ومركزا تجاريا يكونان دعامة للسيادة الالمانية مباشرة أو غير مباشرة » ٠

(المرجع السابق)

ويتضح البعد الاستعمارى ـ الصليبى ـ الاقتصادى بالذات بالنسبة للحركة الصهيونية وبخططها فى فلسطين وعلاقتها بدول المد الاستعمارى الأوروبى من قول أحد حلفاء هرتزل فى قيادة المنظمه الصهيونية واربورج ٠

« أن الحق التاريخى الذى يستند على ملكيتنا لفلسطين مثل ألفى سنة لا نعول عليه وحده وفى حد ذاته لدى الدول الكبرى بل يستوجب علينا ايجاد صيغة عصرية لذلك الحق كى تضاف اليه هذه الصيغة تقوم على تدليلنا ـ ان لم يكن بحكم الحق الشرعى فبحكم الأمر الواقع ـ على أن فلسطين تخضع اقتصاديا لنفوذنا » ٠

(كتاب اسرائيل الكبرى)
د ٠ أسعد آزون

من هنا نستطيع أن نتبين مراحل نشوء دعوى الصهيونية فى الخطوط الموجزة التالية :

١ ـ انها نشأت بداية كفكرة رومانسية تتغنى بوطن التوراه وبأمجاد بنى اسرائيل وبآلامهم تلك التى بادت منذ أربعة آلاف عام ٠

٢ ـ انها وصلت الى حد المشكلة التى تتطلب الحل بعد أن خاض اليهود غمرات الاضطهاد الذى أذكاه التعصب الدينى فى أوربا من جهة والذى دفع اليه مؤامرات اليهود باستغلالهم لشعوب أوروبا من جهة أخرى ٠

٣ ـ ان الفكرة والمشكلة تلقفتها المطامع الفردية على يد رجال ذوى طموح واسع مثل هرتزل وتضافرت هذه الظاهرة مع بروز المد والمصالح الاستعمارية الغربية وتطلع الرأسمالية الأوربية الى مناطق وأسواق فيما وراء بلادها وتركيزها النظر والاطماع مليا عند منطقة الشرق العربية ملتقى القارات الثلاث ٠

٤ ـ ان الحركة الصهيونية ـ فضلا عن استغلالها للاطماع المصلحية الاستعمارية استثمرت عقدة الذنب الزمنية لدى بعض ساسة أوروبا تجاه اضطهاد اليهود وذلك على نحو ما يوضح هرتزل فى كتاب (الدولة اليهودية) حين يقول « ان قوتنا الدافعة هى بؤس اليهود ـ هذا الى جانب رغبة الكثير من هؤلاء الساسة فى التخلص من أعداد من اليهود الذين يعيشون بين أممهم ويرفضون الاندماج فيها ويعملون من ثم ضد مصالح هذه الأمم والشعوب ٠

الصهيونية والاستعمار البريطانى :

واذا كانت الصهيونية على يد هرتزل قد بدأت بالتوجه الى العديد من الدول والمصالح الاستعمارية الاوروبية فلقد كرست الحركة فكرة التركيز على الاستعمار البريطانى وذلك بناء على اقتناع هرتزل نفسه وذلك لأسباب تقول :

(أولا) ان بريطانيـــا منذ أواخر القرن الماضى كانت تمثل أكبر قوة بحرية وطاقة صناعية فى العالم ومن ثم فان دعمها للحركة الصهيونية سيكون له من القوة والقدرة والفاعلية الشىء الكثير ·

(ثانيا) ان بريطانيا فى توسعها الامبراطورى وبالتالى توسع مصالحها فى منطقة الشرق العربى ثم بحاجتها الى تطوير أســـلوب تواجدها فى تلك المنطقة حسب ما أوصت به لجنة باترمان سنة ١٩٠٧ سيجعلها فى حاجة الى وكيل ينوب عن مصالحها ويعمل لحسابه أيضا من خلال المصالح البريطانية ·

(ثالثا) ان الزعامات الصهيونية اســـتطاعت أن تنفذ الى كواليس السياسة البريطانية وأن تمارس العديد من التأثيرات على كبار الساســـة البريطانيين ومن هنا يصدق وصف لورد آرثر بلفور على حاييم وايزمان خليفة آرثر حين قال آنه « الرجل الذى جعلنى صهيونيا » ·

الحرب العالمية الأولى :

كانت هذه الحرب هى المنعطف الذى دخلت عنده الحركة الصـــهيونية وأطماعها فى فلسطين مرحلة جديدة ·· تمثلت فى صيغة أكثر وقوفا وتلاحما بين الصهيونية والاستعمار البريطانى :

يقول ألن تيلور صاحب كتاب « مقدمة الى اسرائيل » :

بعد نشوب الحرب العالمية الأولى ودخول تركيا (الحرب) بات مستقبل فلسطين غير أكيد وسرعان ما أدرك الصهاينه آن بحثهم الذى لم يصـــادف النجاح عن هجرة غير محدودة الى فلسطين وخلق وضع ســـياسى معترف به شرعيا بات من الممكن نجاحه فعمدت انجلترا فورا الســـهم الأعظم للمنظمة الصهيونية ولقد ترسم وايزمان خطى هرتزل وبعقلية عالم الكيمياء أضـــفى على المنظمة الصهيونية صفات الحركية والفعالية على الصعيد الدولى وذلك وفق برنامج هرتزل ثلاثى النقاط : التنظيم ·· الاعتراف ·· الاستعمار ·

أ ـ التنظيم :

وكان يشمل العمل فى مجالات متعددة وفى وقت واحد تقريبا ويتلخص أهمها فى :

* ركيزة أرضية تنطلق منها الجهود الاسرائيليه ·

* هجرات يهودية منظمة ومكثفة تحقق ارتباط المهاجرين الجـــدد بالركائز الأرضية بهدف التوسع منها مستقبلا ·

* منظمات صهيونيه للتهجير وشراء الأراضى والاستثمار الاقتصادى والاستعداد العسكرى ·

ب ـ الاعتراف :

ولم يكن يقتصر على مجرد السعى للحصول على تأييد رسمى أو وثيقة حكومية بقدر ما كان يهدف أساسا الى ايجاد صيغه متطورة تقنع ساسة الدول الاستعمارية بأن الحفاظ على مصالح دولهم ، وتقنع رؤوس الاحتكارية الغربية بأن مصالح رؤوس أموالها ـ كل ذلك رهينة بالوجود الصهيونى فى فلسطين ويتصاعد هذا الوجود وتمكينه من تحقيق مخططه التوسعى على حساب الوجود العربى ·

وقد أوجز وايزمان هذا المخطط فى قوله فى نوفمبر سنة ١٩١٤ نستطيع أن نقول بشكل معقول أنه ان وقعت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطانى وأن شجعت بريطانيا الاسكان اليهودى هناك كمحمية برطانية فانه يكون لنا هناك فى خلال عشرين الى ثلاثين سنة مليون يهودى وربما أكثر ، انهم سيطورون البلاد ويعيدون اليها الحضارة ويكونون حارسا فعالا لقناة السويس ·

كذلك يوضح وايزمان نتيجة لقائه باللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا فى ديسمبر سنة ١٩١٨ بقوله « وقد بلغت اللورد أن اقامة مجتمع يضم أربعة أو خمسة ملايين من اليهود فى فلسطين سيكون قاعدة اقتصادية كافية يستطيع اليهود منها أن ينتقلوا بطريق الأشعاع الى الأجزاء الباقية من الشرق الأدنى وأن يسهموا اسهاما ضخما فى اعادة بناء تلك البلاد التى كانت مزدهرة فى يوم من الأيام · لكن هذا العمل يتطلب أول ما يتطلب بحتمية الوطن القومى اليهودى فى فلسطين تسمية حرة وغير مقيدة بحيث نتمكن من اسكان أربعة ملايين أو خمسة من اليهود فى فلسطين فى غضون جيل واحد ونجعل من فلسطين بلادا يهودية فى ظل التاج البريطانى ·· وقد أقنعت اللورد بأن ما يسمى بالاستعمار ليس الا الصهيونية بعينها ·· »

ومن الجانب الآخر للصيغة الصهيونية الاستعمارية نجد زعامات بريطانيا توضح رأيها فى هذه الصيغة ورأيها فى تبادل مصالحها مع الحركة الصهيونية ··

نجد مثلا صحيفة الجارديان البريطانية تحرص على ترديد رأى اللورد كتشنر القائد العسكرى البريطانى البارز فى منطقة الشرق الأدنى بانه يجب أن تصبح فلسطين حصنا للدفاع البريطانى عن قناة السويس مشيرا بذلك الى القيمة الاستراتيجية لبريطانيا فى وجود دولة يهودية صديقة ومعتمد عليها فى فلسطين ··

(الطريق الى اسرائيل ـ تأليف الن تايلور ـ ترجمة بسام أبو غزالة) ·

ونجد السير أدوار جراى رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩١٥ يخطوخطوة أبعد حين يبعث فى مارس سنة ١٩١٥ بمذكرة الى الحكومة الروسية يعبر فيها عن

الاعتقاد (البريطانى) بأنه اذا استطاع المستوطنون اليهود فى فلسطين أن ينافسوا السكان العرب فقد تصبح ادارة البلاد فى أيد يهودية وعلى دول الحلفاء أن تتفق على ما يحقق مثل هذا المخطط لأن ذلك يجذب يهود العالم الى قضية الحلفاء فى الحرب العالمية ٠

ونجد أيضا بلفور يخاطب وايزمان أثناء الحرب العالمية بقوله : « أتعلم أنك قد تحصل على أورشليم بعد الحرب » ٠

(المرجع السابق)

ومن هنا اتخذت الخطوات لتنفيذ المصلحة المشتركة بين الجانبين : المخطط الصهيونى ومخطط الحلفاء ، وتمثلت أهم الخطوات فى :

(أ) انشاء فيلق يهودى تحت بند المتطوعين للعمل فى خطوط الحلفاء وقواتهم فى الشرق العربى خاصة فى مجال المعلومات وان كان الغرض الأساسى منه هو تمكين العناصر الصهيونية من دراسة التوسع الصهيونى فى المستقبل خاصة فى ناحية الاستراتيجية العسكرية ، وقد دخل هذا الفيلق الذى قاده فلاديمير جابوتنسكى من القدس تحت لواء الجنرال اللنبى فى ١١ ديسمبر سنة ١٩١٧ بدأ باعلان نهاية الحرب الصليبية لحساب الغرب وبانشاء ادارة عسكرية لفلسطين بادرت الى تنفيذ وعد بلفور الذى لم يكن مر عليه أكثر من شهر واحد ٠

(ب) الحاق وايزمان بخدمة وزارة الحرب البريطانية والعكوف على تطوير سلاحها التدميرى للحصول على رصيد واسع من التأييد لمخطط الصهيونية ٠

(ج) اصدار وعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ لالهاب مشاعر اليهود فى العالم واكتساب تأييدهم لموقف الحلفاء فى الحرب العالمية ٠
ويقول ونستون تشرشل فى مذكراته :

« واذا أتيح لنا فى حياتنا وهو ما سيقع حتما أن نشهد مولد دولة يهودية لا فى فلسطين وحدها بل على ضفتى الأردن معا تقوم تحت حماية التاج البريطانى وتضم نحوا من ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود فاننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحقيقية للامبراطورية البريطانية » ٠

(المذكرات المترجمة للعربية لخيرى حماد)

ويقيم تشرشل وعد بلفور بشكل عملى حين يقول :
« ان تصريح بلفور ينبغى ألا ينظر اليه كوعد أعطى لدوافع عاطفية بل كاجراء عملى اتخذ فى مصلحة قضية مشتركة ، وذلك فى آونة لم تكن فيها هذه القضية تحتمل اغفال أى عنصر لمساعدة مادية أو معنوية » ٠

(ملف القضية الفلسطينية ـ سلسلة الابحاث الفلسطينية)
ومن الجانب الآخر كان وايزمان لدى اصدار التصريح وحين التهيئة لاصداره وعلى ساحة التحرك الواسع والمرن مع الأوساط البريطانية ثم

الأوساط الأمريكية كان ينتهج أساليب شتى نرى أن نراجعها من قبيل مراجعة دروس مستفادة لعدونا أمكنه بها فى غفلة من التحرك العربى أن يحقق أهدافا كانت شبه مستحيلة التحقيق :

ينقل الدكتور ألن تايلور فى كتابه الذى أشرنا اليه فى سياق الدراسة تقييم موظف رسمى بريطانى كان على صلة وثيقة بوايزمان وبجهوده وبالنصر السياسى الذى حققه باصدار تصريح بلفور يقول : « أخبرنى وايزمان مرة أنه قام بألفى مقابلة للوصول الى تصريح بلفور وقد كيف نقاشه بحذق لا يخطىء حسب الحالة الخاصة لكل سياسى ، ففيما يتعلق بالبريطانيين والأمريكيين استعمل لغة الانجيل وأيقظ فيهم صوتا عاطفيا عميقا ، وتحدث لغيرهم بلغة المصلحة على الأغلب ، فقد أخبر لويد جورج أن فلسطين بلد جبلى غير بعيد الشبه عن ويلز ، ومع اللورد بلفور استعرض الاساس الفلسفى للصهيونية ، ومع اللورد سيسل طرحت القضية بشكل منظمة عالمية جديدة فيما صور للورد ملنر وبشكل حيوى توسع القوة الاستعمارية أما بالنسبة لى كضابط فى الأركان العامه (بالجيش البريطانى) فقد جاءنى من مصادر كثيرة بجميع الادلة التى يمكن الحصول عليها لأهمية الوطن القومى اليهودى بالنسبة لمركز الامبراطورية البريطانية الاستراتيجى .

(الطريق الى اسرائيل ـ تأليف ألن تايلور ـ الترجمة العربيه بقوله تاريخ الحركة الصهيونيه) .

الصهيونية والاستعمار الأمريكى :

كانت دوائر الخارجية البريطانية قبيل ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ عاكفة على صياغة تصريح بلفور الشهير ، وكانت مسودة التصريح تبدأ بعبارة : أن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للجنس اليهودى فى فلسطين ، لكن أحد مستشارى الرئيس الامريكى ادوار ولسن اقترح استبدال كلمة الجنس اليهودى بالشعب اليهودى وكان له ما أراد ، وصدر التصريح الرسمى كما نعلم يتحدث عن تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى ـ ومعنى ذلك أن المستشار الامريكى استطاع بتعديل اللفظ أن يضفى معنى سياسيا على كيان اليهود مقدما لهم الاعتراف بهذا الكيان الذى لم تكن تجمعه سوى رابطة التطلع الاستعمارى كشعب من الشعوب ـ خاصة وقد كان ضمن الشعارات التى ظل ولسن يعد لها هو حق تقرير المصير للشعوب ـ ولعل السياسى الأمريكى قد حرص أيضا على أن يربط بين معانى الوطن ـ القومية ـ الشعب ـ وذلك حتى يتمكن قادة الحركة الصهيونية من الوصول الى خطوة أبعد وهى الجيش الذى يحمى أهداف هذا الشعب تحقيقا لخطوة أخرى هى الدولة التى يفرضها هذا الجيش والتى ستعد نواة للتوسع الصهيونى .

وعلى هذا المستوى الضالع مع المستوى الصهيونى وليس مجرد العطف عليه بدأ التماس بين الصهيونية وبين السياسة الأمريكيه التى كانت قد خرجت من قوقعة العزلة التى فرضتها عليها ظروف القرن التاسع عشر .

كذلك فان الحركة الصهيونية وجدت منذ بدء علاقتها مع الولايات المتحدة فى عهد الرئيس ولسون صديقا بل عضوا فى المنظمة الصهيونية هو القاضى براندیس المستشار الاول للرئيس الأمريكى والذى حمل الى البيت الأبيض رسالة من وايزمان مؤرخة فى ١٩١٨/١/١٤ يقول فيها : ان فلسطين اليهودية التى ستخلقها بريطانيا العظمى وتساعدها امريكا تعنى ضربة مميتة توجه الى السيطرة الاسلامية (يعنى العربية) ـ انجروسية (الالمانية ـ الطورانية (التركية) على الشرق ويجب أن يكون واضحا كل الوضوح أن ثمة ارتباطا كليا بين المصالح الأمريكية والبريطانية والصهيونية ...

ولعل الرد الذى استجابت به حكومة الولايات المتحدة الى هذا العرض الصهيونى يمثل بشكل بارز فى تصريح الرئيس الأمريكى ولسن الذى ارتبط اسمه بما يسمى حق تقرير المصير للشعوب والذى صدر فى مارس ١٩١٩ وقال فيه : « لدى اقتناع بأن الدول الحليفة أقنعته بالتفاهم مع حكومتنا وشعبنا على وضع الأسس لكومنولث يهودى فى فلسطين » ، ومن هنا ـ من هذا التأثير المكثف من قبل دول الاستعمار للصهيونيه كان على عصبة الأمم أن تعترف بالوكالة اليهودية وهى المؤسسة التى حملتها الحركة الصهيونية مهمة مباشرة انشاء اسرائيل وبدأت أرض فلسطين تفتح كساحة لتدفق الهجرات اليهودية وللتفرقة التى كانت تمارسها بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين لصالح اليهود وفى غير صالح العرب سكان فلسطين ، وكان أن وفت بريطانيا بدورها فى اطار التحالف الاستعمارى الصهيونى ـ البريطانى فبسطت حمايتها على مؤسسات الوطن القومى « الصهيونية فى فلسطين وتمت تحت سمعها وبصرها منظمة الهاجاناة ـ العسكريه والأحداث الصهيونية المقاتلة (البلماخ) وتجاهلت وجود ونمو العصابات الصهيونية الارهابية السرية الارجون وستيرن حتى وصل الأمر فى منتصف ثلاثينيات هذا القرن الى حقيقة أثبتتها لجنة التحقيق الملكية البريطانية حين وصفت الجالية الصهيونية فى فلسطين بأنها « دولة داخل دولة » وتفاقمت الحقيقة فى اتجاه مضاد للوجود والمصلحة العربية حيث بلغ عدد أفراد الجالية الصهيونية وبعد ثلاثين عاما من الاستعمار البريطانى لفلسطين ١٢ ضعف عددهم فى سنة ١٩١٧ ، لكن الصهيونية كحركة وكفكر وكمخطط ومطامع كانت تصدر باستمرار عن استراتيجية محددة وتكتيك مرن ومتغير .

تقضى الاستراتيجية بضرورة ايجاد صيغة من التحالف والصلة العضوية بين الصهيونية ودولتها فى اسرائيل وبين قوة كبرى من قوى الامبريالية العالمية بما يتضمن ذلك من صله بين اسرائيل كخط متقدم من خطوط الاستعمار وبين دوائر الاحتكارات الرأسمالية فى العالم .

وقد كانت هذه الاستراتيجية هى القاعدة التى انطلقت منها الصهيونية فى التحالف مع بريطانيا أكبر قوة استعمارية فى العصر ربما حتى الحرب العالمية الثانية .

وهى نفس الاستراتيجية التى استوجبت تغيير التكتيك ونقل خطوط حركة الصهيونية وولائها وصلتها من بريطانيا الى أمريكا . تلك القوة التى فرضت نفسها منذ الربع الثانى من هذا القرن والتى بدأت فيها القوى

الاحتكارية المتحكمة بسياستها تمد بصرها بالأطماع الى مصالح وموارد اقتصادية ضخمة فى الوطن العربى باحثة ـ ومبدأ باترمان نصب عينيها ـ عن عميل أو وكيل لهذه المصالح فى المنطقة يمثل سوطا يلهب به ـ كما يقول الميثاق ـ ظهر النضال العربى اذا استطاع يوما أن يتخلص من المهانة وأن يخرج من الأزمة الطاحنة وفاصلا يعوق امتداد الأرض العربيه ويحجز المشرق عن المغرب وعملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتى للأمة العربية تشغلها عن حركة البناء الايجابى ٠

ولم يكن اعتبار المصالح من قبيل الامل أو حديث المستقبل بقدر ما كان ضرورة يمليها الواقع آنذاك ، وعلينا ألا ننسى أن الشركات الأمريكية قد اقتحمت المصالح البترولية فى العراق سنة ١٩٣٤ مع الشركات الانجليزية والفرنسية ، وان أمريكا قد انفردت تماما ببترول السعوديه حيث حصلت على امتيازه سنة ١٩٣٣ ثم تناصفت مع بريطانيا بترول الكويت ومناطق الخليج العربى سنة ١٩٣٤ وكان أيضا لنمو المصالح الاحتكارية الأمريكيه الهائلة ولادراكها احتمالات المستقبل الواعدة بمزيد من الثروات البترولية فى المنطقة العربية ـ كان لذلك ولا شك أكبر الأثر فى التشبث حدا بالسوط الصهيونى فى يد المصالح الاستعماريه وفى وراثة الوصاية البريطانية على الحركة والاطماع الصهيونية ٠

وعلى الجانب المقابل أدركت الصهيونية أن قيادة المعسكر الغربى سوف تتحول لصالح الولايات المتحدة خاصة وأن بريطانيا ابان الثلاثينيات كانت تحاول مداراة عرب فلسطين حفاظا على مصالح بريطانيا نفسها فى المنطقة العربية مما أحنق العسكرية الصهيونية التى تهدف باستمرار الى مساندة كاملة ودعم لا يتوزع مهما كانت المبررات ، ومن هنا نجد أن للصهيونية أهدافها المرسومة لها ، ولها مصالحها الخاصة بها وهى تستثمر كل امكانيات القوى الاستعمارية لخدمة هذه المصالح والاهداف حين تلمح تناقضا ولو يسيرا بين أهدافها وبين خطط القوى الاستعمارية تبدأ الصهيونية فى العمل بلا توان لخدمة مصالحها هى ٠٠ بمعنى آخر تعمل وكيل الاستعمار بالاصالة عن نفسه (من الباطن) وتتخلى ولو مؤقتا عن مهمة الوكالة والنيابة عن مصالح الاستعمار ٠

وقد استفادت الحركة الصهيونية من شبهة التناقض مع بريطانيا فى المسايرات التالية :

أولا : أججت الزعامات الصهيونية مشاعر الحقد بين جماعات اليهود وصدرتهم فى شكل الجماعة المعزولة عن العالم المطاردة من كل القوى والمطالبة بالانضواء تحت أكثر التجمعات والمنظمات حقدا وعنصريه وتطرفا وارهابا كى يحافظوا على مجرد الحياة بل الاحلام فى المستقبل والاطماع ٠

ثانيا : صورت تناقضها الثانوى مع الاستعمار البريطانى على أنه حركة تحرير وطنى يهودية ضد انتداب بريطانى على فلسطين أرض الميعاد ، وكان على الادبيات الصهيونية أن تقلب القضية لتضفى بطولات وأمجادا على الارهاب الصهيونى المنظم منذ أوائل الاربعينيات ولنخلص الى نتيجة معكوسة يعبر عنها الكاتب الصهيونى روبير مزراحى حين يقول : « ان اسرائيل انما

نشأت عبر انتداب بريطانى ـ لا عبر دولة عربيـة وحتى مشروع التقسـيم سنة ١٩٤٧ والذى اختص اليهود بميزات معينة على حساب شعب فلسطين سواء من حيث مساحة الارض أو من حيث التهيئة كى تتنازل بريطانيا عن سلطات الانتداب للامم المتحدة التى لم تكن لديها سلطات على الاطلاق مما كان يعنى تعريض الأرض الفلسطينية كى تقع تحت رحمة القوة الصهيونية التى نظمت تحت سمع الانتداب البريطانى ، وحتى هذا المشروع يعلق عليه مناحم بيجين يقول : « ان تقسيم الوطن غير شرعى ولن يعترف به أبدا وتوقيـع المؤسسات والافراد على اتفاقية التقسيم باطل، فهو لن يلزم الشعب اليهودى بشىء ، القدس عاصمتنا وستبقى كذلك الى الأبد ، أرض اسرائيل سـوف يسترجعها شعب اسرائيل ·· الارض كلها ·· والى الابد » ·

ثالثا : مارست القوى الصـهيونية مختلف الضـغوط عـلى الولايات المتحدة بواسطة وسائلها العديدة الدبلوماسـية ـ الاعلاميه ـ الصـداقات وثيقة الصلة بدوائر البيت الابيض وبشكل متكرر ملحاح وصفيق ، ولئن قامت بريطانيا بدور المنجب والممهد للكيان الصهيونى فى قلب الوطن العربى فقد جاءت مرحلة الفطام لهذا الكيان ثم تغذيته ودعمه على يد الاسـتعمار الامريكى « ولئن كانت عصبة الامم الاداة المختارة لاضفاء الاحترام الدولى على التحالف بين بريطانيا والصهيونية فقـد اختيرت الامم المتحـدة لاداء الدور نفسه بالنسبة للتحالف الصهيونى الامريكى ، وبينما أشرفت بريطانيا عـلى حمل عصبة الامم المكونة من غالبية أوروبية على تأييد الاستعمار الصهيونى الاوروبى لفلسطين تولت الولايات المتحدة قيادة أغلبية ـ أوروبية ـ أمريكية لتـأييد (اقامة) دولة صـهيونية اسـتعمارية فوق الجسر الذى يربط بين أفريقيا وآسيا فى أرض فلسطين العربية » ·

(كتاب الاستعمار الصهيونى فى فلسطين ـ د· فايز صايغ)

الصهيونية والدعم الأمريكى :

يصف بن جوريون فى دراسة له عن (بعث اسرائيل ومصيرها » دولة الاستيطان الاستعمارى فى فلسطين فيقول :

« ان دولة اسرائيـل هى جزء من الشرق الأوسـط من حيث العـامل الجغرافى فقط وهو فى جوهره عامل جامد ، أما من حيث العوامل المصـيرية الحاسمة مثل الطاقات الحركية والابداعية والانمائية ، فانما اسرائيل جزء من اليهودية العالمية ، ومن هذه اليهودية العالمية تستمد اسرائيل وسائل صياغة الامة وتطوير الارض ، وبقوة اليهودية العالمية اياها سوف تبنى اسرائيـل مرارا وتكرارا » ·

والزعيم الصـهيونى يفصـل فى هـذا الوصـف على ايجازه معـالم الاستراتيجية الصهيونية ذات التكتيك المرن المتكبر تلك التى ألمحنا اليها فى الصفحات السابقة فهو :

* يعترف بالانتماء بين الكيان الصهيونى فى اسرائيـل وبين المنطقـة التى يوجد وسطها ·

* وهو يعترف بتبعيه ذلك الكيان للكيان والمخطط الاوسع والذى تتحرك فى اطاره اليهوديه أو الصهيونية العالمية ·

* وهو يكرر ألفاظ القوة ، والحركية ، والانمائيه ، والبناء ، ويكرر معها لفظة الاستمداد ، وهو كله استمداد لاسرائيل من خارج اسرائيل ·

ولسوف تظل هذه الاستراتيجية تحكم الكيان الصهيونى — كما فعلت — ولمدى طويل ربما يتحدد بفترة وجود هذا الكيان ومدى استمراره بالغصب فوق الأرض العربية ·

ولقد عبرت هذه الاستراتيجية عن نفسها ، خطوط حركه تغيرت بتغير الظروف بدأت بخط النمو فى أحضان الاستعمارية البريطانية حتى الاربعينات ثم بالاتجاه صوب الولايات المتحدة حيث الثقل الأكبر والحركى لليهودية العالمية وحيث يعيش فى مدينة نيويورك نفسها ووحدها من اليهود ما يفوق عدد سكان اسرائيل نفسها ·· ولقد دعم هذا الخط الصهيونى — الأمريكى بخط جديد آخر هو ما سمى بالعلاقة الخاصة بين فرنسا واسرائيل والتى بدأت منذ عام ١٩٥٤ وتمثلت بالدرجة الأولى فى تسليح فرنسى لجيش الدفاع الاسرائيلى ، وظهرت بوادر التغيير فى الخط الأخير على اثر انهيار الجمهورية الفرنسية الرابعة ونكسة بريطانيا فى حرب السويس سنة ١٩٥٦ فكان الخط الجديد والذى تمثل فى تحالف مستتر بذكاء بين ألمانيا الغربية واسرائيل تحت ستار تعويضات الحرب والاضطهاد النازى لليهود ثم فى هدايا مجانية لاسرائيل على شكل شحنات من السلاح الألمانى موجه بأوامر البنتاجون فى الولايات المتحدة ·

نمط التحرك الصهيونى فى الولايات المتحدة :

يوضح ألن تايلور فى كتابه « الطريق الى اسرائيل » والذى أشرنا اليه من قبل ، هذا النمط على أساس مستويات ثلاثة تحرك فيها المخطط الصهيونى فى أمريكا وهى :

١ ـ كسب الشعب الأمريكى :

ونظمت لهذا الغرض لجان فى ٧٦ ولاية أمريكية وتفرع عنها ٣٨٠ لجنة على المستويات المحلية كان شعارها كما يوضح الخاخام « ألمر بوجو » حقن كل شق فى الساحة الأمريكية بالقومية السياسية الصهيونية واستغلت فى سبيل ذلك كل ما فى الحياة الامريكية من تناقضات ، استغلت مثلا عدم احاطة المسيحيين الأمريكيين بالكتاب المقدس واشاراته وتفسيراته الصحيحة واستغلت دعوى الاضطهاد النازى لليهود ثم الخلافات بين الحزبين الأمريكيين الكبيرين الجمهورى والديموقراطى وتنافسهما على أصوات القواعد اليهودية·

٢ ـ كسب الكونجرس :

وكانت هذه خطوة تالية منطقية بعد جذب العدد من قواعد الشعب الأمريكى الى دائرة المطالب ثم النفوذ الصهيونى ، ويكفى لكى نلمح مدى التركيز

الصهيونى المذؤوب أن يتحرك ٥٠٠ كاهن يهودى فى يوم واحد هو ٦ أكتوبر سنة ١٩٤٩ لعرض المطالب الصهيونيه على دوائر الحكومة والكونجرس الأمريكى ، ومن هنا وجدنا كلا الحزبين الكبيرين الممثلين بأغلبية فى الكونجرس يضعان المطالب اليهودية (الصهيونية) ضمن برامجهما ٠

٣ ـ كسب الحكومة :

وكانت هذه هى الخطوة الثالثة فى سلسلة المنطق السليم : قواعد ضاغطة ثم نواب يضغطون بدورهم على الحكومة ثم تأثير لكل الأساليب الملحة والتى بلغ بها وايزمان حد الصفاقة على دوائر البيت الأبيض حيث يأتى القرار السياسى الأخير بلا تراجع وبتأييد من أسفل ، ومن هنا ـ ولابد من الاعتراف بذكاء الخطة الصهيونية ـ يتخذ الزعيم السياسى القرار فى مصلحة الصهيونية ومخططها وهو يتصور أنه انما يستجيب لقواعده الجماهيرية ويخدم بهذا حياته ومستقبله السياسى ٠

ولقد وجد الصهاينة فى رجلهم السياسى الرئيس الأمريكى هارى ترومان وساعدهم على ذلك عوامل عديدة :

منها أولا : ضيق الأفق السياسى لدى ترومان الذى تصور نفسه على أحسن الفروض يدافع عن الليبرالية وعن تحرر اليهود ، فما كان فى الأساس يدافع عن حركة ضد الليبرالية تدعو لبناء كيان عنصرى توسعى ٠

ومنها ثانيا : حرص على تأييد اليهود الأمريكيين فى انتخابات الكونجرس سنة ١٩٤٦ حيث أصدر تصريحات بتأييد انهجرة اليهودية المتزايدة الى فلسطين ٠

ومنها ثالثا : المنطلق الأساسى الذى يصدر عنه ترومان وكل رئيس للنظام الحاكم فى الولايات المتحدة وهو أن قيام كيان للصهيونية فى قلب المنطقة العربية يتغذى بامكانيات القوة الرادعة كفيل بالمحافظة على المصالح الاقتصادية الأمريكية فى المنطقة وباستمرار السياسة الأمريكية تلك التى كانت تبنى نفسها على أساس غرور القوة وحماقتها ، كما عبر السناتور الأمريكى فولبرايت وتتلمس فى يدها عصا غليظة تلوح بها أمام الشعوب ردعا لها وارهابا وانذارا ، كما عبر جون فوستر دالاس ٠

والخلاصة :

انه قد تم زواج غير شرعى بين مصالح متلاقية هى مصالح الحركة الصهيونية ومصالح الامبريالية البريطانية أولا ثم الأمريكية ثانيا وما يتبعهما على مر العصور القريبة الماضية من استعمارية فرنسية وألمانية ٠

وان التعبير الذى اصطلحت عليه أدبيات السياسة العربية وهو أن اسرائيل رأس جسر للاستعمار هو تعبير دقيق فى تعبيره عن وضع اسرائيل بالنسبة لقوى الاستعمار السياسى وقوى الاحتكار الاقتصادى الطامع بأقدار وموارد الوطن العربى ، بيد أن الأساس للجسر أو الحربة اذ يعمل لحساب

الاستعمار ويضرب بسيفه انما يستغل ذهبه وسيفه لتحقيق مآرب وأهداف خاصة به هو والصهيونية اذ تقف عند منعطف طريق واذ تتناقض مصالحها مع مصالح القوى المدعمة لها لا تتورع عن المضى لتحقيق أهدافها الخاصة ، خاصة وأن زعماءها يعلمون أن التردد فى تصعيد البناء الذى يباشرونه بالارهاب على الأرض العربية معناه فى كل لحظة بداية النهاية لما تم وتحقق على هذه الأرض ٠

عن العلاقة العضوية بين اسرائيل وقوى الاستعمار الغربى يقول الدكتور جمال حمدان فى دراسته الجيدة عن استراتيجية الاستعمار والتحرر:

« لقد كان من المستحيل منذ البداية أن يتحقق الحلم (الصهيونى) الا بالمساعدة الكاملة من قوى السيادة العالميه ، ومن هنا التقت الامبريالية العالمية مع الصهيونية لقاء تاريخيا على طريق واحد هو طريق المصلحة الاستعمارية المتبادلة فيكون الوطن اليهودى قاعدة تابعة وحليفا مضمونا يخدم مصالح الاستعمار ، وذلك ثمنا لخلقه اياه وضمانه لبقائه وعلى طريق هو المصلحة الاستعمارية المشتركة تحرك ارتباط الصهيونيه بالامبريالية بحسب تحرك مركز الثقل فى زعامة الامبريالية ، فكانت بريطانيا هى التى خلقت الوطن القومى منذ الحرب العالمية الاولى كما خلقت الولايات المتحدة الدولة اليهودية منذ الحرب الثانية) ٠

ثم يحدد الدكتور جمال حمدان على وجه التفصيل الدقيق سمات الكيان الاستعمارى الصهيونى المجسم باسرائيل فى الابعاد التالية :

أولا : ان اسرائيل كدولة ظاهرة استعمارية صرفة قامت على اغتصاب غزاة أجانب لأرض لا علاقة لهم بها دينيا أو تاريخيا أو جنسيا (عرقيا) ٠٠ وبهذا فعودة اليهود الى فلسطين بالاغتصاب هو غزو وعدوان لا عودة أبناء قدامى أى استعمار لا شبهة فيه بالمعنى العلمى الصارم واسرائيل بالتالى تمثل جسما غريبا ودخيلا مفروضا على الوجود العربى ، وأبدا غير قابل للامتصاص ، ولكنه حتى الآن غير ممكن اللفظ ، وبين هذا وذاك يبقى عنصر اضطراب وتهيج مضاعفات سياسية ، وبتعبير آخر يبقى بؤرة حرب كامنة ومفجر صدام استعمارى ـ تحريرى مسلح ٠

ولعل الأحداث المتتالية والمتواصلة منذ اتفاقات القدس وصفد والخليل وغيرها فى أوائل العشرينات حتى حرب سنة ١٩٤٨ ثم ١٩٥٦ ثم ١٩٦٧ وما اتصل بينهما من صدامات ثم المعونة المحتملة والتى لا يعرف مداها ولا بحسب أمدها ٠٠ لعلها كلها تؤكد غرابة هذا الجسم الاستعمارى عن الوجود العربى بشكل عام ٠

ثانيا : اسرائيل استعمار طائفى بحت والدولة دولة دينية بحته ، اذ تقوم على تجمع اليهود ، واليهود فقط فى جيتر (حارة يهود) سياسية واحدة ويرتبط التجمع الدينى لليهود بتجمع لهم أيضا على أساس عنصرى خالص ، ورغم أن اليهود ليسوا عنصرا جنسيا فى أى معنى بل جماع ومتحف لكل أخلاط الأجناس فى العالم ، كما يدرك أى أنتربولوجى فان فرضهم لانفسهم كأمة مزعومة مدعية فى دولة مصطنعة مقتطعة يجعل منهم

ومن الصهيونية حركة عنصرية أساسا ، وذلك بكل معنى العنصرية من استعلاء وتعصب واضطهاد ودموية ٠

ثالثا : اسرائيل قطعة من الاستعمار الاوروبى عبر البحار ، جزيرة أوروبية على ضفاف آسيا ومستعمرة غربية فى قلب الوطن العربى ، وذلك جنسيا وحضاريا على السواء ، وككل دعوى الاستعمار الاوروبى عبر البحار وتبريرا لاغتصابها لم تتورع اسرائيل عن أن تدعى رسالة الحضارة والتطور فزعمت لنفسها واحة التقدم فى صحراء الرجعية العربية وجزيرة الصناعة فى بحر التخلف الشرقى ٠

هذا الزعم فضلا عن فائدته الدعائية بالنسبة لصورة اسرائيل أمام العالم هو أيضا يقوم على تطلع رأسمالى استعمارى يتصور اسرائيل على مدى أطول وبفضل المزيد من التوسع الاقليمى مصنعا للانتاج وترسانة للسلاح بينما الارض العربية من حولها والارض الافريقية على أرباضها سوق مفتوحة مستهلكة لثمار التقدم الصناعى مبهورة بانجازات التكنولوجيا التى تجسدها وتستثمرها اسرائيل ٠

وهذا الزعم أيضا يتهدده ــ وقد تهدده فعلا ــ حدوث الثورة فى ٢٣ يوليو وانطلاقتها نحو بناء مجتمع صناعى يستفيد من انجازات العصر رغم كل ما شاب المسيرة من سلبيات ويطرح نفسه خاصة على مستوى العالم الثالث فى صورة مد تحريرى وتقدمى راسخ الجذور على أرضه منفتح الفكر على عالمه وعصوره ، ومن هنا كان تركيز اسرائيل ومن ورائها قوى الامبريالية العالمية على محاولة تحطيم هذا النظام بكل وسائل التحطيم سواء بمحاولة احتوائه أو التخريب عليه من الداخل أو اشغاله والاثقال عليه ، وأخيرا بالمواجهة المسلحة ضده للقضاء عليه فى ضربة خاطفة مركزة واحدة ظلت اسرائيل تعد لها وتدعم من أجلها على مدى عشر سنين ٠

رابعا : اسرائيل استعمار سكنى من الدرجة الأولى ٠٠ لكنها جمعت أسوأ ما فى النماذج المعروفة والكلاسيكية لهذا النمط من أنماط الاستعمار كما أنها أضافت الى هذا ما هو أسوأ منه : « هى كاستراليا والولايات المتحدة انتظمت قدرا محققا من ابادة الجنس (مناحم بيجين مثلا يصف مذابح الأسر العربية على يد عصابات الارهاب الصهيونى بأنها عمل رائع من أعمال الاستراتيجية العسكرية) وهى كجنوب أفريقيا تعرف قدرا محققا من العزل الجنسى ، ولكنها تختلف عن الجميع من حيث أنها طردت كل السكان الأصليين خارجها تماما ليتحولوا الى لاجئين معلقين على حدودها ٠

وهنا علينا أن نتذكر قول « وايزمان » أنه كان قد اتفق مع دوائر الاستعمار الأوروبى على تسليم اليهود فلسطين « خالية من العرب » ٠

كما أن علينا أن نلمح السلوكية الصهيونية داخل الأرض المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ وهى التى تسير باستمرار باتجاه نسف البيوت بدعوى الاشتباه فى ايوائها لعناصر المقاومة الفدائية ، وهى أيضا ومنذ انشائها لا تنفك عن محو وتغيير معالم الارض المحتلة واطلاق أسماء عبرية مستمدة أو منحوتة من تراث التعصب الصهيونى وأدبياته على معالم اسلامية ومسيحية وكأنما لم

تكفها هذه العملية من الطرد الجنسى شبه الكامل بل هى تعمد الى اعادة حرث الأرض .. لتجتث منها جذور الوجود العربى من أساسه .

خامسا : ان اسرائيل تجسيم للاستعمار المتعدد الأغراض . استعمار سكنى ، ومن استعمار استراتيجى عسكرى ، ومن استعمار استغلالى ، ومن استعمار توسعى يعلن أطماعه الاقليميه بلا أى مواربة تحقيقا لامبراطورية صهيون الموعودة من النيل الى الفرات ـ وهنا كما يبين الدكتور فايز صايغ ترتبط الدعائم الثلاث التى تقوم عليها دولة اسرائيل وهى العنصريه ، التوسع ، العدوان .. فالكيان عنصرى يهدف الى التوسع ووسيلة التوسع منطقيا هى العدوان والارهاب .

وأخيرا :

يقول الدكتور جمال حمدان : فان اسرائيل من البداية الى النهاية استعمار من الدرجة الأولى والثانية معا : استعمار بالاصالة والوكالة فى نفس الوقت ، ونقصد بذلك أن اسرائيل قامت وأقيمت بفعل ولحساب نفسها والصهيونية العالمية ، وكذلك قامت وأقيمت بفعل ولحساب الاستعمار العالمى ، فهى بالنسبة للاستعمار العالمى قاعدة متكاملة آمنة عسكريا .. ورأس جسر ثابت استراتيجيا ووكيل عام اقتصاديا أوعميل خاص احتكاريا.

هذا الالتقاء والتداخل العميق بين مصالح الصهيونية والامبريالية العالميتين هو مفتاح الوجود ـ والمصير الاسرائيلى برمته وهو الذى يفسر كثيرا من مظاهر الغرابة والشذوذ والتفرد فيه ، فالاستعمار العالمى هو الذى خلق اسرائيل بالسياسة والحرب وهو الذى يمدها بكل وسائل الحياة من أسلحة وأموال ثم هو الذى يضمن بقائها ويحميها علنا .

اسرائيل اذن استعمار من الدرجة الثانية صنو استعمار من الدرجة الأولى ، وهى الآن اقتصاديا مؤسسة للاحتكارات والاستثمارات الغربية والأمريكية بدرجة دولة ، كما أنها استراتيجيا قاعدة عسكرية وترسانة مسلحة للغرب وحاملة طائرات أمريكية ثابتة والاسطول السادس الامريكى وجد لحمايتها كأنه اسرائيل العائمة ، والمصالح هنا متبادلة خاصه على نطاق العلاقة الخاصة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، فكما تقوم اسرائيل بدور (كلب الحراسة) بالنسبة للمصالح الامريكية فى المنطقة العربية ولاستمرار هذه المصالح بين الاحتكارات الامريكية بعيدا عن قدرة العرب على تأميمها أو حتى استثمارها لصالح شعوبهم ، وتقوم أيضا بدور وكيل الاستعمار المتلصص على أسواق العالم الثالث وموارده خاصة فى القارة الافريقية ، كذلك فان الصهيونية العالمية تمارس على الولايات المتحدة والمعسكر الغربى من ثم شتى الضغوط لحساب اسرائيل .

وبمثل ما ظل هيوبرت همفرى مساعد الرئيس السابق ليندون جونسون يتملق اسرائيل واصفا اياها بقلعة الحضارة ومنارة التقدم فى الشرق الاوسط بمثل ما نجد (أشكول) رئيس وزراء اسرائيل السابق يقول : اننا فى ساعات الخطر نتطلع باطمئنان الى الولايات المتحدة .

(دراسات الدكتور جمال حمدان فى الموضوع) ٠
(* كتاب الاستعمار والتحرير فى العالم العربى) ٠
(* كتاب استراتيجية الاستعمار والتحرير) ٠
(* من معركة الدعاية الى معركة الميدان – مقال بمجلة الكاتب القاهرية – عدد يونيو سنة ١٩٦٨) ٠

اسرائيل اذن حقيقة استعمارية كما يوضح المفكر اليهودى غير الصهيونى الاستاذ مكسيم رودنسون ، ومن هذه الحقيقة يكتسب الصراع العربى الاسرائيلى بعده الاساسى على أنه صراع بين العرب والاستعمار سواء فى شكله التقليدى الممثل بالقوى التى خلقت وساندت وتساند اسرائيل أو فى شكله الجديد الممثل باسرائيل ذاتها ، وهو شكل استعمارى مركب كما أوضحنا عليه مصالح يحققها لحساب الامبريالية العالمية وله مصالحه الخاصة التى يحققها لحساب مخطط التوسع الصهيونى المعروف ٠

هذا البعد الذى أضحى بديهيا بالنسبة للصراع العربى – الاسرائيلى

ثانيا : أن العمل العربى الجاد ضد هذه الصيغة المركبه من الاستعمار الذى كان على القوى العربية أن تدركه منذ بداية الصراع – كلف جهله أو تجاهله قضية العرب وحقهم الشىء الكثير ٠

وفى ضوء هذا الجهل أو التجاهل خسر العرب قضيتهم داخل حدودهم مع اسرائيل واكتفوا بالمقاطعة ضدها وتجاهلها فى المحيط الدولى ثم باقناع جماهير الامة العربية بأهمية المعركة ضد اسرائيل ٠

ولقد كان التجاهل لاسرائيل كحقيقة موضوعية فرضت تحت الارهاب وبقوة الاستعمار فى قلب الوطن العربى مقتلا للتحرك العربى ضد الصهيونية ومخططها ، اذ كان المنطق العربى الذى يصدر عنه هذا التجاهل معكوسا محدود الأفق ضيق النظرة اكتفى بأن أغمض عينيه عن الظاهرة الاسرائيلية ٠٠ ومن هنا لم يستطع أن يتابعها ولا أن يحللها ولا أن يدرس حركتها وافرازاتها ، ومن ثم فقد مقومات القدرة على مجابهتها والقضاء عليها ٠

هذا المنطق تصور أن الحق العربى ٠٠ مجرد الحق فى ذاته ٠٠ كفيل باقناع العالم ، وأن هذا العالم يتمثل بكبار الساسة وأعضاء الحكومات ودوائرها الرسمية ، وأن هذا الاقناع وسائله هى المنشور والبيان مكتوبا أو مذاعا وغايته أن تكون معى فى صف الحق العربى « تماما » والا فأنت عدو لى فى الصف الصهيونى « تماما » ٠

ولسنا هنا فى مجال تعداد الاخطاء والتناقضات والخلافات التى مزقت الأمة العربية واحتدمت بين أجزائها المختلفة ، وأسقطت نفسها على قدرة أمتنا فى مجابهة الصهيونية ، لكن المهم – ودروس نكسة يونيو فى الاعتبار – هو أن نصدر عن حقيقة بسيطة تتلخص فى المعطيات التالية :

أولا : ان الصهيونية على مستوى الفكر والحركة وعلى مستوى المخطط والاهداف وعلى مستوى الكيان الرسمى المجسم باسرائيل هى جزء من

الاستعمار العالمي خاصة الجديد وأن النضال ضدها هو نضال ضد صيغة استعمارية مركبة قوامها الاطماع الامبريالية وأيضا الاطماع الخاصة بالمخطط الصهيوني ذاته ٠

ثانيا : ان العمل العربي الجاد ضد هذه الصيغة المركبة من الاستعمار لابد أن يوجه نفسه مع القوى المعادية للاستعمار والمكافحة ضده مهما تباينت مقاصدها وتعددت الاغراض وأشكال المنطق التي تصدر عنها :

(أ) فهناك مثلا المعسكر الاشتراكي الذي يقف موقف المجابهة ضد الاستعمار لعدائه الايدلوجي مع النظام الرأسمالي ولتناقض مصالحه مع مصالح الاحتكارات العالمية التي تمثل قوى وركائز الاستعمار الجديد ٠

(ب) كذلك فهناك دول ــ كفرنسا ــ تحاول أن تشق طريقها على طريقة ديجول وبوحي من أفكاره بمعزل عن الوصاية الامريكية المفروضة على أوروبا الغربية وتعمل جاهدة كي تحقق لحركتها صيغة جديدة تقترب فيها حتى تتماشى أحيانا مع الدول المعادية للاستعمار تحقيقا لمصالح قومية فرنسية بالاساس ٠

(ج) وهناك أيضا بل وبالدرجة الاولى دول العالم الثالث وهي في معظمها دول نامية خرجت من تحت نير الاستعمار الكلاسيكي الجديد ويحاول معظمها أن يخرج من ربقة احتكارات الاستعمار الجديد بل ومنها من لا يزال يرزح تحت قيود القوى العتيقة للاستعمار كأنجولا وموزمبيق أو قوى الاستيطان الاستعماري كزمبابوي (روديسيا الجنوبية) وجنوب أفريقيا ٠٠

هذه القوى جميعا على النضال العربي أن يوحد نفسه معها وأن يرتبط بها في صف الجبهة الواحدة المعادية للاستعمار العتيق والعتيد والجديد على حد سواء ٠

ثالثا : وارتباطا بالقضيتين السالفتين فان قضية فلسطين تحمل في جوانبها العديدة ــ كما سبق وأن أوضحنا في سياق الحديث ــ كل ما يجعل النضال فيها مرتبطا بحركة ومصالح وهدف كل القوى التي تضمها جبهة الكفاح ضد الاستعمار ٠

فهي أولا تثبيت المصالح الرأسمالية العالمية في الوطن العربي وقاعدة اقتصادية وعسكرية تخدم الاستعمار الامريكي بالذات في منطقه تعد أقرب مناطق العالم الحيوية الى المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفيتي بالذات ــ خاصة ومنذ خرج من ستار ستالين الحديدي وبدأ ــ كأي دولة ــ تحقق مصالحها القومية ينشد آفاقا جديدة للتعامل الدولي السياسي والاقتصادي والثقافي في صياغات جديدة أيضا ٠٠ لعل أفضلها وأكثرها تحديدا وشرفا صيغة علاقات الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي بعامة مع الجمهورية العربية المتحدة والقوى الثورية العربية ، ومن هنا يتوحد النضال العربي ضد اسرائيل مع الموقف السوفيتي لمجابهة النظام الامريكي والرأسمالي بشكل عام ٠

واسرائيل ثانيا أداة للتسلل الامبريالى الى قوى العالم الثالث ـ وفى أفريقيا بالذات ـ بهدف استغلال موارد القارة وبهدف احداث أى تخريب فى الكيانات القومية أو السياسية أو الثقافيه لهذه البلاد لحساب الاستعمار ، كما حدث فى تزويد حركة تشومبى الانفصالية بالكونغو بالسلاح والمرتزقة ، وكما يحدث فى بيافرا ودور اسرائيل فى امداد انفصالها ضد الكيان النيجيرى الموحد ٠

كذلك فالتاريخ القريب لكفاح شعبنا فى الجزائر يكشف لنا توحد اسرائيل مع المخطط الرجعى الاستعمارى فى أفريقيا ٠٠ اذ كشفت محاكمات جنرالات المنظمة السرية الارهابية بعد استقلال الجزائر أن المستوطنين الفرنسيين كان لديهم وعد بالاعتراف بحكومة عنصرية استعمارية لهم فى الجزائر ، وهذه الحكومات هى جنوب أفريقيا والبرتغال واسرائيل ٠

وهى من جهة ثالثة قامت على أساس الاستعلاء العنصرى العرقى وتقوم على أساس التمييز العنصرى وتقرب فى كثير من الجوانب والتشريعات من حكومة الاستيطان الاستعمارى فى جنوب افريقيا وليس صدفة بالذات أن يكون صوت اسرائيل فى المنظمات الدولية فى جانب دولة جنوب أفريقيا العنصرية وبشكل يكاد يكون متواصلا ومستمرا ٠

وهى من جهة رابعة تقوم على أساس انولاء المزدوج اذ يعتبر يهود دولة كفرنسا وغيرها مواطنين اسرائيليين فى المنفى عليهم أن يختصوا اسرائيل أساسا بولائهم ومن ثم بجهودهم وعملهم حتى ولو تعارض مع مصالح الأمة الفرنسية التى يعيشون فيها وفى كنفها وتوضح الحقيقة كلمات الكاتبين الفرنسيين اليهوديين المعارضين للصهيونية ج ف شايف ـ يقولان « نحن نشعر بالخجل لان بعض اليهود الفرنسيين تصرفوا وكأنهم مواطنون اسرائيليون يحملون جنسية دولة أخرى هى اسرائيل !!

واسرائيل من جهة خامسة دولة تقوم على العدوان تكرسه وتكاد تمجده وهى بالذات تضرب مثلا نموذجيا على التنكر المستمر للقوانين الدولية وتجاهل مقررات التجمع الدولى أيضا على أسلوب العدوان المبيت والمتعمد لحل المشاكل بين القوى الدولية بل وأسلوب المضى فى توريط قوى كبرى بلا مسئولية تجاه سلام العالم وأمنه ٠

واسرائيل من جهة سادسة تقوم على استغلال مفاهيم العقيدة الدينية بشكل يتنافى مع مبادىء العقائد الروحية من أساسها وتصطنع مفاهيم الشعارات صادره عن الحقد التاريخى المغلف بالدين ويستند كيانها ـ ككيان ـ الى تجمع يأخذ شكل التجمع الدينى المتحرك لاحتواء الأديان الأخرى بل والذى يسقط حقده وعاهاته على هذه الديانات السماوية ويعتنقها ، وهى بهذا تمثل خطا مناقضا لخط التاريخ الانسانى المعاصر الذى يحاول ما وسعه الجهد أن يرتفع عن مهاوى التقسيم الطائفى أو الملى وأن يصل الى علمانية تفكيره والى ايجاد صيغة من التعايش البناء بين البشر ٠

رابعا : وتأسيسا على ما سبق فان على النضال العربى فى هذه المرحلة أن يخاطب كل قوى من قوى عالمنا حسب القضية التى تهمها بالدرجة الأولى وبالاسلوب الذى يؤثر فيها ، وأبلغ الأساليب كما أصبح بديهيا هو أسلوب

المسلحة المادية سلبا بمعنى ابراز التهديد الاسرائيلى بجوانبه العديدة التى شرحناها لهذه القوة أو تلك ، وايجابا وهو اظهار مدى ما يمكن أن يعود على هذه القوة أو تلك من مصالح يعد بها موضوعيا التعاون مع أمة عربية مناضلة تعيش على وطن غنى الموارد ضخم الامكانيات حيوى الموقع ٠

خامسا : على النضال العربى أن يضع نصب عينيه تلك الحقيقة التى عبر عنها بيان ٣٠ مارس من أن المعركة ليست معركة فرد وليست معركة جيش ولكنها معركة شعب ومعركة أمة عربية بأثرها تماما كما كان حدث الخامس من يونيو نكسة عارضة فى تاريخ أمة عربية كان لها وما زال أمامها دور بناء فى حضارة الانسان ٠٠ ومعنى ذلك بوضوح أنه ليس هناك بلد عربى خارج معركة المواجهة مع اسرائيل وليس هناك فرد عربى من مشرق وطننا ومغربه لا يضار أو لن يضار بالمخطط الصهيونى التوسعى ٠

واذا كان قائد النضال جمال عبد الناصر قد أدرك منذ تجربة حرب فلسطين ما عبر عنه فى (فلسفة الثورة) بأن « ما حدث فى فلسطين كان يمكن أن يحدث وما زال احتمال حدوثه قائما لأى بلد من بلاد المنطقة العربية » فان ليفى أشكول رئيس وزراء اسرائيل السابق قد حدد هدف اسرائيل من الغارة على مطار بيروت فى كلمات تقول بالنص « كان يجب أن نزيل من لبنان الشعور بأنها ذات حصانة وانهم فى حماية كائن من كان ويحق لهم أن يفعلوا ما يشاءون » ٠

ومعنى هذا أنه اذا كانت هناك قوى فى لبنان وفى غيره من بلاد الوطن العربى من تنادى بالتحرك الاقليمى غير القومى ومن تتصور أن وطنها وشعبها خارج اطار معركة المصير ومواجهة المستقبل ـ وهذا ما حدث بلبنان بالذات حيث يكرس هذا المفهوم الحلف الثلاثى المعروف المكون من (الجميل ـ شمعون ـ اده) فان العدو نفسه يتكفل فى وضوح برفع حصانة اللامواجهة ـ **حصانة اللامسئولية واللامشاركة فى المعركة** عن كل بلاد أمتنا العربية ولو كان لبنان ٠

هذا على مستوى المكان فى الوطن العربى ، وأما على مستوى الزمان كحلقات تتوالى وراء بعضها فى سلسلة واحدة فان كل نكسة للنضال العربى نتيجة سلبيات من واقع أمتنا تؤدى الى سلسلة من النكسات الأكثر فداحة وخطرا فى الحياة العربية ولقد كانت نكسة ١٩٤٨ ونكسة انفصال ١٩٦١ مدخلا لنكسة ١٩٦٧ بالاضافة الى العوامل الداخلية الأخرى فى كل من البلاد العربية ـ يقول بن جوريون عقب نكسة يونيو بأيام قليلة ٠٠ « وليس من شك فى أنه لولا اقامة دولة اسرائيل فى ٤٨/٥/١٤ لما خضنا حرب الأيام الستة وظفرنا بنتائجها وعلينا أن نتلقن الدرس بأن الهزائم العسكرية فى حد ذاتها لا جدوى من ورائها ما لم يعقبها اجراء فعال وعلينا ان **نستخدم الانتصارات العسكرية كأساس للتوطن السكانى الذى لا يمكن اغفاله** » ٠

سادسا : ان على قوى النضال العربى أن تبادر الى رسم خريطة التحرك على صعيد العالم كجزء لا يتجزأ عن التحرك لمجابهة الصهيونية بالسلاح على أرض الوطن العربى ، وهذه الخريطة لابد وأن تبدأ بأسئلة بديهية تقول :

ـ من نحالف من هذه القوى العالمية فنتوحد معها أو نحاول أن نوحدها معنا ·

ـ من نحيد فى نطاق الصراع العربى الاسرائيلى ؟

ـ من نحاول أن نعزله عن خضم هذا الصراع ـ لا نعتبره عدوا لنضالنا بعد أن رفضنا نظرية الابيض والاسود فى العلاقات الدوليه · ؟

ـ من نناضل ضده ونحشد ضده كل ما يسـع الأمة العربية من امكانيات ونحرمه من كل ما تسعه أرضها من موارد ؟ ·

هذا على مستوى مواقع التحرك العربى أما على مستوى اساليب هـذا التحرك وهى كما أوضحنا آنفا متغيرة ولا بد أن تكون فان على قوى النضال العربى أن تشفع خريطتها تلك بدراسة للعدو ولاساليب دعايته وألوان هذه الأساليب ووسائلها

فعلى مستوى قوى التحالف ، واذا بدأنا من داخل الوطن العربى :

نجد أن النكسة وظروفها والتحديات التى نجمت عنها كانت عاملا فعالا والى حد بعيد وليس بسيطا فى اثبات حقيقة استهداف الخطر الصهيونى لكل الوطن العربى وأن مجابهتها والنضال ضدها لا يختص به التقدميون العرب دون التقدميين ويجب أن ندرك بوضوح أن اسرائيل اذا كانت تركز ضرباتها على النظم التقدمية فى الأساس فباعتبار هذه النظم هى رأس الحربة فى حركة القومية العربية ·

كذلك فان مجـابهة العدو لا تختص به الدولة التى تاثرت مباشرة بالعدوان دون غيرها فلم تفرق الرصاصة الاسرائيلية بين اليمين واليسـار العربى ولم تفرق أيضا بين نظام تقليدى على حدودها أو نظام ثورى استهدفته فى مصر بالذات وبالأساس ولم تفرق بين مقدسـات مسيحية ومعالم تخص العقيدة والتراث الاسلامى ، بل أسفرت النكسـة عما هو أكثر من هذا : كانت الهجمات الاعلامية العربية هى النغمة السائدة بين نظم مختلفة فأصبحت النغمة التى تنطلق من تونس مثلا نغمة نشازا لا يكاد يهتم بها أحد ، كذلك ساهمت قوى كانت تعد ضمن الصف التقليدى فى دعم معركة الصمـود العربى الاقتصادى ضد العدوان بينما ظهرت قوى كانت تحسب على الصف التقدمى خالية من رصيد القوة وحسـابات المواجهة الفعالة بعيدا عن مجرد الشعارات ·

وليس معنى هذا أن نطالب قوى النضال العربى بأن يحشد كل العرب على نفس المستوى ولا أن يدفعهم نفس الدافع وبنفس الدرجة ـ لكن الذى نعنيه بالأساس وفى هذا السـياق هو التالى : ألا نعمد فى هذه المرحلة ـ مرحلة الخطر المحدق ـ والمتصاعد المشـترك الى تصـنيف القوى والأفكار والأفراد بين رجعية وتقدميـة ، وما بين تقليدية وثورية ··· وما بين يمين ويسار فذلك كفيل بأن يسقط نفسه بالسلب ـ على حسابات المعركة وقواها وحركتها ·

* كذلك ومن ناحية أخرى على قوى النضال العربى أن تقيم بمنطق الموضوعية وعلى أســـاس معطيات الواقع ـ قدرات كل من قوى أمتنا فى مشرقها ومغربها بحيث تصطلح هذه القوى على ما « يمكن » أن يقدمه كل منها بشكل واقعى لا مساومة فيه ولا مزايدة أو مناقصه بحيث يحسب نضـالنا قدراته الواقعية دون حسـاب لحسن نوايا أو سـوئها ودون انتظـار لآمال وتمنيات واعدة فى ظل الغيب بل بحسب المتاح والممكن والموجود ٠

* ان يوظف كل ما أتيح من امكانيات حسب ما ســـبق فى خدمة المعركة ونحن هنا بصدد معركة الكلمة والحقيقة والأعلام وبشكل ينطلق من قاعدة فكر الى مستوى تخطيط الى صعيد تنفيذ حسب ما يوضح الاســـتاذ بهاء الدين فى دراســـته عن الدعاية العربية (كتاب اسرائيليات وما بعد العدوان ص ٢٣٩) وعلى الفكرة أن توضـح وتفند وتبنى مفـــاهيم جديدة بالنسبة لشعوب العالم وحكوماته ٠

تفند أساليب الدعاية الصهيونية ـ بعد دراستها ـ والقائمة على مزاعم حضارة اسرائيل ازاء التخلف العربى والاشتراكية ازاء الاقطاع والرأسمالية العربية ودعوى أضطهاد اليهود فى المجتمع العربى ٠

ثم نوضح عراقة الأمة العربية فى صنع الحضارة وصورة نضالها الراهن من أجل القضاء على التخلف الذى يعد جزءا من ميراث الاستعمار فى المجتمع العربى ٠

ولقد يهتم الأعلام العربى على سبيل المثال بابراز انجاز السـد العالى وآثاره على تغيير صيغة الحركة فى مجتمع مصر العربى ٠٠ ولقد يهتم أيضـا بالتقدم فى صناعة الدواء فى الجمهوريه العربية المتحدة تلك التى بدأت من الصفر أو تكاد ٠٠ ولقد يهتم بالأعمال الفنية وشخصيات مفكرينا وعلمائنا فى مشرق الوطن ومغربه ٠٠ ولقد ينطلق فى مرحلة ما من الأسـئلة الذكية التسعة التى طرحها الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر نصرة الشـعوب العربية فى يناير سنة ١٩٦٩ وهى فى مضمونها تشكل الموقف الفكرى العربى تجاه الصهيونية واسرائيل من قضـية اقامة اسرائيل على خرافات ودعاوى أسطورية وأشارة الى علاقتها العضوية بالاستعمار وتشكيلها فاصلا غريبا فى قلب الأمة العربيـة يحول دون وحدتها ٠٠ ومن ربط اسرائيـل كقاعدة للامبريالية الامريكية تستمد من خلالها قدرة غير مباشرة لضرب النضـال العربى القومى ، ومن تفنيد بأحداث التاريخ القريب بدعوى عدوانية العرب أو اضطهادهم لليهود ثم من أيضاح صورة التحرك العربى ضد الصـهيونية نضالا شرعيا وشريفا ضد الاحتلال والاغتصاب ٠

قد يفعل الأعلام العربى هذا كله ٠٠ ولكن عليه أيضـا ألا يلجأ الى (استسهال) الشـعارات يطرحها بلا مضمون يحترم فيه عقلية المتلقين والمستجيبين أ والصياغات الحماسية يلقيها للاستهلاك المحلى فتولد نفسية ثم سلوكية فى الجماهير العربية تبعد بها عن موضوعية التحرك للقضية « لا تضع أمام الجماهير الحقائق والمراحل المتعددة والطرق المعقدة التى لا بد من سلوكها حتى نصل الى انتزاع شوكة الخطر الصهيونى الاستعمارى المغروزة فى جنب

العالم العربى بدلا من أن تقدم للجماهير العربية شعارا مبهما يجعل الجماهير فى حالة تصـــور أن ثمة لحظة فى ظرف ما يحدث فيهـــا حادث تختفى به اسرائيل فى غمضة عين ..

(أحمد بهاء الدين ـ المرجع السابق)

ثم يأتى التخطيط للعمـــل الأعلامى العربى حيث يجب أن يوجه الى المواقع التى طرحنا بصددها الأسئلة السابقة .

من نحالف :

هم ـ فضلا عن القوى العربية الشريكة عضويا وحياتيا ومصـــيريا فى القضية يمثلون فى القوى المعادية للاســتعمار فى العالم تلك التى تناولناها ضمن القضايا الســـابقة فى البحث ، ولقد نجد من خلال حركتنا فى أرض الواقع ..

ان هذه الدولة أو تلك برغم كونهـــا رازحـــة تحت نير التخلف أو الاستعمار الجديد أو كونها حتى محسوبة ضمن المعسكر الاشتراكى .. قد نجدها تتحرك فى اتجاه غير مؤيد لصالحنا أو قضيتنا والحديث هنا يصـــدق بالذات على كثير من دول أمريكا اللاتينية وبعض الدول فى آسيا وأفريقيا ـ ومع ذلك فان علينا أن نتفهم بامعان وعمق ودون ما انفعال ـ حقيقة القـــوى والدوافع التى تحكم هذه الدولة وترسم لها مواقعها ومنها ما يرتبط بفـــكر يســـودها أو تضليل وقع نظامها أسيرا له أو تحكم امبريالى ضاغط على هذا النظام أو قوى صهيونية تضغط بدورها عليه ... وتبين الدوافع يحفز على مواجهتها أو مراجعة بعضـــها على الأقل ويدفع الى المحاولة وتكرار المحاولة ويفرز أساليب أكثر دقة وذكاء وحساسية فى مواجهة هذه المواقف .. المهم كما نكرر باستمرار ألا يحكمنا منطق الأبيض والأســـود منطق ـ الخصم ـ لدودا لا ننفض أيدينا منه ، والصديق حميما ـ نحمله ما قد يحتمل ..

ومن نحيد :

من خلال مواقف وتجارب أثبتها الواقع يســـتطيع النضال العربى أن يحيد بعض القوى فى العالم لا يطلب منها أن تؤيده بل يطلب منها فقط أن تقف على الحياد بينها وبين العدو الصهيونى .. وأبلغ مثل على هذا أســـبانيا وفرنسا واذا كانت أســـبانيا قد أدت دورا يفوق مجرد الحياد وتعداه بعدم اعترافها باسرائيل وتأييدها للحق العربى فى حدود المقررات الدولية ـ الى موقف يقرب من الصداقة ـ فان فرنسا مثل ما زال حيا وحركيا على امكانية تحرك دولة لها وزنها من دول العالم الى موقف انحياز بلغ حد التوحـــد فى أول الخمسينيات مع اسرائيل الى موقف أقرب الى الحياد الموضوعى ومن خلال نظرة ذات أبعاد تاريخية ثم واقعية للديجولية زعامة وقيادة وفكرا ..

ولقد كانت العلاقة المسماة بالخاصة بين فرنسا واسرائيل انحيازا كاملا الى اسرائيـــل اذ أنه بقدر ما كانت بريطانيا كما عبر الباحثون ـ هى الأب

البيولوجى لاسرائيل وكانت أمريكا هى الأب الاجتماعى لها – فان فرنسا ظلت – خاصة أثناء حرب الجزائر – هى حاضنة اسرائيل ومربيتها ..

واذا كانت حرب الخامس من حزيران ومبادرة اسرائيل الى العدوان هى الخيط الذى التقطته القيادة الديجولية كى تحرك فرنسا من موقف الانحياز فان كثيرا من العبء المتبقى يقع على الجهد العربى – الاقتصادى – من خلال افساح المجال أمام تعاون فرنسى – عربى يستفيد منه الطرفان على حد سواء، والثقافى يوثق فيه العرب العلاقات الثقافية مع الفكر الفرنسى ، وهى علاقات أصيلة بحكم التاريخ يستثمر فيها العرب مبعوثيهم الدارسين والعاملين فى فرنسا وأيضا جالياتهم المخالطة للحياة اليوميه فيها على كل مستوياتها خاصه تلك الوافدة من المغرب العربى ويتوجهون فيها الى قطاعات الشعب الفرنسى حتى يتفهم أكثر القضية العربية وتنزاح أضاليل الصهيونية التى ترسبت على رؤيته فاختلطت عليه الأمور ..

ومن نعزل :

ومحاولة العزل هنا تتطلب فى رأينا جهودا مضنية وحساسية بالغة فى التحرك اذ أن جهد التحييد ينبنى على مبادرة مهما كان حجمها وتباينت دوافعها – تتخذها قيادات من داخل المجال الذى نهدف الى تحييده استجابة لمنطق الموضوعية لكن محاولة العزل خارج أطار المواجهة العربية – الاسرائيلية لا بد وأن تتراوح بين – الايضاح بلا كلل – لابعاد القضيه ومفهومها – وبين التلويح الحساس بورقة هذه الدولة أو تلك داخل الوطن العربى .. فدولة مثل بلجيكا أو هولندا أو الدانمرك لا بد أن ننتظر منها موقفا محايدا تماما يستجيب لصوت المنطق والضمير فى الصراع العربى – الاسرائيلى ومع ذلك فلا بد من بذل الجهد لايضاح الصورة أمام شعوبها وفى نفس الوقت تستخدم ورقة المصالح التى تعيش عليها هذه الدول فى حصص البترول العربى أو فى سوق الاستهلاك السلعى العربى ..

كذلك فان محاولة العزل على مستهلكى هذه القوى ومنها أيضا دول الشمال الاسكندنافى – عليها أن تركز فيما نرى – على الشعوب وليس مجرد النظم الحاكمة مستثمرين فى ذلك أى قدرات وأدوات متاحة لنا وسط هذه الشعوب غير مستغرين لأى جهد يمكن أن نؤثر به مهما بلغ معدل سرعتنا .. فى هذه النقابة العمالية أو تلك الرابطة الشبابية أو فى هذا التجمع المثقف ..

ومن هنا فأن محاولة العزل تتشعب الى مسارين :

الأول : عزل الحكومات والنظم عن الانحياز لعدونا .

الثانى : عزل قطاعات من الجماهير والرأى العام عن مواقف العداء والانحياز التى يحتمل أن تتخذها ضدنا هذه الحكومات والنظم وفى صف عدونا ..

ويصدق الجهد فى المسار الثانى على قطاعات من الشعب البريطانى

بالذات اذ أن فى قناعتنا أن النظام الحاكم البريطانى مهما تغير شـــكله أو أسلوبه وقواه ما بين عمال ومحافظين فان التركيبة التى يتحرك من خلالها والمشكلات التى يجابهها تضعه فى موقف الانحياز الكامل وراء أمريكا ومن ثم الانحياز لاسرائيل ..

كذلك يصدق الجهد ولو بشكل يحتاج الى معاناة شـــديدة على بعض قطاعات الشعب الامريكى خاصة قوى (الانتلجنسـيا) المثقفة ذات الرؤية الأكثر عمقا وشمولا ووضوحا وذلك على أساس أن نستثمر قضايا المواطن الامريكى التى تهمه بالأساس وفى طليعتها مصالحه الاقتصادية وسمعه بلاده فى الوطن العربى وغيرها .

وأخيرا ...

من نصارع :

نعود فى هذا المجـــال الى بدايات البحث الى الأب البيولوجى والأب الاجتماعى للكيان الصهيونى فى الأرض العربيـة الى انجلترا وأمريكا وهى توأم الاستعمار العالمى واذا كان جون فوستر دالاس قد أكد « أن اسرائيل قد خلقت لتعيش وأن الولايات المتحدة تعتبرها حقيقة واقعـــة » واذا كان الأستاذ أرنولد توينبى يؤكد بموضوعية المؤرخ « أن بريطانيا خلقت الوضع الذى نراه فى فلسطين عن ســـابق قصد وتصميم وذلك للابقاء على مصالحها الاســـتعمارية » فمعنى ذلك أن اسرائيل كدولة ـ قاعدة وكرأس حربة للاستعمار وسوط ارهاب ضد التقدم العربى .. ثم كأداة للتسلل الى دول العالم الثالث لحساب الاستعمار بالوكالة ولحساب الصهيونية العالمية بالاصالة ـ معنى هذا من ناحية أن اسرائيل مخططا وسياسة ووجودا مرتبطة باستراتيجية الامبريالية العالمية والممثلة حاليا فى أمريكا وانجلترا كتـابع لهـــا ثم فى الاحتكارات الرأسمالية الدولية فى ألمانيا الغربية ثم يقوى اليمين الرجعى فى العالم من عنصرية كروديسيا وجنوب أفريقيا ومن اســـتعمارى عتيق كالبرتغال ..

والصراع العربى ضد هذه القوى وارد لانه مفروض على أمتنا بمنطق المصير لكنه يخضع لأولويات المواقف ولمدى حدتها ودرجة حرارتها بمعنى اذا كانت مواجهتنا لاسرائيل رصاصة برصاصة ومدفع بمدفع واشـــتباك باشتباك وتلاحم قتالى قد يصل يوما الى حد السلاح الأبيض فان صراعا مـع البرتغال يتمثل فى امداد ودعم بكل وسائل الامداد والدعم لمناضلى مستعمراتها فى أنجولا وموزمبيق من أجل التحرر وبالتـالى من أجل دعم الجبهـة التى نتحرك فى اطارها بالدرجة الأولى وهى الجبهة المعادية للاستعمار ..

كذلك ـ وفى اطار أولويات هذا الصراع فان علينا أن نتنبه الى حقيقة أولويات تطرح نفسها على الجانب الأخر وبمعنى أن الصـــهيونية اذا كانت تستخدم مخطط الاستعمار فى المنطقة العربية فهى تخدم بالأولوية هـــدف المخطط الصهيونى عبر السنين ..

ولقد تصل الأمور أحيانا الى أن تختلف أهداف الصهيونية مع الاستعمار

العالمى واختلاف درجة وليس اختلاف نوع ـ بمعنى أنه قد تخضع كمية التأييد الأمريكى مثلا لاسرائيل وكمية العمالة الاسرائيلية مثلا لامريكا ـ قد تخضع هذه او تلك لمنطق الزيادة او النقصان وعلى قوى النضال العربى أن تقبع راصدة ومتحفزة لمثل هذا التباين فى الأهداف والمصالح وتحديد موقف عربى سريع وواقعى ومرن ازاءها وليس ادل على امكانيه حدوث مثل هذا التباين أن يصل موشى ديان مثلا الى وضع اليهود ـ الصهاينة يوما فى جانب ؛ وجميع القوى العالمية الأخرى بما فيها بالطبع قوى الاستعمار المؤيد لاسرائيل ـ فى جانب آخر .. يقول ديان فى ١٩٦٨/٨/٧ : « هنا يوجد نحن وهم .. نحن اليهود .. وهم قوى العالم بأسره الذى كرهنا وسيكرهنا دائما .... »

كذلك فمعروف موقف اسرائيل من قضية القدس حيث قال عنها ليفى اشكول أن هذا الموقف لا يخضع لأى مرونة على الاطلاق ؛ ويقطع ايجال الون فى مشروعه بعزم اسرائيل على البقاء فى القدس ـ ومع ذلك فلقد اضطرت أمريكا الى التصويت فى صف القرار القاضى بعدم شرعيه اجراءات اسرائيل فى ضم القدس ولم يكن هذا الاصرار عفويا .. فلقد رأينا مدى الجهد الخارق الذى بذلته السياسة الامريكية للتمكين لاسرائيل وانتزاع الاعتراف الدولى بها فى المنظمات الدولية فى سنة ٤٧ ؛ ١٩٤٨ ذلك الجهد الذى وصفه السناتور فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية فى الكونجرس الأمريكى بأنه كان سلوكا مخزيا ..

واذن فالتصويت الأمريكى الى جانب قرار القدس ونقول التصويت الأمريكى الى جانب قرار نوفمبر ١٩٦٧ ـ أملته بالاساس حسابات المصالح الأمريكية قبل أن تمليه حسابات الانحياز الأمريكى المعروف لاسرائيل ..

وأخيرا فانا اذا كنا قد أسهمنا فى الحديث عن أبعاد الصراع العربى الاسرائيلى فى الآفاق الدولية فان ثمة عبارات توجز البعد الأساسى فى القضية ثم فى طرحها وتحركها سياسيا واعلاميا على الصعيد الدولى ـ أوردها القائد جمال عبد الناصر فى كلمة افتتاح المجلس الوطنى الفلسطينى (أول فبراير شباط ١٩٦٩) فعلى مستوى القضية وجوهرها يقول :

« أن الأمة العربية كلها يجب أن تعلم وتلك عبرة ايجابية من دروس النكسة ومعركة ٥ يونيو أن القضية ليست قضية شعب فلسطين وحده وانما القضية تمتد بعد ذلك الى أوسع وأبعد .. ذلك أن العدو الصهيونى يسعى فعلا الى تحقيق هدفه التوسعى بين النيل والفرات وبالتالى فان مشاركة بقية شعوب الأمة العربية فى هذا الصدام بين القومية العربية والعنصرية الصهيونية ليس مجرد عاطفة حيال الشعب الفلسطينى وانما هو دفاع عن النفس فى أى وطن عربى » .

ان المخطط الصهيونى اتخذ من أرض فلسطين نقطة بداية ولن يتورع عن دفع هدفه حتى النهاية طالما أتيحت له الفرصة وهو يتصورها اليوم متاحة له بعد نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ ويترتب على ذلك أن يكون واضحا بالنسبة لكل بلد انه لا يعطى للنضال الفلسطينى ما يعطيه منه أو تكرما أو على مجرد

التضامن العاطفى وانما يعطى ما يعطيه دفاعا عن النفس ودفاعا عن الحياة فى اطارها الوطنى وفى بعدها القومى .

وعلى مستوى التحرك العربى سياسيا وآعلاميا يقول :

« علينا أن نتسلح بوعى عميق مرن ولكن بغير تفريط .. نتحرك لكن بغير الاستسلام .. قادر على كسب الأصدقاء على كل أرض بغير تضحية بالمبدأ ساع الى السلام مع ادراك قاطع بأن السلام ليس سلام العدو الذى يريد فرضه ؛ ولكن السلام سلام العدل وسلام الحق لأنه بالعدل وبالحق يصبح سلام الحقيقة » .

المحاضرة الثانية

عدوان يونيو ١٩٦٧

مقدماته . وأهدافه
اشكالِ ووسائل النضال لكسب المعركة

ينتقل الصراع بين الأمة العربية وبين اسرائيل الى مرحلة جديدة من المواجهة بعد أن استعادت البلاد العربية وخاصة الجمهورية العربية المتحدة قدرتها لا على مواجهة أى عدوان جديد وحسب بل وعلى توجيه ضربات موجعة للعدو ، اذا حاول بالفعل ضرب القوى العربية النامية ، ان هذه المرحلة تتصف بخطر خاص كما ذكر الرئيس فى خطابه الختامى فى الدورة الثانية للمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى · وهو ذلك الخطر الذى يترتب على وصول العدو الى مرحلة اليأس من تحقيق أهدافه الرئيسية من العدوان مما قد يؤدى به الى الاقدام على ضربات طائشة لعله يصل بها الى تحقيق الأهداف التى استمر يسعى اليها طويلا ولم يتمكن من تحقيقها كنتيجة لصمود الشعب العربى ومقاومته رغم الهزيمة القاسية التى منيت بها الجيوش العربية فى يونيو سنة ١٩٦٧ ·· وفى مرحلة الخطر هذه ؛ التى قد تأخذ شكل العدوان لا على الجيوش العربية وحسب بل على المدنيين العرب وخاصة فى أنحاء الجمهورية العربية المتحدة بهدف اثارة الاضطراب والتأثير فى نفسية الجماهير ، فى هذه المرحلة فان وضوح الرؤية للجماهير تلعب دورا هاما فى تماسكها وفى نجاحها وفى مجابهة كل ضغط ؛ ومن ثم تلعب دورا حاسما فى القضاء على كل محاولات الاستعمار والصهيونية فى التأثير على تماسك الجبهة الداخلية الدرع الواقى لأمتنا ؛ والأساس الوحيد الذى يمكن أن يستند اليه أى عمل عسكرى ناجح ؛ وفى هذه الظروف أيضا تحاول القوى المضادة اثارة الشكوك واشاعة البلبلة مستغلة أى عملية ناجحة للعدو أو أى تضحيات يتحملها شعبنا ؛ فتشكك أولا فى احتمالات النجاح فى مواجهة العدو ؛ وتحاول من ناحية ثانية القاء أعباء التضحيات على القيادة المسئولة التى « أوصلتنا بسياستها الى هذا الحال وأدت بالتالى الى التضحيات الجسيمة التى يتحملها شعبنها » بمثل هذه الاقوال وبما يماثلها تحاول العناصر المضادة أن تؤثر فى قوة الجبهة الداخلية وتماسكها ممهدة بذلك لانتصار الاستعمار حليفها الطبيعى ؛ وساعية الى التمهيد لتغيير الاوضاع فى الداخل لصالح بقايا الرأسمالية والاقطاع ولو كان ذلك على حساب الصالح الوطنى لأمتنا ؛ ان الرد على هذه المحاولات يقتضى ردودا واضحة على كل الأسئله التى قد تثيرها القوى المضادة أو حتى تلك التى تثار بين قوى الثورة بحسن نية ، ان الاجابة على مثل هذه الاسئلة بوضوح وبصراحة كفيل بأن يقوى عزم المناضلين ويوضح الطريق أمامهم ويزيد من تدعيم الجبهة الداخلية وفى هذه الورقة محاولة للاجابة على تلك الاسئلة التى تثار حول العدوان وأهدافه وأساليبه والسياسة العربية لمواجهة واستراتيجية وتكتيك النضال العربى ·

أولا : لماذا حدث العدوان وما هى أهدافه ؟ وهل نتج من ارسال القوات العربية الى سيناء وقفل مضايق تيران ؟ هل ساهمت السياسة العربية فى التمهيد له أو أدت الى الاسراع به ·· ؟

يحلو للقوى المضادة دائما ان تشير الى قرار ارسال القوات المصرية الى سيناء في صيف ١٩٦٧ والى قرار طلب سحب القوات الدولية والى اغلاق مضايق تيران باعتبارها الأسباب المؤدية الى عدوان ١٩٦٧ مشيرة بذلك الى انه لولا اقدام القيادة المصرية على هذه الخطوات لما حدثت الحرب وبالتالى لاستمر السلام فى الشرق الاوسط ؛ ولما تعرضت البلاد العربية الى الهزيمه : وتجد مثل هذه الاقوال أذنا صاغية لدى البعض ممن لا يعون وعيا كاملا حقيقة الموقف فى الشرق الاوسط وطبيعة التطورات التى أدت فى النهاية الى هذه المواقف فى صيف ١٩٦٧ . ان أحداث ١٩٦٧ لم تبدأ من فراغ بل هى النتيجة النهائية لعديد من التطورات السابقة .

وليس من الضرورى أن نعود لفهم الموقف الى الحديث عن قيام اسرائيل وزرعها فى وسط البلاد العربية بواسطة الاستعمار ولا عن أهداف الاستعمار من قيام دولة تعتمد اعتمادا كاملا على معاونته وحمايته فى قلب المنطقة العربية فى ذلك الجزء الحاسم الذى يصل بين الدول العربية فى أفريقيا وبين الدول العربية الآسيوية وانما يكفى أن نعود الى تاريخ اسرائيل القريب وتاريخ الاستعمار فى المنطقة .

ان تاريخ اسرائيل مع الجمهورية العربية المتحدة بالذات ليبين أن مصر والجمهورية العربية المتحدة بعد ذلك قد تعرضت لسلسلة من الاعتداءات الاسرائيلية دون أى استفزاز من جانبنا يوجب هذه الاعتداءات — ان الاعتداءات على العوجة والكونتيلا والصبحة خلال سنوات ١٩٥٣ ؛ ١٩٥٤ ؛ ١٩٥٥ يبرر بما لا يجعل هناك مجالا للشك كيف أن الاعتداءات الاسرائيلية كانت توقت وتتم لا نتيجة لاى نزاعات يثيرها العرب لكن لتحقيق توسع على حسابهم أو لتهديدهم والضغط عليهم بهدف الالتجاء الى الاستعمار باعتباره الوسيلة الأساسية للحماية من اسرائيل ؛ ان هذه الاعتداءات قد استهدفت الى جانب احتلال المنطقة المنزوعة السلاح وبالتالى توسيع رقعة اسرائيل ؛ دفع مصر الى أحضان حلف بغداد ، ففى خلال هذه الفترة التى أعلنت فيها مصر مقاومة حلف بغداد ورفضت الانضمام اليه ، وفى نفس الوقت الذى رفضت فيه دول حلف الاطلنطى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية تسليح جيش مصر فى مقابل شراء الاسلحة بالعملة الصعبة ؛ نقول فى هذه الفترة تعددت الاعتداءات الاسرائيلية لعلها تؤدى الى قبول مصر بالشروط التى يفرضها الاستعمار ومن ثم تجبر على الاشتراك فى أحلافه العسكرية .

ثم كان تحطيم مصر لاحتكار السلاح وفشل الاستعمار فى الوصول الى أهدافه ؛ وبدأت السياسة المصرية تتجه اتجاها واضحا الى تحقيق الاستقلال الوطنى الكامل بما فى ذلك الاستقلال الاقتصادى والتحرر من مناطق النفوذ؛ وأخذت مصر تلعب دورا هاما فى قيادة الحركة العربية الوطنية المتصاعدة التى ترفض الخضوع للاستعمار وتسعى الى التحرر والوحدة ؛ وسعت الولايات المتحدة عن طريق الضغط الاقتصادى وسحب العرض بتمويل السد العالى الى اجبار مصر على تغيير مسلكها ؛ ولكن الصراع العربى من أجل الاستقلال تصاعد واستمر ، فالأردن قد رفض التحالف مع بريطانيا وطرد جلوب وثار ضد تمبلر رئيس أركان الحرب البريطانى ؛ وسوريا قد قامت

فيها حكومة وطنية تسعى الى مزيد من الاستقلال والوحدة العربية ؛ والجزائر مستمرة فى النضال ضد الاستعمار الفرنسى ومصر قد ردت عـــلى محاولة الضغط الاقتصادى باسترجاع قناة السويس وفى هذه الظروف تم التآمر الاستعمارى الذى أنتج العدوان الثلاثى وتحركت اسرائيل دون أى استفزاز من القوات المصرية أو تحرك منها فى سيناء أو غير سيناء لتلعب دور العميل الواضح للاستعمار فى عملية استهدفت المحافظة على المصالح الاستعمـاريه التقليدية من ناحية وتحقيق حلم اسرائيل فى التوسع من الناحية الاخرى ·

ان صمود الشعب المصرى ؛ ووضوح التواطؤ الاستعمارى الذى قاد الى تحرك واسع لكل الشـعوب المحبة للسـلام بما فى ذلك الشعب البريطانى نفسه ؛ ومساندة الرأى العام العالمى القوية لمصر وخاصة مسـاندة الدول الاشتراكية ؛ وفشل الدول الاستعمارية فى التنسيق مع الولايات المتحـدة كنتيجة للتناقض بين مصالح هذه الدول من جانب والمصـالح الامريكية من الجانب الآخر ، كل هذا أدى فى النهاية الى فشل العدوان واضطرار دوله الى الانسحاب ·

وكان من النتائج الرئيسية للعدوان انهيار النفوذ البريطانى والفرنسى فى الشرق العربى ؛ ومحاولة أمريكا سد هذا الفراغ باحلال مصالحها ونفوذها محل المصالح والنفوذ الفرنسى والبريطانى ؛ وكان مشروع أيزنهاور تعبيرا عن هذه الحقيقة ؛ وكانت النتيجة الثانية والهامة لفشل الاستعمار هى اشتعال حركة النضال العربى والاتجاه المتزايد الى تحقيق الوحدة العربية ودون ما حاجة الى متابعة التطور اليومى للاحداث وسلسلة الانتصارات التى أحرزتها قوى الثورة العربية والهزائم التى حاقت بها ؛ فانه يمكن القول بأن المرحلة التالية لسنة ١٩٥٣ قد شاهدت اعادة تشكيل الاوضاع فى المنطقة العربيـة ومن ناحية بدأت الولايات المتحدة الامريكية تحل فى المنطقة محل الاستعمار البريطانى والفرنسى وأخذت تلعب الدور القيـادى فى مواجهة حركة الثورة العربية المتصاعدة وتنسق بين القوى المختلفة المضادة لمسار هـــذه الثورة وتخطط لها ومن ناحية ثانية اشتد ساعد قوى الثورة العربية وحققت عديدا من الانتصارات فى العراق واليمن والجزائر والجنوب العربى والسـودان · وسارت الثورة العربية من نصر الى نصر ؛ وفى الجمهورية العربية المتحدة تم تحول اجتماعى هام فى ١٩٦١ نقل المجتمع المصرى خطوات الى الامام وأدى الى المسارعة بتحقيق التنمية الهادفة لبناء دولة صناعية زراعية متقدمة فى اطار من ملكية الشعب وتحقيق العدالة الاجتماعية ؛ وكان من نتيجة اسـتقطاب القوى بقيادة الولايات المتحدة الامريكية لوقف تيار الثورة العربية من جانب وللتطور المستمر لهذه الثورة من جانب آخر دور هام فى زيادة حدة الصراع الوطنى القومى والاجتماعى فى الفترة السابقة للعدوان مباشرة ·

لقد تميزت هذه الفترة بعدد من الاتجاهات العامة التى يمكن تلخيصها فيمـــا يلى :

١ ـ اتباع الاستعمار لاستراتيجية الهجوم على النطاق العالمى · لقـد تبلورت هذه الاستراتيجية فى العدوان الامريكى على فيتنام وعلى جمهـورية

الدومينكان والتدخل فى العديد من الدول الآسيويه والافريقية ومساندة لانقلابات الرجعية فى اندونيسيا وغانا ٠

ان الاستعمار بعد أن فشلت استراتيجيته القائمة على تنفيذ سياسة « الردع الشامل » والتهديد باشعال الحرب العالمية الشاملة وسياسة الوقوف على حافة الهاويه كنتيجه لزيادة القوة العسكرية للمعسكر الاشتراكى من جانب واتجاهات الحركات القومية للتحرر القومى من الجانب الآخر ؛ فقد قام باعادة تنظيم قواه وحاول أن يبلغ نفس أهدافه السابقة باستراتيجيةجديدة؛ هى استراتيجية الحرب المحدودة ؛ فتحت غطاء من قوة ذرية كبيرة قادرة على منع القوى المضادة للاستعمار من الاشتباك فى حرب عامة ؛ يختار الاستعمار عددا من الأهداف التى يركز عليها ويوجه اليها الضربات القوية المفاجئة بأسلحته التقليدية محاولا بذلك تغيير الأوضاع لصالحه ٠ مواجها الرأى العام العالمى بالأمر الواقع ومانعا له من التحرك الفعال وقد استطاع الاستعمار الامريكى أن يطبق هذه السياسة بنجاح فى أنحاء مختلفة من العالم ؛ ولم يواجه الاستعمار أزمة حقيقية فى تطبيق سياسته هذه الا حيث بلغت مقاومه الشعوب درجة من الصمود هيأت الفرصة للمساعدة بواسطة القوى المضادة للاستعمار وعلى الاخص القوى الاشتراكية ٠

وفى اطار من هذه السياسة العامة كانت أمريكا تتحرك فى الشرق الاوسط تحاول أولا أن تغير الأوضاع فيه عن طريق الضغوط الاقتصاديه : فكان التوقف عن امداد الجمهورية العربية المتحدة بالقمح بعد أن اعتمدت الجمهورية العربية المتحدة لعدد من السنين على القمح الأمريكى الذى كان يباع لها على أساس قرض طويل الأجل يسدد بالعملة المحلية ؛ وكان الهدف من هذا التوقف هو الضغط على الجمهورية العربية المتحدة لتغيير سياستها ٠ وفى جانب الضغط الاقتصادى كانت هناك ثانيا محاولة ايجاد تكتل من القوى العربية الرجعية لمواجهة قوى الثورة متسترا باسم الحلف الاسلامى ؛ ومن ناحية ثالثة كانت هناك محاولات الاستخبارات الامريكية للتجسس فى خلال عام ١٩٦٥ ؛ ١٩٦٦ وذلك بعد أن فشلت مؤامرة الاخوان فى صيف ١٩٦٥ ؛ وأثر فشل هذه المحاولات ازداد الحديث فى الصحافة الأمريكية عن احتمالات الحرب فى منطقة الشرق الأوسط وعن احتمالات فيتنام جديدة فى هذه المنطقة ؛ وأخذ الأسطول السادس الأمريكى يتجول فى البحر الأبيض مباهيا بقواه ؛ وأعلن أشكول أن جونسون قد أبلغه ان الأسطول السادس موجود لحماية اسرائيل ٠

٢ ــ فى اطار من هذه السياسة الامريكية واستراتيجيتها العامة كان العديد من القوى تتحرك فى العالم العربى ومنطقة الشرق الأوسط أن المحاولات التى بذلت لتصفية الخلافات بين البلاد العربية فى مؤتمرات القمة لم تحرز نجاحا يذكر ؛ والمحاولات التى بذلت لتصفية حرب اليمن لم تؤت بنتيجة وفشلت بالتالى الجهود لحشد قوى العالم العربى فى مواجهة اسرائيل؛ ومنع محاولاتها لتحويل نهر الأردن ؛ أن تحركات الاستعمار وأعوانه فى المنطقة كانت متصلة بهدف واحد هو عزل الجمهورية العربية المتحدة وتشتيت قواها فى أكثر من مواجهة وايجاد حلف جديد يتخذ من الدين ستارا ومن

الولايات المتحدة الأمريكية حاميا . واتخذت هذه الجهود أشكالا متعددة من مساعدات طائلة بالمال والسلاح للمرتزقة فى اليمن الى زيارات متعـــددة ومحاولة جر العديد من القوى الوسيطه الى الاحلاف الجديدة باسم الاسلام؛ الى ايجاد تجمع رجعى جديد فى لبنان يهدد بأزمة شبيهة بأزمة ١٩٥٧ الى زيادة تفتيت الجبهة العربيه بالدعوة الى الاعتراف باسرائيل من ناحيه وعن طريق اعادة العلاقات مع ألمانيا الغربية من ناحية أخرى ؛ وباختصار كانت القوى المضادة للثورة العربية الهادفة الى التحرر والاشـتراكية تتحرك فى مخطط منسق من أجل وقف نمو الثورة بل وهزيمتها وايجاد أوضاع جديده فى البلاد العربية تسمح باستمرار السيطرة الاستعمارية واستقرار أنظمـة الحكم الرجعيـــة .

٣ ــ وكانت اسرائيل قد استطاعت فى اطار من الانقسـام القائم فى العالم العربى وبمساعدة الولايات المتحدة الامريكية أن تتحول الى معسـكر مسلح ؛ فقد حصلت اسرائيل على مساعدة ضخمة فى شكل أسلحة مجانيه من كل من الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية ؛ وأعدت بالفعل خططها لهجوم على المنطقة العربية ، وبدأت سلسلة من التحرشات الواضحه ابتداء من أوائل عام ١٩٦٧ .

ان العـدوان المدبر عـلى قرية السـموع الاردنيـة ١٩٦٧ كان بداية للتحرشـات الاسرائيلية ولسـياسة الارهاب الاسرائيـلى .. ان اسرائيـل التى كانت قـد تحولت بالفعـل الى معسـكر مسـلح قد بدأت التحرك لارهاب العـالم العربى بعمليـات مدبرة وواسـعة النطاق ، تبرز فيهـا اسرائيل كالقوة الجبـارة والقـادرة على التـأديب والارهاب ، واختـارت اسرائيل لممارسة سياستها هذه الاردن وسوريا ولكن هدفها لم يكن الاردن وسوريا بل أن هدفها كان أيضا الجمهورية العربية المتحدة ؛ أن الجمهورية العربية المتحدة هى مركز الثقل فى القوى التقدمية فى العالم العربى وهى اما أن تسكت عن العدوان فيؤدى ذلك الى عزلتها فى الاطار العربى وتفكك حركة الثورة العربية وأما أن تقدم على مساعدة البلاد العربية موضع الاعتـــداء ؛ وتتهيأ بذلك الظروف للدخول فى معركة احسنت اسرائيل الاعداد لهـا . لقد برز هذا الاتجاه بوضوح فى السياسة الصلبة التى اتخذتها اسرائيـل وخاصة ازاء سوريا ؛ فبعد عدوان مدبر بالطائرات على دمشق تردد أكثـر من تصريح من مسئولين اسرائيليين عن استعداد اسرائيل للزحف الى دمشق وتغيير الاوضاع القائمة فيها بالقوة المسلحة الاسرائيلية .

ان اسرائيل كانت تتحرك فى اطار استراتيجية عامة للاستعمار الامريكى وبتحالف وثيق معه ، واذا كان الاستعمار الأمريكى يهدف أساسا الى تصفية الثورة العربية ؛ فان اسرائيل لها أهدافها الذاتية الاخرى تلك هى التوسع وفرض الصلح على البلاد العربية فاسرائيل ليست مجرد عميل للاستعمـار بل هى شريك أيضا له مصالحه الخاصة ، ولكن مصـلحة كل من الطرفين تتلاقى تماما فيما يتعلق بمحاولة توجيه ضربة قاصمة للدول التحررية فى العالم العربى وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة . ان ذلك لا يتم عداء للموقف التحررى وللتغييرات الاجتماعية التى تتم فى الجمهورية العربية فحسب وانما

لأن البلاد التحررية وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة هى رأس الرمح فى حركة الثورة العربية ؛ وضرب هذه القوى كفيل بعودة السيطرة الاستعمارية على البلاد العربية كلها وكفيل بطمأنينة الاستعمار على استثماراته البترولية وتحقيق هيمنة اسرائيل على الشرق العربى باعتبارها شريك أصغر للاستعمار فى استغلال موارده ·

٤ ـ ان فترة ما قبل العدوان كانت تتصف بالاضافة الى ذلك بازدياد حدة الصراع الاجتماعى فى الجمهورية العربية المتحدة وفى داخل البلاد العربية التحررية بصفة عامة ؛ ان فترة التحول الاشتراكى هى بطبيعتها فترة زيادة حدة الصراع ؛ ان نجاح القوى الثورية فى تثبيت القطاع العام وتحقيق أهداف خطة التنمية ونقل السلطة الى الطبقات الشعبية كفيل بأن يفقد القوى المضادة للتحول الاجتماعى أى فرصة للابقاء على الاوضاع القديمة أو لارجاع عقارب الساعة الى الوراء ، ومن ثم فان فترة التحول بما تتضمنه من مصاعب ومشاكل هى فترة المقاومة الصلبة من العناصر المعادية ؛ ان صعوبات التنمية وأخطاء التطبيق تتيح كذلك أرضا خصبة لتحرك هذه العناصر ؛ وفى مواجهتها تصارع القوى المناصرة للاشتراكية من أجل مزيد من التطور ومن أجل كسب النصر النهائى وتثبيت القيم الجديدة وتدعيم المجتمع الجديد ·

لقد برزت هذه المظاهر على الأخص فى محاولات الاقطاع لاستعادة نفوذه ؛ وفى تفشى نواح من الاسراف فى القطاع العام وفى حرب الشائعات كما بدت فى الناحية الأخرى فى اتخاذ سياسة واضحة تحدد الأهداف المستقبلة للمجتمع وتواجه تحديات الاقطاع وتعلن عن ضرورة تصفية الرأسمالية فى قطاعات المقاولات والتجارة الخارجية وفى اتخاذ سياسة صارمة لوضع الخطة الاقتصادية موضع التنفيذ الفعلى ·

ومن الطبيعى أن يجد الاستعمار فى هذه الفترة التى يشتد فيها النضال فى الداخل وتزداد فيها حدة المتناقضات فرصة ملائمة للتحرك ومحاولة ضرب حركة الثورة العربية بصفة عامة والجمهورية العربية المتحدة رأس الرمح فى هذه الحركة بصفة خاصة ·

٥ ـ فى هذا الاطار يمكن فهم تحرك القوات المصرية الى سيناء والمطالبة بسحب قوات الطوارىء الدولية واغلاق مضايق تيران ؛ ولا شك أن هذه القرارات بنيت على تقدير معين للقوة ؛ كان يميل الى المبالغة فى قوى الثورة العربية والى التقليل من قوة اعدائها فى اطار هذا التقدير الذى كان يبدو صحيحا حين ذاك كان تحرك القوات المصرية الى سيناء هو تحرك ضرورى لمجابهة تحرشات اسرائيل والاستعمار ومحاولاتهم تصفية الثورة العربية ؛ ان جمود الجمهورية العربية المتحدة آنذاك عن اتخاذ خطوات حاسمة للرد على التهديد والصلافة الاسرائيلية والتحرش المتزايد بالبلاد العربية المجاورة لها كان كفيلا بأحداث تفكك سريع فى قوى الثورة العربية · وفى مواجهة هذا التهديد المتزايد كان من الضرورى أن تكون الخطوة من الفعالية بحيث توقف بالفعل التهديد الاسرائيلى · وكان من المقدر أن تؤدى هذه الخطوات الى هذه النتائج · ولكن الخطأ فى تقدير القوى من جانب والمخادعة الامريكية من جانب آخر ؛ والأخطاء الكبيرة التى ارتكبتها قيادة القوات المسلحة المصرية

من جانب ثالث أدت الى نتائج معاكسة تماما ؛ لقد تمكنت اسرائيل من أن توجه الى قواتنا الضربة التى طالما استعدت لتوجيهها وبلغت فى ذلك درجة من النجاح فاقت كل أحلامها وتصوراتها وكل أحلام الاستعمار وتخيلاته ·

ثانيا : الى أى حد نجح العدوان فى تحقيق أهدافه ؟

كنتيجة للخطأ فى تقدير القوى ؛ ولنقص المعلومات عن القوات المعادية والمبالغة فى تقدير القوة العربية ؛ وكنتيجة للنقص فى التدريب والاعداد ؛ وأهم من ذلك جميعه كنتيجة لأخطاء قيادة القوات المسلحة ، أدت الضربة الغادرة للقوات الاسرائيلية فى صباح الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ الى تحطيم الطيران ومن بعد ذلك الى هزيمة الجيش المصرى وتحطيمه فى سيناء · وما أن تم تحطيم جيش مصر أكبر وأقوى الجيوش العربية حتى وجهت اسرائيل ضربات مماثلة لكل من الاردن وسوريا · ولم يتوقف القتال الا بعد أن بلغت اسرائيل بالفعل الى شواطىء قناة السويس فى الغرب ونهر الأردن فى الشرق واحتلت هضبة الجولان ··

لقد كان النصر العسكرى أكبر من كل ما وصلت اليه أحلام وتفاؤل مدبرى العدوان · وتخيل الاستعمار واسرائيل أن الأوان قد آن فعلا لتحقيق كل الأهداف التى يسعيان اليها فى المنطقة العربية ألا وهى تصفية الثورة العربية ودعم النظم العربية التقليدية وتثبيت الانقسام بين أجزاء الوطن العربى وحماية الاستثمارات البترولية بما يؤدى الى مزيد من الأرباح للشركات الاحتكارية ؛ ومن سيطرة على هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة بما يدعم المركز العسكرى للمعسكر الاستعمارى بصفة عامة ويتيح نقطة هجوم قريبة من الاتحاد السوفيتى وباقى دول المعسكر الاشتراكى يتم بها محاصرته ويقرب معها أمل الوحدة وعودة السيطرة المطلقة للامبريالية فى الاطار العالمى · والى جانب هذه الأحلام التى راودت الاستعمار فقد خيل لاسرائيل أنها أصبحت قادرة بالفعل على فرض الصلح على العالم العربى وعلى توسيع رقعة أراضيها توطئة لبلوغ هدفها النهائى فى تكوين دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات · لقد بدا بعد الهزيمة العسكرية أن الأمة العربية التى أذهلتها الهزيمة لابد وأن ينتهى بها الأمر الى القبول بكل طلبات الاستعمار والى الاذعان الى كل ما تطالب به اسرائيل · على أن الهبة الشعبية الواسعة النطاق التى شملت كل البلاد العربية فى التاسع والعاشر من يونيو ١٩٦٧ والتى بلغت أقصاها فى الجمهورية العربية المتحدة سرعان ما شتت أحلام الاستعمار واسرائيل أن الشعب قد هب ليعلن رفض الاستسلام ورفض الهزيمة وأصر على أن يعتبر الهزيمة العسكرية الكبيرة هزيمة فى معركة واحدة من معارك نضاله الطويل فى مواجهة اسرائيل والاستعمار · لقد أذهلت المفاجأة قوى الاستعمار واسرائيل التى لم تتوقع ولم يكن من الممكن أن تتوقع مثل هذا الحدث ؛ولكن ذلك لم يمنع قوى الاستعمار واسرائيل من أن تعتقد بأن الزمن كفيل بتحقيق الأهداف النهائية لكل منهما واذا كانت الشعوب العربية قد هبت فى حماس لترفض الهزيمة فان معرفتها بحقائق النكسة وأبعاد الهزيمة والصعوبات الاقتصادية التى لابد أن تتعرض لها البلاد التى احتلت أراضيها وما يمكن أن يفرضه ذلك على الشعب من تضحيات ، كل هذا كفيل بتحقيق أهداف الاستعمار واسرائيل بعد وقت طال أو قصر ·

كانت هذه هى خطة الاستعمار واسرائيل · لقد أحرزت اسرائيل بالفعل انتصارا عسكريا كبيرا والزمن كفيل بتحقيق اهدافها السياسيه · ان تحقيق هذه الأهداف كفيل كذلك بتصفية الأنظمه التحررية التى أدت الى هـــذه الهزيمة ومن ثم الى ضرب حركه الثورة العربيه ضربة قاصمه باعتبار هذه الأنظمة التحررية رأس الرمح فى هذه الحركة ·

كانت اسرائيل قد احتلت بالفعل مساحات كبيرة من الأراضى العربية فى الجمهورية العربية وسوريا والاردن · وقد أصبحت جيوشها فى موقف دفاعى افضل بعد أن بعدت خطوط وقف اطلاق النار عن حدود اسرائيل وبعد أن أصبحت هذه الجيوش تحتمى بعوائق طبيعية فى قنـــاة السويس ونهر الأردن وهضبة الجولان · وقد أدت المعركة الى خسائر اقتصادية جســـيمه للبلاد العربية التى احتلت اسرائيل أراضيها فأغلقت قناة السويس أهم المصادر للنقد الأجنبى فى مصر كما احتلت سيناء بمصادرها البترولية الهامة وبلغت خسارة مصر السنوية فى النقد الأجنبى ١١٠ مليون جنيه ؛ وخسرت الأردن الضفة الغربية أهم مناطقها الانتاجية ؛ وسيطرت اسرائيل على أراضى عربية تحوى أكثر من مليـــون ونصف عربى · وأصبحت اسرائيل أقرب للعواصم العربية من قرب أى من الجيوش العربية الى اسرائيل ·

فى ظل هذه الظروف كان من الطبيعى أن تعتقد اسرائيل ويعتقـــد الاستعمار أنهم لابد وأن يصلوا الى النجاح ويحققوا الهدف المنشود ·

على أن الشعب العربى بدأ بعد الهزيمة مباشرة فى اعادة تنظيم صفوفه لمواجهة الأوضاع الجديدة · وكانت نقطة البداية الطبيعية هى تحديد أهداف النضال فى المرحلة الجديدة وحماية الاقتصاد فى المناطق التى وقع عليهـا عبء العدوان من الانهيار · وفى مؤتمر القمـــه فى الخرطوم أمكن تحقيق الاجماع العربى على عدم الصلح مع اسرائيل وعدم المفاوضه معها وعـــدم الاعتراف بها والسعى بكل الطرق لازالة آثار عدوان ١٩٦٧ مع عدم المساس بحقوق شعب فلسطين وفى مؤتمر الخرطوم كذلك أمكن تصفيه أهم الخلافات العربية وهو ذلك الذى يتعلق بحرب اليمن وأمكن بذلك لمصر أن تعيد قواتها من هناك مباشرة بعد حرب دامت خمس سنوات ؛ وأخيرا أمكن أيضا الاتفاق على أن تدعم أهم الدول البترولية «الكويت والسعودية وليبيا» والبلاد العربية التى تحملت العدوان اقتصاديا بتعويضها عن تلك الخسائر التى ترتبت عن احتلال أراضيها وأمكن بذلك العمل على استمرار الاوضاع الاقتصاديه التى كان الاستعمار قد تنبأ بانهيارها فى مدة لا تتجاوز الشهور الستة ·

وكان لا بد من أجل استعادة الأراضى المحتلة أن يعاد بناء القوة العربية وخاصة القوة العسكرية لجيش الجمهورية العربية المتحدة ؛ وكان لا بد من تهيئة الوقت اللازم لتحقيق هذه الغاية ؛ وفى نفس الوقت كان لا بد فى الاطار الدولى أن تتخذ البلاد العربية من الخطوات ما يقنـــع الرأى العـــام العالمى باستصدارها لحل المشاكل القائمة سلميا · وفى ظروف لم يكن من الممكن فيها للبلاد العربية أن تواصل القتال فعلا قبلت الجمهورية العربية المتحـــدة قرار مجلس الامن وقبلت أن تبذل الامم المتحدة جهودها من أجل اتمام جلاء القوات الاسرائيلية عن الارض العربية وانهاء آثار عدوان اسرائيل فى صيف

١٩٦٧ . ودون الدخول فى تفاصيل حول التطورات التى حدثت فى هـــذه الاثناء فانه قد أصبح من الواضح أنه رغم تشبث اسرائيل باحتلالها ومحاولاتها المستمرة للضغط والارهاب لعلها تصل الى أهـــدافها فان النصر العسكرى الاسرائيلى فى صيف ١٩٦٧ لم يمكن اسرائيل من تحقيق أهدافها السياسية. وأن الامل الذى راود الاستعمار واسرائيل فى الخضوع والاستسلام العربى قد أخذ يخفت . وان بناء القوة العربية يسير الى الامام خطوة بعد أخرى . وأن قدرتنا على توجيه الضربات الموجعة للعدو قد أصبحت حقيقة واقعـه . وأن الشعب العربى بدلا من أن يستسلم للاحتلال الاسرائيلى قد هب ليضارع قوى الاحتلال بكل قوتهمستخدما كل وسائل النضال من المظاهرات والاعتصام والاحتجاج الى الاعمال الفدائية فى أرض فلسطين وخارج حدود هذه الاراضى . وأن الحرب بدلا من أن تؤدى الى قهر الشعب العربى قد أدت الى اشتعال ثورة الشعب الفلسطينى وبروز كيانه الوطنى بحيث أصبح حقيقة دولية معترفا بها من الجميع بما فيهم الاعداء أنفسهم . ولم تعد القضيه اليوم هو متى نستسلم بل هى كما أعلنها الرئيس فى خطابه الاخـــير متى نتحرك لتحرير الارض المحتلة (يراجع بالكامل خطابى الرئيس فى افتتاح وختام الدورة الثانيـــة للمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى .

ثالثا : كيف يمكن الاعتماد على القوى «الرجعية» وكيف يمكن العمل المشترك معها على الرغم من حدة الانقسام الذى ساد فى الشرق الاوسط قبيل العدوان وعلى الرغم من مشاركتها للعدوان فى خططه لوقف مسيرة الثـــورة العربية ؟ هل غيرت هذه القوى من موقفها ؟

ان الاستعراض السابق يبين أن الاجماع العربى فى الخرطوم كان أحد الاسس الهامة التى مكنت الصمود وساعدت على مواجهة الاستعمار واسرائيل ولكن قوى وطنية وثورية عربية ومصرية لم تزل تثير السؤال عن مدى امكان الثقة فى القوى العربية التقليدية التى طالما تحالفت مع الاستعمار فى خططه لمواجهة الثورة العربية . وتطالب بعض هذه القوى أحيانا بأن تطرح سياسة اللقاء العربى جانبا ليحل محلها وحدة القوى الثورية العربية .

للاجابة على مثل هذه التساؤلات يحسن الرجوع الى الموقف قبل العدوان مباشرة . حقا لقد فشلت كل الجهود السابقة من أجل حشـــد عربى مشترك لمواجهة خطط اسرائيل لتحويل نهر الاردن . وبدلا من العمل العربى الموحد اشتد هجوم القوى اليمينية فى العالم العربى التى كانت تعتبر الثورة العربية هى عدوها الرئيسى . ولكن تحرك القوات المصرية الى سيناء سرعان ما أحدث ردود أفعال فى كل المنطقة العربية خاصة بين شعوب المنطقة وكانت ردود الافعال من القوة بحيث لم تجد معها عديد من الحكومات العربية بدا من أن تعلن تبنى سياسة جديدة شعارها هو العمل المشترك من أجل مواجهة اسرائيل وتحرير فلسطين وفى هذه الفترة السابقة للعدوان مباشرة سارعت الحكومة الاردنية تحت ضغط الشعب الاردنى وخوفا من الاطاحة بها الى المشاركة فى معاهدة الدفاع المشترك واضعة بذلك أراضيها وجيشها ضمن قوى المعركة. وحتى القوى التى طالما نددت بأى عمل لمجابهة اسرائيل وطالبت بالصـــلح معها مثل بورقيبة فى تونس لم يجد بدا من الاعلان عن تأييده للخطـــوات

العربية واستعدادحكومته لدعم نضال الشعوب العربية فى مواجهة اسرائيل · وباختصار يمكن أن نقول أنه ما ان أعلنت حالة المواجهة مع اسرائيل حتى أدى ضغط الشعوب العربية الى تحول عام فى المنطقة · وبدلا من الصراع الاجتماعى بين حكومات العالم العربى نشأ وضع جديد تعلن فيه الحكومات جميعها عن وقوفها موقفا موحدا فى مجابهة اسرائيل · وكان من الطبيعى للجمهورية العربية المتحدة أن تسارع بتبنى هذا الوضع الجديد والاستفادة منه لصالح الثورة العربية · ان العدو الاساسى هو الاستعمار واسرائيل · وأى ضربة لهذه القوى كفيلة فى النهاية بتمهيد الطريق لمسيرة الثورة العربية وزحفها لتحقيق أهدافها النهائية · وبغض النظر عن مدى اخلاص هذه الحكومات لما تعلنه وبغض النظر عن احتمال نقضها لتعهداتها فى المستقبل فان مواجهة العدو تقتضى التركيز فى جبهة واحدة وحشد كل القوى لاحراز النصر · وحتى لو كان هذا الموقف للحكومات العربية اليمينية هو موقف تكتيكى محض لا يهدف الا ليتمشى الموقف مع اتجاهات الرأى العام العربى ، فمن الضرورى للقوى الثورية التى ترغب فى حشد كل قواها فى مواجهة العدو الرئيسى أن تستفيد بهذا الموقف التكتيكى وتحول لصالح الثورة العربية عن طريق الترحيب بالعمل المشترك وفتح الطريق رحبا أمامه والنضال مع كل الشعوب العربية ليصبح هذا العمل المشترك حقيقة واقعة خلال الضغط المستمر للشعوب العربية على حكوماتها · ذلك دون خداع للنفس بأن تحولا جذريا قد طرأ بالفعل على مواقف هذه الحكومات العربية التى طالما تعاونت وتحالفت مع الاستعمار ·

واذا كانت أحداث صيف ١٩٦٧ قد أدت الى هزيمة عسكرية بدلا من النصر الذى كان من المرجو تحقيقه فان هذه الهزيمة لم تؤد كما سبق القول الى الاستسلام للشعوب العربية بل على العكس من ذلك لقد عادت القضية القومية والوطنية لتصبح هى القضية الاولى التى تواجه الشعوب العربية · لقد أدت الهزيمة الى احتلال الاراضى العربية سواء فى ذلك أراضى الدول العربية المتحررة فى مصر وسوريا أو الضفة الغربية للاردن · واشتدت صلافة العدو الاسرائيلى واتخذ موقفا صريحا يعلن فيه ضرورة فرض الصلح على العرب وضرورة قبولهم بوجود اسرائيل دولة ذات سيطرة فى المنطقة · وفى هذه الظروف فان الواجب الاساسى الملقى على حركة الثورة العربية هو تحرير الارض المحتلة وتحقيق السيادة الوطنية والقومية على أراضى الوطن العربى ·

ان تحقيق ذلك يتطلب العمل من اجل :

(أ) حشد كل القوى العربية الممكنة أولا لتحقيق صمود الشعب العربى وثانيا لاتمام الاستعدادات اللازمة لمواجهة العدو وحصره ·

(ب) التركيز على العدو الرئيسى الذى يحتل الارض العربية وعدم الانزلاق فى أى معارك جانبية سواء فى اطار العالم العربى أو خارج هذا الاطار ·

(جـ) الاستفادة من أى تناقض مهما بلغت بساطته بين مصالح القوى المضادة للثورة العربية ومحاولة استخدام هذا التناقض لصالح الثورة العربية ·

(د) التحالف الوثيق والفعال مع كل القوى المؤيدة لاهداف النضال العربى مع العمل على توضيح الاهداف العربية لها وتنسيق العمل معهـــا فى كل المجالات

(هـ) العمل على توضيح حقيقة النضال العربى لكل القوى المضادة للاستعمار واعادة كسب الرأى العام العالمى الذى استطاع العدو تضليله ان تطبيق هذه المبادىء العامة فى العالم العربى كانت تعنى : ـ

١ ـ السعى الى تصفية كل النزاعات العربية ومحاولة توجيه كل القوى العربية لمواجهة العدو الاسرائيلى ٠

٢ ـ السعى لالزام كل حكومة عربية بما يمكن أن تلتزم به من عمـل لصالح المواجهة مع اسرائيل ٠ ومن أجل العمل المشترك فى كل المجالات ٠ ويتوقف النجاح فى هذا السعى بطبيعة الحال الى مـــدى قوة حركة الشعب العربى فى كل بلد على حدة ومدى تأثر الحكومات العربية باتجاهات شعوبها ٠

٣ ـ تجنب الانزلاق فى خلافات عربيه جديدة ؛ حتى لمواجهـة هجوم بعض القوى الرجعية العربية أو رد افتراءاتها ٠ والاصرار على سياسة العمل المشترك لمواجهة العدو الرئيسى باعتبار هذه السياسة هى الكفيـلة بكشف محاولات القوى المضادة لحرف مسار العمـــل الوطنى والقومى وتوجيهه الى دروب جانبية ٠

وفى مؤتمر الخرطوم وضعت هذه المبادىء موضع التطبيق الفعلى فانتجت حل الخلافات بين الجمهورية العربية المتحدة وبين السعودية بشأن اليمن مما سمح بسحب الجيوش العربية وتركيزها جميعها فى مواجهة العدو الرئيسى للبلاد العربية كلها وهو اسرائيل ٠ كما أنتجت التزام عدد من الدول العربية بدعم الدول التى تواجه عبء المعركة فعلا مما أتاح لها امكانيـــة الصمود لاقتصادى ومكنها بالتالى من العمل المستمر لاعادة بناء القوة العسكرية ٠

ولم تزل نفس السياسة محل التطبيق خلال الدعوة المستمرة لمزيد من اللقاءات العربية ومزيد من العمل العربى المشترك ٠ وخلال العمل المستمر لازالة كل خلافات عربية جديدة قد تنشأ لا بين الجمهورية العربية والبـــلاد العربية الاخرى وحسب بل بين أى من البلاد العربية المختلفة كما لم تزل نفس السياسة محل التطبيق خلال الالتزام بعدم الاشتباك فى معارك جانبية مـع بورقيبه والحكومة التونسية رغم الحملات المستمرة على الجمهورية العربيـــة وسياستها ورغم الدعوة الصريحة للاستسلام لاسرائيل ٠

ان هذه السياسة لا تعنى الاعتماد على قوى لا يمكن الركون اليها فى المعركة الحاسمة ٠ فهى لا تمنع من حدوث أى تنسيق بين تلك القوى التى تشارك مشاركة حقيقية فى مجابهة أعباء النضال ٠ فهى لا تمنع مثـــلا من التنسيق مع قوى الثورة الفلسطينية ولا مع البلاد المحيطة باسرائيل والتى هى على استعداد لتكوين جبهة شرقية مشتركة تعمل بتنسيق كامل مع الجبهة المصرية فى مجابهة قوات اسرائيل كما أنها لا تمنع من حدوث درجة أعلى من

التنسيق مع بعض البلاد العربية الاكثر استعدادا للمشاركة فى المعركة ان ابدت أى دولة عربية مثل هذا الاستعداد فعلا ·

ان الاعتماد الرئيسى فى النضال من أجل تحرير الارض المحتلة هو على القوى العربية ذات الفاعلية فعلا فى النضال · على الشعب المصرى وقواته المسلحة القوة الرئيسية الضرورية لتحقيق أى نصر حقيقى على العدو الاسرائيلى ؛ وكذلك على قوى الشعب الفلسطينى فى الاراضى المحتله وفى منظماته الفدائية ؛ وعلى قوى الجيوش العربية التى تكون سويا الجبهة العربية الشرقية ؛ وعلى قوة الشعوب العربية التى تساند وتقف وراء هذه الجبهات وهذه السياسة لا تمنع بالاضافة الى ذلك نضال الشعوب العربية فى كل بلد عربى · ولا تعطى كما يقال أحيانا شهادة « بالصلاحية » للانظمة العربية فى كل بقاع الوطن العربى · ان مثل هذا القول يستهين اولا بقوى النضال العربى فى البلاد العربية المختلفة · ويرى فى هذه القوى قصورا يجعلها تحدد موقفها الداخلى على أساس مدى « مهاجمة » القاهرة أو « عدم مهاجمتها » للانظمة العربية القائمة ؛ ان هذا القول يعتبر أن حركة الشعوب ليست تعبيرا عن تناقضات حقيقية وتصارع للقوى الداخلية وانما هى نتيجة للحملات الدعائية الموجهة · ومن ناحية أخرى فان هذا القول يغفل حقيقة الصراع فى الداخل فى المرحلة الحالية · ان الواجب الاساسى للقوى الوطنية فى كل وطن عربى فى المرحلة الحالية هو أن ترى أن بلادها تشارك بأقصى قدرتها الحقيقية فى معركة التحرير للارض العربيه · ويعنى هذا ان اتفاق الدول العربيه على تحقيق درجة من التعاون فيما بينها لا يمنع أى حركة وطنية عربية من النضال من أجل مزيد من مشاركه حكومتها فى الجهد المبذول من أجل تحرير الارض بل على العكس يمهد السبيل لمثل هذا التحرك · كما يمكن أن تناضل الحركات الثورية الوطنية فى كل بلد عربى من أجل مزيد من التعاون والمشاركه فى معركة التحرير فان من أهم واجباتها كذلك أن تكشف كل محاولة لحرف مسار الثورة العربية الى دروب جانبية ونزاعات لاتفيد الا أعداء الامة العربية.

ان العمل من أجل مزيد من العمل العربى المشترك يعنى فقط أن الواجب الاول اليوم هو تحرير الارض المحتلة وليس اتمام التحول الاجتماعى وهو ما يجب أن تمر عليها كل القوى الثورية العربية اذا أرادت حقا أن تحقق الشروط الاولى والضرورية لاى محاولة لاتمام التحول الاجتماعى ألا وهى تحرير الارض العربية من الاحتلال الاسرائيلى ·

رابعا : سارت بلادنا خطوات فى طريق التحول الاشتراكى وأحدثت من التطورات الاجتماعية ما أدى الى وقوف طبقات وفئات اجتماعيه معينة موقفا مضادا لمسار الثورة ومناهضا لها ـ وقد أدى العدوان الى احتلال جزء من أراضينا مما أدى الى التركيز فى المرحلة الحالية على تحرير الارض التى احتلت وطرد المعتدى وقد ارتفعت لذلك الدعوة بضرورة دعم الجبهة الداخليه على أساس وحدة كل القوى الوطنية ·· فما هو المقصود بالقوى الوطنية ؟ وهل تختلف فى مفهومها عن القوى التى تكون تحالف قوى الشعب فى الاتحاد الاشتراكى العربى ؟ وهل يعقل فى مثل ظروفنا أن نؤيد بعض العناصر من خارج قوى التحالف الجهود الموجهة لتحرير الوطن ؟ وماذا يعنى

ذلك بالنسبة للتطبيق الاشتراكى فى مصر وللمحافظة على المكاسب الاشتراكية التى حققت بالفعل ؟

وعلى كل حال فان الموقف من شعار الوحدة الوطنية يجب أن يحدد أساسا بالربط بين الشعار وبين مصدره والاهداف التى يخدمها ·

ورفع هذا الشعار بواسطة قيادة الاتحاد الاشتراكى العربى يتضمن المعانى التالية :

(أ) الاحتفاظ بالسلطة لتحالف قوى الشعب منظما فى الاتحاد الاشتراكى العربى وتأكيد سلطة هذا التالحف ·

(ب) التمسك بالمكاسب الاشتراكية التى أحرزتها أمتنا والتى كانت أحد الاهداف التى استهدف العدوان تحطيمها ·

(جـ) دعوة كل العناصر الوطنية الى المشاركة الجادة والفعالة فى الجهود المبذولة من أجل تحرير الوطن فى اطار قوى الشعب العاملة ·

خامسا : الهدف النهائى للثورة العربية هو تحقيق التحرر الكامل للوطن العربى وتخليصه من الاستعمار وتحقيق وحدة الشعوب العربية وتصفية الوجود الصهيونى والسير فى طريق الديموقراطية والتقدم الاجتماعى والاشتراكية أن لا تتناقض هذه الاهداف مع القبول بقرار مجلس الامن الذى ينص على انهاء حالة الحرب مع اسرائيل وحرية المرور فى الممرات الدولية وحق كل الدول فى الوجود ضمن حدود آمنة بما فى ذلك اسرائيل ؟

يؤرق هذا التناقض الظاهرى بين أهداف الثورة العربية وبين قبول قرار ينص على وجود اسرائيل والاعتراف لها بحدود آمنه عديد من القوى الوطنية والثورية وخاصة بين الشباب ؛ ويزيد من قلقهم أن هناك قوى عربية أخرى سواء كانت حكومية أو شعبية رفضت هذا القرار ولم تزل مصرة على هذا الرفض · ومن هنا فان شرح العلاقة بين الهدف النهائى للامة العربيه وبين الاهداف المرحلية لها يصبح واجبا هاما وهذا ما سنحاوله فيما يلى :

ان لكل ثورة هدف نهائى تسعى اليه يحدد خططها ومسارها ويحدد على أساس من الواقع الموضوعى الذى تجابهه الشعوب فى كل مرحلة من مراحل نضالها أى الهدف النهائى لاى ثورة هو ذلك الذى يضم مرحلة تاريخية بأكملها ولا تتم الثورة واقعيا الا بتحقيقه · ان تحقيقه يعنى أيضا البدء فى مرحلة تاريخية جديدة لها أهداف جديدة تتطلب قوى وتحالفات جديدة من أجل اتمامها ·

على أن أى ثورة لا تتمكن فى العادة من تحقيق هدفها النهائى خلال خطوة واحدة وفى خط مستقيم واحد يحملها من نصر الى نصر دون أن تضطر الى التراجع أحيانا · ودون أن تضطر فى أحيان أخرى الى عقد أنواع من المهادنات مع بعض القوى التى قد تتناقض أهدافها مع الاهداف النهائية للثورة أو حتى الى عقد تحالفات مؤقتة مع مثل هذه القوى ·

ان اتمام أى ثورة بنجاح يحتاج الى وجود قيادة ثورية وعى بطبيعة

أهداف المرحلة الجديدة وتحديد لقوى الثورة الرئيسية والقوى التى تواجهها الثورة والحلفاء الطبيعيين للثورة والقوى التى يمكن تحييدها أو مهادنتها · كما أن اتمام أى ثورة بنجاح يعنى بالضرورة الربط بين المواقف اليومية التى تواجهها القوى الثورية وبين الهدف النهائى الذى تستهدفه الثورة · ودون الدخول فى شرح نظرى مطول فانه يمكن القول أن الهدف النهائى لا يمكن تحقيقه الا خلال تحقيق سلسلة من الاهداف الجزئيه التى تقرب من الوصول الى الهدف النهائى · ان الحكم على مدى صحة أى هدف جزئى اذا هو بمقدار ما يساعد تحقيق هذا الهدف الجزئى فى تحقيق الاهداف النهائية للثورة ·

ويحدد كل هدف جزئى أو مرحلى بطبيعة الحال على أساس من نوعية المشاكل التى يواجهها المجتمع فى كل مرحله وطبيعة توازن القوى فيـــه · ومن الضرورى دائما أن تكون الاهداف الجزئية فى كل مرحله هى أهداف يمكن تحقيقها عمليا لكى لا تشتت قوى الشعب فى نضال لا يمكن تحقيق نتائجه · ان النتيجة النهائية لمثل هذا الموقف ان حدث هو هزيمه لقوى الثورة ومن ثم تعطيل لمسارها من أجل الوصول الى الهدف النهائى · ولتوضيح ما نقول نضرب عددا من الامثله من تاريخ الثورات المعاصرة · ولنأخذ مثلا شعب فيتنام البطل وموقف ثورته وما هى أهدافها النهائية وما هى الاهداف الجزئية لكل مرحلة ؛ وكيف تحدد مثل هذه الأهداف على ضوء توازن القوى الموضوعى فى كل مرحلة · ان الهدف النهائى لثورة الشعب الفيتنامى هى بطبيعة الحـــال استقلال فيتنام ووحدة أراضيها وبناء وتطوير جمهوريه فيتنام الاشتراكية · وقد خاض شعب فيتنام نضالا مسلحا داميا من أجل تحقيق هذه الاهـــداف استمر حتى الآن أكثر من ٢٠ سنة · ولكن الثورة الفيتنامية بدأت نضالها بتحديد هدف جزئى ومرحلى هو استقلال فيتنام فى اطار من الاتحاد الفرنسى وكان رفض حكومة فرنسا لتولى حكومة هانوى للسلطة فى عام ١٩٤٥ هـــو الذى قاد الى النضال المسلح بعد ذلك · وفى عام ١٩٥٤ وبعد تسع سنوات من النضال المسلح وبعد الهزيمة الضـــخمة للفرنسيين فى ديان بيان فو قبلت الثورة الفيتنامية على ضوء توازن القوى القائمة آنذاك بتقسيم فيتنام الى شمال وجنوب وقبلت ألا يشمل حكم الثورة الفيتنامية الا الجزء الشمالى من البلاد على أن يتم الجلاء عن الجزء الباقى ويتم فيه استفتاء شعبى يكون توطئة لتوحيـــد شعب فيتنام وتحديد طريقة الحكم فيه وكان من نتيجة هـــذا الاتفاق تكوين جمهورية فيتنام الديموقراطية ؛ واشتداد النضال الوطنى فى فيتنام الجنوبية بعد أن حولها حكم ديم الى مستعمرة أمريكية تتصف بأسوأ أشكال الاضطهاد الفاشى والاستغلال والخيانة · ورغم وحدة الشعب الفيتنامى واعتراف كل الدول بوحدة الارض الفيتنامية ورغم أن تحقيق الوحدة بين شطرى فيتنام هو هدف أساسى من الاهداف النهائية للثورة الفيتنامية فان حركة التحرير فى جنوبى فيتنام تناضل أساسا فى هذه المرحلة من أجل وجـــود حكم وطنى وديموقراطى مستقل فى جنوب فيتنام ومن أجل جلاء القوات الامريكية من الجنوب · أما تحقيق وحدة فيتنام وبناء الاشتراكية فى الجنوب فهى أهداف مؤجلة · ان جبهة التحرير الفيتنامية تعلن عن استعدادها لتحييد فيتنـــام الجنوبية وترحب بالمشـــاركة فى حكومة ائتـــلافية باعتبار هذه خطوات عـــلى الطريق الطويل لتحقيق استقلال ووحدة فيتنام وبنـــاء الاشتراكيه فيها ·

وشعب فيتنام الشمالى الذى هو جزء لا يتجزأ من شعب فيتنام كله يصر فقط على وقف الغارات على فيتنام الديموقراطية ويؤيد مطالب جبهة التحرير الفيتنامية التى يعتبرها المتحدث الوحيد باسم أهل الجنوب ٠

وبالمثل فان دراسة تاريخ الثورة الجزائرية تبين أن اتفاقيات ايفيان بما حوته من تنازلات قبلتها الثورة الجزائرية حين ذلك كانت خطوة هامة وضرورية سمحت فيما بعد بتطوير الثورة الجزائرية وتحقيق الاستقلال الكامل للجزائر وسير الثورة الجزائرية فى طريق تحقيق الاشتراكية ووحدة البلاد العربية ٠

وفى تاريخ الحركات الثورية ؛ قد تصبح المحافظة على قوى الثورة هى الواجب الاساسى فى مرحلة من المراحل ٠ وقد تضطر قوى الثورة فى مثل هذه المرحلة الى قبول تنازلات ضرورية للمحافظة على قواها ٠ لتتمكن بعد ذلك من اعادة بناء قوتها والسير حثيثا فى الطريق الطويل لتحقيق أهدافها ٠ ان أحد الامثلة التقليدية على ذلك هو قبول الثورة الروسيه لصلح برست ليتوفسك فى عام ١٨ رغم ما فيه من تنازلات كبيرة قدمتها الثورة الروسية ولكن هذا الصلح أتاح للثورة بناء الدولة السوفيتية التى استطاعت فيما بعد أن تصفى كل الآثار الناتجة عن هذا الصلح ٠ ولعل أبرز الامثلة فى تاريخنا على مثل هذا الموقف هو اضطرارنا الى قبول وقف اطلاق النار فى يونيو سنة ١٩٦٧ دون أن ينص القرار على عودة القوات الاسرائيليه الى القواعد التى انطلقت منها ٠ ان القبول بمثل هذا القرار قد ساعد الثورة العربيه لان استمرار القتال بعد هزيمة الجيوش العربية فى سيناء كان لا يعنى عمليا الا فتح طريق العواصم العربية أمام قوات العدو الاسرائيلى والاطاحة بكل النظم التقدمية فى البلادالعربية واحلال نظم عميلة محلها وقبول الاستسلام لاسرائيل والخضوع للامبريالية ٠ فقد مكن قبول هذا القرار بلادنا من احباط خطة اسرائيل والاستعمار بفضل الدور الحاسم الذى لعبته الجماهير فى التاسع من يونيو ومكن بذلك من اعادة بناء القوات المسلحة وأن تقضى على القوى المنادية بالاستسلام والخضوع للامبريالية وفتح الطريق أمام نمو العمل الفدائى المسلح وبروز الشخصية المستقلة لشعب فلسطين فى ضوء من هذا الفهم يمكن العودة الى مناقشة العلاقة بين قبول قرار مجلس الامن وبين تحقيق الاهداف النهائية للثورة العربية ٠

ان الاهداف النهائية كما سبق القول هى تصفية الوجود الاستعمارى والصهيونى من الوطن العربى وتحقيق وحدة الشعوب العربية وتطورها الاجتماعى فى طريق الاشتراكية ٠ ولكن هذه الاهداف النهائية للنضال لا يمكن بلوغها الا خلال مراحل طويلة يستمر فيها الصراع بيننا وبين القوى المعادية ٠ يتخللها النصر كما يحتمل أن يتخللها بعض الهزائم ٠ وفى كل مرحلة من مراحل هذا النضال فان على القوى الثورية وقياداتها أن تحدد تحديدا دقيقا الهدف المرحلى على أسس مدى قوى الثورة ومدى قوة أعدائها ومدى امكانيات تحقيق الاهداف المحددة فعلا ٠ ان تحديد هذه الاهداف ليس مسألة ذوق شخص أو رغبة خاصة وانما تحدد على أساس من عوامل موضوعية وحقائق صلبة يؤدى تفهمها والاعتراف بها ومحاولة الاستفادة منها الى دعم حقيقى للموقف العربى ؛ كما يؤدى تجاهلها الى مزيد من التدهور والتفكك فى داخل الصف العربى برمته ٠

ان الحقيقة الاولى هى أن الجيوش العربية قد أصيبت بهزيمة عسكرية في حرب يونيو ١٩٦٧ وهى هزيمة أدت الى احتلال اسرائيل لجزء هام من أراضى الوطن العربى • وقد استطاعت اسرائيل رغم عدوانها أن تحصل على تأييد جزء هام من الرأى العام العالمى اذ ابررت قضيتها كقضية دفاع عن وجود ضد محاولة لتدمير هذا الوجود •

والحقيقة الثانية هى أن اسرائيل قد حظت بتأييد ودعم الاستعمار العالمى الذى سلحها ودرب قواها وتحالف معها وكان على استعداد لحمايتها • وقد لعب الاستعمار الامريكى وأسطوله السادس دورا أساسيا فى هذا الدعم سواء فى المجال السياسى أو العسكرى • وسواء قبل العدوان أو بعده فى الامم المتحدة أو خارجها ولم تزل اسرائيل تحظى بتأييد الولايات المتحدة ودعمها بالسلاح والمال وفى المجال السياسى •

والحقيقة الثالثة أن الوجود الاسرائيلى يحظى باعتراف أغلب دول العالم العدوة منها والمحايدة والصديقة وعلى الرغم من اعتراف بعض هذه الدول بأن اقامة الكيان الاسرائيلى فى قلب الوطن العربى كان عملا خاطئا وشكل ظلما واضحا لشعب فلسطين بصفة خاصة وللشعوب العربية بصفة عامة الا أن أغلب هذه الدول ترى أن ازالة دولة اسرائيل فى الظروف الحالية يعنى المخاطرة بحرب عالمية نووية تقف أغلب دول العالم منها موقف المعارضة •

والحقيقة الرابعة هى أن أى تحرير للارض العربية لا بد وأن يعتمد فى النهاية على تكوين جيوش عربية على درجة عاليه من الكفاءة والخبرة والتسليح لمواجهة الخبرة والتسلح الاسرائيلى ؛ وعلى الرغم من الدور الهام والفعال الذى يمكن أن يؤديه نضال الشعب العربى فى المناطق المحتلة ونضال الفدائيين العرب فى فلسطين وسيناء ؛ وعلى الرغم من امكانية تطور هذه الاعمال الفدائية الى حرب شعبية يخوضها الشعب الفلسطينى فى مواجهة اسرائيل التى تحتل أرضه فان التحرير النهائى للارض المحتلة لا بد وأن يعتمد على الجيوش النظامية للدول العربية •

والحقيقة الخامسة هى أن الدول العربية لم تزل مقسمة وأن عديدا من الشعوب العربية لا يشارك فى النضال ضد اسرائيل الا مشاركة رمزية وغير مباشرة كما أن مناطق عربية متعددة لم تزل تخضع للنفوذ الاستعمارى سواء فى شكله القديم أو الجديد •

والحقيقة السادسة هى أن تسليح الجيوش العربية لم يزل يعتمد اعتمادا أساسيا على مصادر خارجية فالبلاد العربية لم تزل متخلفة صناعيا • وكما قال الرئيس فى خطابه فى المؤتمر القومى فان بيع السلاح ليس عملية تجارية وحسب بل هو عملية سياسية كذلك • ان القدرة على الحصول على السلاح تتوقف على مدى موافقة البلد الذى يبيعه على السياسة السائدة فى البلد المشترى • واذا كانت الدول الاشتراكية على استعداد كامل لمساندتنا ماديا وأدبيا بالسلاح وفى المجال الدولى لتخليص أراضينا التى احتلت بواسطة العدو الاسرائيلى ومنع المعتدى من الحصول على أية مكاسب نتيجة لعدوانه فانها تقف موقفا واضحا من مسألة الاعتراف بحق اسرائيل فى الوجود كدولة • وبغض

النظر عن الاسباب التاريخية التى أدت الى قيام اسرائيل ؛ أو طبيعه الحركة الصهيونيه كحركة عدوانيه أو الدور العدوانى الذى تقوم به اسرائيل ·

فى ضوء هذه الحقائق من ناحية وفى ضوء رفض الشعب العربى الهزيمة والاستسلام وفى ضوء هبه الشعب الفلسطينى لمقاومه هذا الاحتلال وفى ضوء العمل الفدائى : وفى ضوء الصمود على كل الجبهات العربيـــة ؛ وفى ضوء استعداد الشعب للتضحية واصراره على تحقيق أهدافه النهائيه على ضوء هذه الحقائق تحدد أهداف المرحلة الحالية من مراحل النضال بحيث تخدم الهدف الطويل الاجل والنهائى للشعوب العربية ·

ان الهدف لهذه المرحلة هو احباط خطة اسرائيل والاستعمار فى فرض شروط الاستسلام على البلاد العربية وازاله آثار العدوان لسنة ١٩٦٧ بتحرير كل الاراضى العربية التى احتلت بعد الخامس من يونيو ؛ وعدم التفريط فى اى « بوصه من اراضى اى دوله عربيه » مع رفض اى مساومة على حســـاب شعب فلسطين ·

ان هذا الهدف المحدود لا يعيد حقوق شعب فلسطين اليه ولا يؤدى الى تصفية الوجود الصهيونى ؛ ولكنه خطوة فى الطريق اليه ·

ان تصفية الوجود الصهيونى لا يمكن تصور حدوثها عمليـــا الا مع استكمال تحرر البلاد العربية نهائيا من النفوذ الاستعمارى وبناء القوة الذاتية العربية عن طريق تكوين الدولة أو الدول العربية الديموقراطية والمتحـــدة والمتقدمة والنضال فى سبيل تحقيق هذه الاهداف هو نضال طويل وشاق · ولكنه هو وحده الذى يؤدى الى ايجاد الظروف الموضوعية التى تعتبر شرطا ضروريا لتحقيق الاهداف النهائية للنضال العربى · وبمعنى آخر فان قدرة الشعب الفلسطينى على تقرير مصيره وحريته فى العودة الى أرضه المحتلة يرتبط ارتباطا كاملا بانتصار الثورة العربية الشاملة · وتحرير الارض التى احتلت فى يونيو ١٩٦٧ دون المساس بجوهر الثورة العربية الوطنى والاجتماعى ؛ ودون المساس بحقوق شعب فلسطين كفيل بأن يقرب الساعة التى يمكن أن تتحقق فيها مثل هذه الشروط ومهما طال الزمن من أجل تحقيقها ·

اشكال ووسائل النضال من أجل كسب المعركة

النضال السياسى

رأينا فى ما قدمناه من عرض موجز للظروف التى حاطت بعدوان ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ؛ وأنه لم يكن سواء من حيث مقدماته أو أهدافه أو نتائجه سوى حلقة من حلقات الصراع المصيرى بين القومية العربية بقيادة قوى التقدم العربى وبين الحلف الصهيونى الاستعمارى ؛ وهو صراع يدور على جبهات لا يمكن أن نعزل ما يجرى على احداها عن التأثر بما يجرى على باقى الجبهات والتأثير فيه :

* وبهذا المعنى فاننا عندما نتكلم عن النضال السياسى من أجل كسب المعركة فاننا لا نعنى بذلك مطلقا السعى لايجاد تسوية سياسية للاوضاع الناجمة عن ذلك العدوان ؛ وانما نعنى شيئا مختلفا تمام الاختلاف عن هذا التصور الذى يتبادر الى أذهان البعض كلما طرح موضوع النضال السياسى كسلاح من أسلحة الصراع الناشب بيننا وبين اسرائيل وقوى الاستعمار العالمى .

* وعلى وجه التحديد فاننا نعنى بالنضال السياسى هنا : « استراتيجية المواجهة الشاملة وهى استراتيجية طبيعة الصراع الناشب بينا وبين العدوان من حيث أنه صراع مصيرى وليس مجرد نزاع على مسائل جانبية أو أغراض محدودة ؛ وبعبارة أخرى أن تكون مواجهتنا للعدو على أى جبهة ضمن اطار شامل وخطة موحدة لهذه المواجهة على كافة الجبهات ؛ وبما يكفل التعاون الكامل بينها ؛ ذلك التعاون الذى يحقق فى النهاية حسم الصراع لصالحنا .

* أن العمل العسكرى نفسه ليس سوى أداة من أدوات النضال السياسى بالمعنى الشامل الذى أشرنا اليه .

* والحرب طبقا لتعريف أساتذة فن الحرب أنفسهم هى :

« عمل سياسى أداته القوات المسلحة » .. وهم أيضا يعرفون الاستراتيجية العسكرية بأنها « فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة » .

* ولكنهم أيضا وبالرغم من أهمية الاستراتيجية العسكرية فى أى صراع دولى يرون أنها ليست سوى عامل واحد من عوامل متعددة يضمها ما يسمى « بالاستراتيجية العليا » لدولة ما أو لمجموعة من الدول المتحالفة وهى : « فن حشد وتوزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية من أجل تحقيق هدف سياسى » .

* لقد رأينا كيف أن ظروفا سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية معينة داخل وخارج المنطقة هى التى حركت العدو للقيام بعدوانه سعيا وراء أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية أيضا .

وكيف أن صمودنا سياسيا بعد الهزيمة العسكرية هو الذى مكننا من استعادة توازننا وهيأ لنا فيما بعد أن نصمد عسكريا واقتصاديا ونفسيا .

* والنظرة العابرة الى ما مضى من مراحل نضالنا وصراعنا مع العدو قد تعطى عنصر المواجهة المسلحة فى هذا الصراع - نظرا لشدة الاحساس بنتائجه وآثاره المباشرة - صورة تكاد لفرط ضخامتها أن تحجب الاصل وكأنها كائن قائم بذاته وليس عنصرا من عناصر متعددة يتأثر بها كما يؤثر فيها وتشكل فى مجموعها « قوى الحسم » فى أى صراع ؛ وحيث لا يمكن اعتبار العمل العسكرى فى أى مرحلة من مراحل هذا الصراع عاملا حاسما الا اذا كان نتاجا طبيعيا لفعل هذه العناصر مكتملة فى موازنة نفس العناصر على الطرف الآخر للصراع وليست نتيجة احتلال مؤقت فى هذه الموازنة .

* وليس هناك من شك - وهذه حقيقة يعرفها العدو تماما - فى أن « انتصاراته » فيما مضى من مراحل صراعنا معه انما كانت فى الواقع نتيجة اختلال غير طبيعى فى موازين قوى المواجهة بيننا وبينه ؛ ومن ثم فان قدرتنا على سحقه لا زالت قائمة بل مرجحة ؛ وفى شكل عمل عسكرى يكون نتاجا طبيعيا لوضع قوى المواجهة الشاملة بيننا وبينه فى موازينها الطبيعية .

* ونستطيع هنا أن نشير الى بعض مظاهر هذا الاختلال الغير طبيعى فى موازين القوى بيننا وبين العدو حتى يونيو ١٩٦٧ :

١ - أن العدو بالعلم والدراسة الجادة والتخطيط والاعداد الدائب قد أحسن استخدام موارد قوته المحدودة ماديا وبشريا ؛ بينما قصر العرب - تواكلا على ضخامة مواردهم بالنسبة للعدو - فى استخدام هذه الموارد بكفاءة كانت وسائلها فى متناول أيديهم ولكنهم لم يفعلوا .

٢ - كانت اسرائيل والاستعمار يواجهان قوى القومية العربية باستراتيجية موحدة بينما تعددت استراتيجيات العرب بتعدد دولهم ؛ بل ان بعض هذه الدول وقف من الصراع موقف المتفرج ؛ وبعض آخر كانت مواقفه على حساب القوة العربية فى مواجهة اسرائيل .

٣ - ان الاستعمار العالمى - معتمدا على قوى التناقض داخل الوطن العربى - قد استطاع أن يلعب دور الحليف والمحرض والممول لاسرائيل دون أن يتعرض وجوده ومصالحه حتى الآن لخطر المواجهة العربية الشاملة .

٤ - ان العدو كان يعرف الكثير عنا ؛ فعرف بالتالى كيف يستفيد من أخطائنا وعيوبنا - وهى أخطاء وعيوب لم نكن نحن أنفسنا نعى مدى خطورتها - بينما لم نكن نعرف عنه الا أقل القليل ومن هنا كانت تقديراته وحساباته ادق عند كل مواجهة .

٥ - ان العدو قد استطاع بالدعاية الذكية والتحرك السياسى النشط أن يكسب قوى الرأى العام العالمى الى جانب باطله ، بينما جاوز تقصيرنا فى هذا الميدان كل حدود المعقول .

* لقد كان عنف الصدمة التى سببتها هزيمة يونيو ١٩٦٧ بمثابه منبه وحافز قوى لنا كى نراجع كل أخطاء الماضى ونستوعب من دروسها ما يدلنا على الطريق ؛ طريق المواجهة الشاملة والحشد الكامل لكل مواردنا وطاقاتنا على خطوط المواجهة من العدو ؛ وبالعلم والدراسة الجادة والتخطيط والاعداد الدائب استطعنا — وسنستطيع أكثر فى المستقبل — أن نضع قوى المواجهة بيننا وبينه فى موازينها الصحيحة لنجعل منها بحق قوى الحسم التى تحسم الصراع لصالحنا .

العمل العسكرى

أولاً : احتمالات المواجهة العسكرية

ينبغى قبل أن نتناول أساليب المواجهة العسكرية مع العدو أن نحسم أولا قضية لا زالت الى حد ما موضع تساؤل ؛ هذه القضية هى :

هل المواجهة العسكرية مع العدو مجرد احتمـــال أم أنها أمر حتمى لا محيد عنه ؟

* وكأى تقدير سليم للموقف فانه لا بد أن يبدأ من موقع العدو ؛ وهنا تستوقفنا عبارة وردت فى الخطاب الذى اختتم به القائد جمال عبدالناصر الدورة الثانية من دورات عمل المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى فى ١٩٦٩/٣/٣٠ :

« نحن أمام عدو كسب منا معركة فى حرب ممتدة بيننا وبينه وهـــو يتمسك بما حصل عليه من كسب ويريد عن طريقه أن يملى شروطه كاملة فى هذه الفرصة المواتية له والتى يعلم بغير جدال أن مستقبله بعدها فى هـذه المنطقة معلق باحتمالات لا يستطيع السيطرة عليها ومن هنا ضغطه المتزايد لكى يصل فى هذه الفرصة الى كل ما يريد ٠

* ولقد أشرنا فى محاضرات سابقة الى ما يريده العدو ومعتمدين فى ذلك على تحليل لتطور الصراع بيننا وبينهم وفى ضوء استراتيجيته العامة وقد يكون من المفيد أن نؤكد ما وصلنا اليه بالتحديد ونزيده ايضاحا بعرض لقتطفات من زعماء وقادة اسرائيل فى الفترة الاخيرة والتى حددت بشـــكل واضح وصريح ماذا يريد العدو ؟٠٠

ففى حـــديث أدلى به ليفى أشـــكول الى جريدة دافار هاشـــنواع فى ١٩٦٩/١/٢٤ قال بالحرف الواحد :

« لقد سبق أن قلت وأعود فأقول أننا لن نبيع النصر مقابل طبق عدس؛ ولا فى سبيل السلام اذا كان المقصود بالسلام أن يعود بنا الى خطوط الهدنة والى حدود الرابع من يونيو عام ١٩٦٧ فان هذا لا يدخل فى حسابنا » ٠

وفى حديثه المنشور فى عدد مجلة نيوز ويك الأمريكية الصـــادر فى ١٩٦٩/٢/١٧ جاءت العبارات التالية فى رده على الأسئلة التى وجهها اليه مراسل المجلة عن مطالب اسرائيل فى مقابل السلام ٠

« دعنى أقول بوضوح وبلا غموض أنه لن يكون هناك رجوع الى الموقف السابق لحرب يونيو وخطوط وقف اطلاق النار الحالية لن تتغير الا فى حدود مأمونة ومتفق عليه فى اطار السلام النهـائى ودائم » .

« ان نهر الاردن يجب أن يصبح حدود أمن لاسرائيل بكل ما يعنيه ذلك ؛ وفى شرم الشيخ يجب أن نكون فى مركز يسمح لنا بحماية مضيق تيران .. وبالنسبة لمرتفعات جولان فاننا ببساطة لن نتخلى عنها قط .. ونفس الشيء بالنسبة للقدس فهنا لا توجد أى مرونة على الاطلاق » .

وفى يوم ٥ يوليو ١٩٦٨ القى موشى ديان خطابا أمام اجتماع شباب الكيبوتزات قال فيه :

« ان آباءنا توصلوا الى حدود أقرت فى مشروع التقسيم سنة ١٩٤٧ وأما جيلنا فقد وصل الى حدود ١٩٤٩ ؛ وأما جيل الأيام الستة فقد وصل الى السويس والاردن وهضبه جولان . وهذه ليست النهاية فبعد خطوط وقف اطلاق النار الحالية ستأتى خطوط جديدة ولكن ستمتد الى عبر الأردن ولربما للبنان والى سوريا الوسطى » .

* وكلام قادة اسرائيل هذا يفسر العبارة التى أوردناها من خطاب القائد جمال عبد الناصر « ان النصر الرخيص الذى حققته اسرائيل فى حرب الأيام الستة قد أعطاها فرصة العمر لتحلم أن تؤمن مرة واحدة والى الابد طريق وصولها الى أهدافها النهائية . وهى ان لم تستطع الافادة من هذه الفرصة فستضيع منها هذه الاهداف الى الابد ولأسباب تعلمها اسرائيل جيدا :

ـ فهى تدرك عن يقين أنها لن تستطيع أن تعيش الى الأبد وسط عالم عربى يرفضها .

ـ وهى تعلم أن الظروف الاستثنائية التى ساعدت على نشوئها وبقائها ونموها حتى الآن لن تدوم طويلا فمنطق التاريخ والواقع ؛ وباعتراف الصهيونيين أنفسهم ـ يشير الى حتمية تغيير موازين القوى فى المنطقة لصالح العرب :

* فأمام موجة التحرر التى تجتاح المنطقة كلها سيتقلص نفوذ الاستعمار حتى تنعدم قدرته على مد اسرائيل بأسباب البقاء .

* وأمام نمو التقدم العربى سيتلاشى سريعا عامل التفوق النوعى الذى تعتمد عليه اسرائيل .

* ومع التغيير الكيفى للكم العربى ستصبح اسرائيل ـ حتى لو حوت كل يهود العالم ـ أشبه بسفينة هائمة وسط بحر هائج وثائر تتقاذفها أمواجه العاتية وتحطمها شيئا فشيئا قبل أن تبتلعها فى النهاية .

* واذن فتخلى اسرائيل طواعية واختيارا عما اختطفته فى نصرها الرخيص أمر مستحيل ولأسباب تتعلق بتأمين وجودها ككيان مقبول ومسيطر فى المنطقة .

ولنعد مرة أخرى الى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى اختتام الدورة الثانية للمؤتمر القومى لنلتقط منه عبارات تصور هذا الموقف فى كلمات قليلة وبليغة :

« لقد قبلنا نحن قرار مجلس الأمن عن يقين يؤمن بأن المستقبل على الأرض العربية هو للامة العربية ؛ والنصر باذن الله عندها مهما طال الصراع .. وأما العدو فقد رفض قرار مجلس الأمن ولا زال يرفضه متحديا فى ذلك المجتمع الدولى كله ؛ وذلك عن خوف من المستقبل يدفعه الى أن يقامر بكل شىء على ما استطاع خطفه فى معركة رخيصه » .

* هذا اذن هو ببساطة موقف العدو ؛ موقف اليائس الذى ليس أمامه من أمل فى مستقبله الا اذا قامر بكل ما يملك فى حاضره .

* أما عن موقفنا نحن ؛ فالبرغم من اختلاف ظروفنا عن ظروف العدو سواء بالنسبة للحاضر وواقعه أو بالنسبة للمستقبل واحتمالاته فليس لنا من خيار أمام صلف العدو وحمقه وغروره الا الحرب نخوضها دفاعا عن الحياة وعن ماهو أغلى من الحياة نفسها عن الشرف .. عن الكرامة .. عن كل آمالنا المشروعة فى الحرية وفى التقدم .. ونقول لا خيار لان البديل الوحيد هو أن نستسلم والمستسلمون لا يختارون وانما يرغمون .. والاستسلام هنا معناه أن ترزخ الأمة العربية كلها فى أغلال العبودية لأجيال قادمة .. وأن وان تذوق من الوان الخسف والهوان مالم تذقه فى حياتها ..

ومن هنا نقول بحتمية المعركة .. وحتمية الصدام ..

ثانيا : دور القوات المسلحة هو الدور الاساسى والحاسم فى المعركة القادمة

أشرنا فى محاضرات سابقة الى تطورات الصراع بيننا وبين العدو وكيف وصلت فى يونيو عام ١٩٦٧ الى مرحلة توافرت لها من الظروف ما جعل العدو يرى فيها فرصة ذهبية لحسمها حسما يقترب به ان لم يوصله الى هدفه النهائى وهو « القبول بوجوده والتسليم بسيطرته على المنطقة » .

* ولقد كان تقدير العدو أنه يستطيع تحقيق هذا الهدف بعمل عسكرى عنيف قصير الأمد يدمر به قوى العرب العسكرية ويحتل أجزاء كبيرة من اراضي الدول العربية ، وهذه العوامل الثلاث : سرعة الضربة وعنفها ؛ وتدمير القوى العسكرية؛ واحتلال الأرض؛ تعتبر من وجهة النظر الاستراتيجية العسكرية أرجح العوامل لحمل المهزوم على الاستسلام لارادة المنتصر والقبول بشروطه .

* وكان من الممكن أن يكون استسلام المهزوم هو النتيجة الطبيعية والمنطقية لهزيمة بمثل هذا الحجم ؛ ولكن بشروط أن تكون الهزيمة نفسها نتيجة طبيعية ومنطقية لموازين القوى الحقيقية بين المهزوم والمنتصر وليست نتيجة اختلال طارىء لهذه الموازين « لا يستطيع المنتصر أن يبقيه لصالحه الى ما لا نهاية ؛ بينما « المهزوم » يستطيع ويملك « القدرة على تعديله ؛ وفوق ذلك « فهو مصمم » على أن يفعل ، وتلك حقيقة عبرت عنها ارادة الصمود ورفض الاستسلام التى أجمعت عليها جماهير شعبنا فى وقفته التاريخية يومى ٩ ؛ ١٠ يونيو ؛ وتبلورت فى تلك السرعة المذهلة التى استعدنا بها توازننا بعد لطمة الهزيمة ؛ وكانت نقطة البداية لكل التحولات التى طرأت على موقفنا بعد أن أصبح واجب حياتنا الأول هو استعادة قدراتنا على استئناف النضال المسلح والاستمرار فيه حتى النصر .

* أصبح النصر بمعنى ايقاع الهزيمة العسكرية بقوات العدو وضرورة لازمة وحيوية ليس من أجل ارغامه على الانسحاب من الارض التى احتلها بعد عدوانه فقط ولكن من أجل احداث تغيير وتصحيح جذرى فى موازين قوى المواجهة الحقيقية فى الصراع الطويل الممتد بيننا وبينه ؛ ان ايقاع مثل هذه الهزيمة بجيش العدو ومعناه تقويض الدعامة التى يرتكز عليها كيانه كله والقضاء على الأسطورة التى عاش عليها طوال العشرين عاما الماضية سواء فى بنائه الداخلى ، او فى علاقاته بالقوى الخارجية داخل الصراع وخارجها

* ولم يكن الطريق الى تحقيق مثل هذا النصر سهلا هينا فقد كان

علينا أن نعيد بناء قواتنا المسلحة تنظيما وتدريبا ؛ تسليحا وقيادة وسط ظروف بالغة الصعوبة ليس أقلها أنه كان على قواتنا المسلحة ان تحمل خلال عملية اعادة بنائها واجب الدفاع عن قلب الوطن ضد عدو منتش بحماقة القوة وغرور الانتصار السريع الذى حمل قواته الى مواقع شديدة القرب من قلب الوطن ٠

* واستطاعت قواتنا المسلحة بفضل من الله ومن تماسك شعبنا كله وقوة الصمود والاصرار فيه ؛ واستعداده لبذل التضحية دون حدود ؛ وبفضل معونة الأصدقاء وفى مقدمتهم الاتحاد السوفيتى أن تجتاز معظم الطريق الصعب وتنتقل فى عام وبعض عام من مرحلة القدرة على الصد الى القدرة على الرد ثم أخيرا الى قوة وقدرة كاملة على الردع ٠

* وفى نفس الوقت طرأت تغييرات أخرى على الموقف كله جعلت هذا النصر ممكنا بل هو « الممكن الوحيد الذى لا بديل له الا الاستسلام » ٠٠
ان هذه العبارة وردت فى خطاب القائد جمال عبد الناصر فى اختتام الدورة الثانية للمؤتمر القومى فى ١٩٦٩/٣/٣٠ لم تكن مجرد صيحة يطلقها قائد فى عشية معركة لتعبئة الحماس ورفع المعنويات ولكنها كانت تصويرا دقيقا وأمينا لواقع يصرخ كل ما فيه بأن : « النصر ممكن بل هو الممكن الوحيد » وأنه بقدر ما هو ممكن فانه ليس سهلا وانما دونه عقبات لا بد من اجتيازها وتضحيات لا بد من بذلها عن طيب خاطر ٠

* ونستطيع أن نرسم صورة هذا الواقع بابراز الخطوط الأساسية التى تكون ملامحه دون الدخول فى تفصيلات ليس من المطلوب أو المستطاع استيعابها فى حدود هذا البرنامج ؛ وطبقا للمنهج الذى تدرجنا عليه فاننا نبدأ بتقدير الموقف من مواقع العدو من واقع الاجابة على سؤالين :

السؤال الأول :

ما هى العناصر التى بنى عليها العدو استراتيجيته فى يونيو سنة ١٩٦٧ وأعطته امكانيات النصر السريع الذى حققه فى معارك الأيام الستة ؟

الاجابة :

أولا : مفاجأة : استطاع بها أن يوجه ضربة سريعه الى سلاح الطيران المصرى أخذته على غرة فأخرجته من المعركة قبل أن تبدأ ٠

ثانيا : حشد : مكنته منه خطوط مواصلات قصيرة وآمنة بين قواعده وخطوط القتال واستطاع به أن يركز قوات متفوقة محليا ضد جبهة مخلخلة فقدت قواتها غطاءها الجوى وأصيبت قيادتها بشلل عجزت معه عن مواجهة الموقف بأى تقديرات سليمة كما أفقدها السيطرة عليها ٠

ثالثا : مرونة : ساعده عليها الانهيار السريع لجبهة سيناء فاستطاع أن ينقل جزءا كبيرا من قواته لم تكن قد توغلت كثيرا فى دربها ويحشدها على جبهة الأردن حتى اذا ما فرغ منها تحول الى الجبهة السورية ٠

السؤال الثانى :

هل يمكن أن يكرر العدو فى سنة ١٩٦٩ ما فعله فى سنة ١٩٦٧ ؟

الجـــواب :

أولا : من حيث المفاجأة :

لم يعد فى امكان العدو أن يحقق هذا النصر بالمعنى المتفق عليه قـد يحاول أن يوجه ضربة الى طيراننا ولكنه على وجه التأكيد لن يأخذه على غرة كما أنه لن يجـــده فى نفس الظروف التى مكنته من اخراجه من المعـركة ســـنة ١٩٦٧ ٠

ثانيا : من ناحية الحشد :

فقد العدو أهم مميزاته : فخطوط المواصلات القصيرة الآمنة أصبحت خطوطا طويلة مهددة فى كل وقت بهجمات الفـــدائيين من ناحية وللضرب الجوى من ناحية أخرى وكلاهمـــا لم يكن له وجود فى حرب يونيو ١٩٦٧ ؛ والجبهة المصرية التى يواجهها الآن على امتداد قناة السويس لا تشبه من أى وجه من الوجوه الجبهة المخلخلة التى استطاع اختراقها فى ١٩٦٧ وأى محاولة منه لاختراقها ستكون بمثابة انتحار ؛ ومن ثم فقد أصبح عليه ولأول مرة أن يقف موقف الدفاع عن جبهة القتال الرئيسية وليلتقى لاول مرة بثقل الهجوم الذى سيأتى محتما من هذه الجبهة ٠

وبالنسبة للجبهة الشرقية فانه يواجه أيضا ظروفا تختلف اختلافا كليا عن ظروف يونيو ١٩٦٧ ؛ انه الآن يواجه جبهة موحدة تضم جيوش العراق وسوريا والأردن ــ ويواجه ثقل العمل الفدائى المتصاعد داخل الأرض المحتلة

ثالثا : من حيث المرونة :

لن يستطيع العدو أن يعتمد على هذا العنصر الهام فى حالة هجوم مركز من القوات المصرية يتعين عليه أن يواجهه بحشد الجزء الأكبر من قواته عـلى خطوط تبعد كثيرا عن قواعدها مع اضطراره فى نفس الوقت للاحتفاظ بجزء كبير من قواته فى الجبهة الشرقية ومع تصاعد العمل الفدائى وتهديده لمؤخرته وخطوط مواصلاته الا بأحد أمرين أو بهما معا :

الأول : أن يعمد الى تقصير خطوطه بالانسحاب الى خطوط أكثر قربا من قواعـده ٠

الثانى : أن يحاول تخفيف ثقل هجوم قواتنا وارباكها بضربات جوية أو بقوات منقولة جوا يوجهها الى مؤخرة هذه القوات والى خطوط مواصلاتها والى الأهداف الحيوية داخل البلاد ٠

ثم ننتقل الآن الى مواقعنا ؛ وهنا نكتفى بتســـجيل بعض الحقـائق الأساسية التى نعتقد أنها كفيلة بالاجابة على أى تساؤلات :

أولا : انه على امتداد جبهتنا مع العدو تقف قواتنا المسلحه وكل فرد منها يؤمن ايمانا راسخا بأن شرف أمته وحياتها ومستقبلها كلها معلقة بحسن ادائه لواجبه في المعركة المقبلة .

ثانيا : ان كل فرد من هذه القوات يؤمن ايمانا يقينيا بحتمية المعركة وضرورتها وأنها معركة لا تراجع فيها ولا نكوص بل نصر أو استشهاد .

ثالثا : ان هذه القوات قد استعادت ثقتها بنفسها وبقياداتها وأسلحتها وهى ثقة مصدرها :

١ ـ كفاءة عالية فى التدريب والتسليح والتنظيم والقيادة .

٢ ـ احساس بأن وراءها جبهة داخلية متماسكة وثقة وآمال شعب بل أمة بأسرها .

٣ ـ استفادة كاملة من دروس الهزيمة وتقدير سليم لقدرات العدو الذى تواجهه دون مبالغة فى هذا التقدير بالسلب أو الايجاب .

رابعا : انه على رأس هذه القوات قيادة ذات كفاءة علمية ممتازة وهى قيادة تعرف واجبها تماما وتضع فى اعتبارها مقدما كل الاحتمالات وتضع خططها على أساس مواجهتها .

خامسا : ان هذه القوات من أكبر القادة الى أحدث الأفراد تعلم تماما ضراوة المعركة وعنفها وأن الطريق الى النصر حافل بالصعوبات والتضحيات؛ ومع ذلك فهى لا تخشاها بل تتشوق اليها ولكنها تعلم أيضا أن النصر ممكن وهى مصممة على بلوغه .

ثالثا : العمل الفدائى والمقاومة الشعبية فى الأراضى المحتلة

* ان بدء العمل الفدائى المخطط ضد الاستعمار الصهيونى فى أرض فلسطين العربية فى سنة ١٩٦٥ هو أول تصحيح جذرى فى أسلوب المواجهه العربية للاستعمار الصهيونى وقوى الاستعمار العالمى التى تقف وراءه وتسانده فلقد كانت الفكرة السائدة فى الوطن العربى قبل ذلك هو أن السبيل الوحيد لتصفية الكيان الصهيونى واستعادة حقوق شعب فلسطين فى أرضه هو القيام بعمل عسكرى يعتمد فقط على الجيوش النظامية للدول العربيه ·

* غير أن امكانيات القيام بمثل هذا العمل كانت متوقفه على شروط ثلاث :

أ ـ أن تقوم وحدة عربية ذات مضمون تقدمى حدها الأدنى مصر وسوريا والأردن ·

ب ـ أن يتوافر لهذه الدولة الموحدة تفوقا عسكريا ساحقا يمكنها من أن تكتسح اسرائيل فى بضعة أيام تضع بعدها العالم كله أمام أمر واقع قبل أن تجد أى قوة دولية فرصة للتدخل ·

جـ ـ أن يطرأ على أوضاع القوى الدولية وموازينها ما يسمح بقبول هذا الأمر الواقع ·

* ولكن مضت سنين طويلة دون أن يبدو فى أى من الأفقين العربى والدولى ما يشير باقتراب هذا الامل من التحقيق :

ـ فالوحدة العربية لا تزال أملا بعيدا ·

ـ واسرائيل تقوى يوما بعد يوم وتتطلع الى مزيد من التوسع على حساب الأرض العربية والشعب العربى ·

ـ والاستعمار حليف اسرائيل لا يزال له وجود قوى وفعال فى المنطقة وهو دائما على أهبة الاستعداد لحمايتها ضد أى خطر يتهددها من الدول العربية

ـ وأوضاع القوى الدولية وموازينها لم تتغير بما يسمح بقبول المجتمع الدولى ـ بتسواى فى ذلك العدو والصديق ـ لمثل هذا العمل من جانب الدول العربية ·

* ولقد كان لاستمرار هذه الفكرة وسيطرتها لسنوات طويلة على التفكير العربى آثار سيئة لعمل أخطر هو عزل شعب فلسطين نفسه عن أن

يكون له دور فى تحرير أرضه ـ وهو أمر أسلم الكثيرين من أفراد الشعب الفلسطينى للتمزق بين اليأس من الواقع والتعلق بأهداب أمل لا يدرى أى منهم متى وكيف يتحقق ·

* وفى أوائل عام ١٩٥٦ بدأ يظهر بعض التحول فى اتجاه التفكير العربى نحو أسلوب تحرير فلسطين وتكونت فى قطاع غزة الطلائع الأولى لقوات المقاومة الفلسطينية كنواة لحرب تحريرية يخوضها شعب فلسطين لاستخلاص حقوقه من غاصبيها ؛ غير ان عدوان سنة ١٩٥٦ كان بمثابة ضربة شديدة لهذه الحركة عطل نموها لبضع سنوات وان كان العمل من أجل الاعداد لها لم يتوقف ·

* وفى يناير سنة ١٩٦٥ بدأ أول عمل فدائى مخطط من أجل حرب تحرير طويلة المدى عمادها شعب فلسطين داخل وخارج الأرض المحتلة ؛ وبرزت من بين المنظمات الفدائية العديدة منظمة « فتح » التى تميزت بأسلوب علمى واضح فى التخطيط لعملها وأهدافها تخطيطا استفادت فيه من دروس كل حروب التحرير الشعبية ولكنها حرصت فى نفس الوقت على اكتشاف طريقها من واقع تجربتها الذاتية وظروفها الخاصة ·

* ثم شهدت الشهور التى أعقبت عدوان يونيو ١٩٦٧ نموا هائلا وتصاعدا مستمرا للعمل الفدائى الفلسطينى الذى ما لبث أن فرض وجوده واحترامه على العالم أجمع الذى بدأ أخيرا يتنبه الى حقيقة ظل طوال عشرين عاما يتعامى عن وجودها وهى أن هناك شعبا اسمه شعب فلسطين طرد من أرضه وذلك عندما بدأ أبناء هذا الشعب يستعملون اللغة الوحيدة التى يفهمها العالم ويحترمها ·

* ولكى تتضح الأبعاد الحقيقية للعمل الفدائى سواء كان فلسطينيا خالصا أو عربيا بوجه عام ينبغى أن نتناول هذا العمل بفهم واضح لطبيعة دوره وحجم هذا الدور فى مرحلتين مختلفتين ـ ولكنهما غير منفصلتين فى الواقع ـ فى الصراع العربى ـ الاسرائيلى :

مرحلة ازالة آثار عدوان ١٩٦٧ ·

مرحلة ازالة آثار عدوان ١٩٤٨ ·

ونعود فنؤكد قبل أن نسترسل فى الكلام أن هذا التقسيم لم يقصد به الفصل التعسفى بين المرحلتين لاننا نعلم تماما مدى ارتباط كل منهما بالأخرى ولكن الذى قصدناه من ورائه ألا يحدث خلط فى تصور أشكال المعركة بيننا وبين العدو يباعد بيننا وبين واقع كل مرحلة ومتطلباتها ·

* ونبدأ بالمرحلة الراهنة وهى مرحلة العمل من أجل ازالة آثار عدوان ١٩٦٧ وهى مرحلة يحكم العمل من أجلها عدة اعتبارات :

أولا : ان المساحات الشاسعة التى احتلها العدو بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ خصوصا بالنسبة لسيناء التى تكاد تكون خالية من السكان لا يمكن

استردادها من العدو الا بمعركة على مستوى الجيوش النظاميه الحديثة التى تعتمد على المقاومة وكثافة النيران وتملك من القوة ما يمكنها من مطاردة العدو وطرده نهائيا من أرض المعركة ·

ثانيا : ان تصفية آثار هزيمة يونيو ١٩٦٧ ـ ولأسباب كثيرة مادية ومعنوية ـ واجب مصيرى لا يمكن أن ينتظر طويلا وهو مهما انتظر فلن تحسمه فى النهاية سوى معركة على مستوى الجيوش ·

ثالثا : أن تحرك جيوش الدول العربية لاسترداد هذه الأرض هو من وجهة نظر الشرعية الدولية حق لا يمكن أن يعترض عليه معترض ؛ وهو كما قدمنا أقرب وأضمن السبل الى ازالة آثار عدوان يونيو ١٩٦٧ ·

بناء على هذه الاعتبارات فان العمل من أجل ازالة آثار عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ هو من واجب الجيوش النظامية أساسا ؛ ولكن بالرغم من ذلك يستطيع العمل الفدائى أن يقوم بدور فعال فيه :

* فغارات الفدائيين على مؤخرة العدو، وضرب طرق مواصلاته خصوصا أثناء المعركة والهجوم على أهدافه الحيوية ؛ كل ذلك يسبب له من الخسائر وما يصيبه من ارتباك ؛ وما يستنفد من قواه فى عمليات الأمن والحراسة وما يحدثه التهديد المستمر من أضعاف لمعنوياته ؛ كل ذلك يساعد الجيوش النظامية ويسهل الى حد كبير مهمتها فى هزيمة العدو ودحره ·

* ومما لا شك فيه أن المقاومة الباسلة والتحدى الشجاع الذى يقابل به سكان المناطق المحتلة الاحتلال الاسرائيلى تمثل فى هذه المرحلة الى جانب العمل الفدائى من المتاعب وعوامل الازعاج ما يفقده عنصر الاطمئنان الى سلامة الارض التى سيتحرك عليها ليواجه معركة لم يسبق له أن تعرض لمثل قسوتها وضراوتها ·

* أما بالنسبة للمرحلة التالية وهى استمرار العمل من أجل تصفية آثار عدوان سنة ١٩٤٨ واستعادة حقوق شعب فلسطين ؛ فالعمل الفدائى هنا وبواسطة شعب فلسطين عامل أساسى بشرط أن يتصاعد الى ذروته ويتحول الى حرب تحريرية شاملة تعتمد على المزج بين أسلوب حرب العصابات وحرب القوات النظامية ؛ ولكى يحقق العمل الفدائى هدفه فى تصفيه الكيان الصهيونى واستعادة حقوق شعب فلسطين لا بد من أن تتوافر له العناصر الآتية :

أولا : استمرار يجرد اسرائيل من عامل الأمن الداخلى الذى تعتمد عليه فى استقرار سكانها الحاليين واجتذاب مهاجرين جدد ·

ثانيا : تركيز على مراكز الحساسية فى الكيان الاسرائيلى ـ وخاصة المراكز التى تعتمد عليها فى تطورها الاقتصادى والعسكرى ـ تركيزا يستنزف قواها ويعوق نموها ·

ثالثا : مرونة تكفل للعمل الفدائى عنصرى المفاجأة والانتشار وتجعل من عامل الحفاظ على الأمن عبئا ثقيلا على كاهل اسرائيل ، وتنشر الذعر والقلق بين السكان فى كل مكان ·

رابعا : عمق استراتيجى يتمثل فى أراضى البلاد العربيه المحيطة باسرائيل هو عمق تحتاج اليه بالضرورة لانشاء مراكز التدريب والقواعد التى تنطلق الى الأرض المحتلة وتعود اليها ·

خامسا : موارد مادية يجب أن تتكلف بها الشعوب العربية كلها دون حدود أو تحفظات ·

سادسا : موارد بشرية أساسها الشعب الفلسطينى واحتياطيها الشعب العربى كله ·

سابعا : احتياطى استراتيجى يتمثل فى جيوش بعض أو كل الدول المحيطة باسرائيل ويكون على أهبة الاستعداد الكامل لحماية قواعد الفدائيين فى البلاد العربية ضد أى عمل انتقامى تحاول اسرائيل القيام به ضد هذه القواعد كما يكون مستعدا لدعم جيش التحرير الفلسطينى عندما يتهيأ لتوجيه الضربة القاضية الى الكيان الاسرائيلى المنهار ·

رابعاً : الجيش الشعبى

تناولنا فى مواضع أخرى من هذا البرنامج دور الجبهة الداخلية فى دعم نضالنا من اجل معركة التحرير وازالة آثار العدوان ، وذلك من النواحى السياسية والاقتصادية والنفسية ؛ وبقى أن نتحدث هنا عن دور هو مزيج من العمل العسكرى والعمل الفدائى تتطلبه المعركة ويقع عبؤه فى الأساس على كاهل جماهير الشعب العاملة وهو دور الجيش الشعبى أو منظمة الدفاع الشعبى :

* أن دور أى قوة فى معركة المواجهة بيننا وبين العدو يجب أن يتحدد فى ضوء احتياجات المعركة نفسها وعلى أساس من الموازنه الدقيقة بين الاحتياجات والامكانيات والأخذ بأولويات يفرضها التقدير العام للموقف .

* فبالنسبة لنا هنا فى الجمهورية العربية المتحدة تتطلب مهمة تحرير الأرض التى يحتلها العدو وكما شرحنا من قبل ـ أن تقوم بها قواتنا المسلحة يساعدها عمل فدائى تتولاه قوة قليلة العدد ولكنها على أعلى درجة من الكفاءة والمقدرة التى تمكنها من العمل خلف خطوط العدو وسط ظروف غاية فى الصعوبة ؛ وهذا العمل تتولاه منظمة سيناء العربية .

* ولكن العدو يعلم أن أى مواجهة مستقبلة مع قواتنا المسلحة تحمل فى طياتها بالنسبة له مخاطر لا حد لها ؛ ومن ثم فانه يعد ـ ومن المرجح أن يفعل ـ الى أسلوب فى الحرب يتجنب به مثل هذه المواجهة مع التمسك بالهدف الذى من أجله شن عدوان يونيو ١٩٦٧ وهو اجبارنا على التسليم بشروطه .

* وسواء أخذنا نحن زمام المبادرة فى المعركة القادمة أم كان هو البادىء بالهجوم فانه سيعمل لكل الوسائل الممكنة على تجنب مواجهة قواتنا المسلحة بكل ثقلها فى معركة حاسمة ومن هنا فانه على الأرجح سيعمد الى توجيه ضربات سريعة ومتفرقة الى مؤخرة قواتنا ؛ بالاضافة الى بعض أهدافنا الداخلية الحساسة أملا فى ومن وراء هذا الأسلوب أن يضطر قواتنا الى توزيع جهودها لحمايه مئات من الاهداف فى طول البلاد وعرضها الى جانب ما يمكن أن تحدثه مثل هذه الضربات من أضرار مادية ومعنوية تؤثر أثرا سيئا فى قدرتنا على مواصلة المعركة .

* ومن هنا نستطيع أن نحدد دور الجيش الشعبى بأنه : حماية أهدافنا الداخلية والدفاع عنها ضد مثل هذه الضربات التى قد يوجهها العدو اليها ، وتتضمن هذه الحماية عديدا من الواجبات التى يستطيع الجيش الشعبى أن يسهم بها اسهاما ايجابيا فى كسب المعركة نذكر منها :

أولا : انشـــاء وتدريب فرق الدفاع المسلح عن المرافق والمصـــانع والمنشئات الهامة التى قد تتعرض لاعمال تخريبية يقوم بها العدو بواسـطة متسللين أو بقوات منقولة جوا ·

ثانيا : أعمال الدفاع المدنى ·

ثالثا : فرق الاسعاف والانقاذ ·

رابعا : فرق الاطفاء ·

خامسا : انشاء كتائب العمل ؛ المساعدة للقيام ببعض أعمال الاصلاح والانشاء والنقل التى قد تحتاج اليها القوات المسلحة ؛ أو معالجة الأضرار الناتجة عن قصف العدو للمناطق السكنية والطرق والمرافق والمصانع ·

❊ وأخيرا فانه من واجب القيادات السياسية وأجهزة الأعلام والمسئولين عن منظمات الجيش الشعبى أن يوجهوا اهتماما خاصا الى ناحية معنوية على أكبر جانب من الأهمية : فكثير من جماهير الشعب لا زالت فى تحمســه للاسهام فى المعركة تنظر الى حمل السلاح وكأنه العمل الوحيد الذى يسبغ على حامله شرف الاسهام فى المعركة ؛ وواجب القيادات أن تعمل بكل جهد على تغيير هذه النظرة الخاطئة أن المعركة تحتاج الى أكثر من حمل ا لكسبها وأى عمل يقوم به أى مواطن يساعد على توافر المتطلبات العــديدة لنجاحنا فيها هو شرف لا يقل عن شرف القتال ·

❊ هذه هى حدود الدور المطلوب من الجيش الشعبى فى المرحلة الراهنة أما بالنسبة للمستقبل فان طريق النضال لا زال طويلا وممتدا واحتمالاته لا تنتهى طالما بقيت على ظهر هذه الأرض قوى الاســتعمار تتربص بآمال الشعوب وحقوقها المشروعة فى التحرر والتقدم وواجبنا أن نعد العدة منذ الآن ونعمل بدأب على أن نتحول فى المستقبل أمة مسلحة متأهبة فى كل لحظة من الزمان للاقاة أى عدوان وسحقه أيا كان مصدره ·

خامسًا: الصمود الاقتصادى

الدكتور لبيب شقير :

بسم الله الرحمن الرحيم ·

ان العمل السياسى على مستوى الجمهورية بأكملهـــا لا يمكن ن يكون عملا ناجحا الا اذا كانت عناصر القيادة فى هذا العمل على مستوى المحافظات جميعا ــ قادرة دائما على أن تحلل بدقه وبفهم علمى سليم جميع الجوانب المتعلقة بالتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصـــادية والعسكرية التى تحيط بمجتمعنا فى مرحلته الحالية وفى مراحله المقبله ان شاء الله ؛ والموضوع الذى أتعرض له اليوم هو موضوع نظرة على الجانب الاقتصادى فى وضعنا السياسى العام ونظرة على الجانب الاقتصادى فى ظروفنا الحالية · والموضوع الذى سنعرض له هو الجانب الاقتصادى فى ظروفنا الحالية ومدى صموده وخدمته لأهداف المعركة وسنقسم الموضوع الى ثلاثة أجزاء : ــ

١ ــ الجزء الأول سنقدم فيه تحليلا عاما للعلاقة بين الجانب الاقتصادى والجانب السياسى ومدى تفاعل الجانبين كل منهما مع الاخر ·

٢ ــ وفى القسم الثانى سنعرض لوضعنا الاقتصادى وتطوره منـــذ بداية سنوات التحول الاشتراكى حتى الآن مع اعطاء صورة عامة عن الميزانية الأخيرة المعروضة حاليا على اللجنة المركزية والمعروضة أيضا على مجلس الأمة لكى نعرف ماذا تصوره هذه الميزانية من حيث الوضع الاقتصادى ·

٣ ــ القسم الثالث والأخير سنخصصه لبيان واجباتنا كتنظيم سياسى فى مواجهة الجوانب التى سوف نثيرها فى الناحية الاقتصادية ·

أما بالنسبة للجانب الأول وهو جانب الارتباط بين النواحى الاقتصادية والسياسية فسنبدأ بالاشارة الى أن الميثاق قد عرض بدقة وتعمق وفى ايجاز لجانب أساسى جدا من جوانب هذه العلاقة عندما قال « ان السلطة الاقتصادية فى أى بلد من البلاد تكون هى الأساس الذى تستند اليه السلطة السياسية وحيث توجد السلطة الاقتصادية فانها بالضرورة يستتبع أن توجد معهـا السلطة السياسية ومعنى هذا الكلام يقتضينا أولا أن نقول ما هى السلطـة الاقتصادية ثم نرى كيف تتحقق النتائج التى شرحها ولخصها الميثاق حيث يقول أن السلطة الاقتصادية توجد معها السلطة السياسية ·

ان السلطة الاقتصادية هى السيطرة على عناصر الانتاج ؛ واذا تناولنا هذا التعريف فان السيطرة على عناصر الانتاج تتم من خلال سيطرة فئة أو طبقة معينة على عنصرين مهمين من عناصر الانتاج هما الأرض ورأس المال ·

وحيث توجد السيطرة على الأرض أو رأس المال توجد السلطة السياسية واذا كنا نقول : الأرض ورأس المال فان أثرهما يختلف حسب التطور الاقتصادى وحسب مرحلة التطور ؛ فمن الجائز أن يكو نللارض فىمرحلة الغلبة والقوة ؛ وفى مرحلة أخرى يكون مع الأرض ورأس المال ٠

ولو أخذنا مثلا على هذا المجتمع الاقطاعى فاننا نجد السيطرة الاقتصادية مقرونة بالسيطرة على الأرض يستتبع ذلك السيطرة الاقتصادية على أهم عنصر وهو الأرض فهى المحرك الرئيسى فى العمليه الزراعية وليس ضروريا أن يوجد الاقطاع فى صورته الكاملة ؛ اذ يمكن تطور الاقطاع فى مجتمع تقدمت فيه الصناعة بعض الشىء ولكنبالرغم من هذا التطور فالمجتمع اساسا صورته اقطاعية حيث أن النشاط الاساسى يتحقق من الأرض ؛ وهذه هى الصورة التى كانت لدينا حتى عام ١٩٥٢ حيث كانت توجد صناعة وتجارة ولكن عنصر الزراعة ــ من غير شك ــ كان يمثل النشاط الغالب؛ وبالتالى فان السيطرة على الأرض الزراعية بأى شكل من الأشكال كانت تمثل فى الحقيقة سيطرة تجعل مجتمعنا اقطاعيا من حيث تغلب الاقطاععليه وان كان نوع الاقطاع ليس هو الصورة النظرية الكاملة للاقطاع ولكن من الناحية الواقعية فان الزراعة والأرض عنصر مهم مع أن الجانب الأساسى فى المجتمع الرأسمالى هو الصناعة والتجارة ولذلك فانه حيث توجد السيطرة على رؤس الأموال التجارية والصناعية تكون السيطرة الاقتصادية على أساس أن هذا المجتمع تمثل فيه الصناعة والتجارة النشاط الاقتصادى الاساسى الذى تدور حوله بقية الانشطة بما فى ذلك النشاط الزراعى ٠ وأيضا فى صورة مجتمعنا رغم أنه كانت هناك بداية لمجتمع صناعى قبل الثورةأخذت فترة طويلة جدا الا أن النشاط الصناعى والتجارى كان محدودا وكانتهناك سيطرة لطائفة محدودة هى السيطرة على الصناعة والتجارة وبالتالى فان مجتمعنا كان يتميز بسيطرة عناصر الانتاج وحدها على الزراعة ولسيطرة الرأسمالية على القطاع الصناعى والتجارى وهذا يعنى السيطرة الاقتصادية بالعنصرين اللذين أوضحتهما ٠

أما ما ذكر من أنه حيث توجد السلطة الاقتصادية توجد السيطرة السياسية ؛ فان المفهوم الغربى للديمقراطية هو أن يحكم الناس أنفسهم بأنفسهم من خلال عملية انتخاب ؛ وأن قيمة الفرد فيها تثبت كفرد بالادلاء بصوته وهنا تتصور النظرية ضمنا أن الأفراد يتساوون؛ ولو أننا نظرنا الى نظرية الديمقراطية الغربية فاننا نجد فيها عنصرا خطيرا يهدمها ــ ولو أننا حللناها فستكشف لنا مدى حقيقة الديمقراطية الغربية هل الأفراد ــ فى ظل أى نظام من النظم التى تطبق الديمقراطية الغربية ــ اراؤهم حرة وأن القوة للفرد أخيرا ؟ لو أننا حللنا ذلك واقعيا فاننا نجد أن ارادة الفرد برغم أن له حق التعبير كما يشاء الا أنه لا يتصور موضوعيا أن ارادة فرد متساوية مع ارادة الآخر لأننا اذا سلمنا بهذا فاننا نهمل عاملا موضوعيا مهما جدا هو تأثير الوضع الاقتصادى للاشخاص على ارادتهم ؛ ولو أننا نظرنا الى قرية من القرى السلطة الزراعية فيها مركزة فى عدد من الأفراد فمعنى هذا أن الباقين انما يعملون كأجراء لدى هؤلاء الأفراد ولا يمكن لاحد من الناحية الموضوعية العلمية ان يقول ان ارادة هذا العامل الزراعى الذى يستغل قوى

المالك الكبير تعتبر متساوية من ناحية القدرة على التعبير مع ارادة المالك الكبير فى التعبير عن نفسه لأن المالك الكبير ممكن أن يخدم هذا العامل من العمل اذن ففى يده عن هذا الطريق أن يضغط عليه ويشكل ارادته كما يشاء اذن ففى ظل الديمقراطية الغربية فان ارادة الافراد ليست متساوية مع ارادة الفئة أو الطبقة المسيطرة على الأرض أو رأس المال والتى تكون له الميزة الكبرى عن بقية الأفراد ، معنى هذا أن هذه القدرة انما تشكل مظهر الحياة السياسية كما تشاء حيث أنه من المسلم به أن أى طبقة عندما تأخذ اى سلطة سياسية فانما تديرها لمصلحتها ولخدمة مصالح طبقتها : اذن لابد أن تستخدم الطبقة التى فى يدها السلطه السياسية قوتها وارادتها فى مواجهة ارادة الآخرين وتستخدمها لخدمة مصالحها : من اجل هذا وفى ضوء هذا التحليل الذى تقاس نتيجته بأمر واحد : الملاك المسيطرون على السلطه الاقتصادية فى ظل النظام الاقطاعى أو الرأسمالى لهم قوة ضغط على الغالبية من الأفراد الموجودين تشكل الناحية السياسيه على نحو يخدم أصحاب المصلحة الاقتصادية وهذا يفسر لنا أنه فى بلد كأمريكا لا يصل العمال أو الفلاحون ؛ الى أى برلمان فى الولايات المتحدة فهل العمال والفلاحون فى أمريكا عددهم أقل من أصحاب رأس المال مطلقا بالضرورة عددهم أكثر من أصحاب رأس المال ولكن برغم هذا لم تجد برلمانا واحدا فى الولايات المتحدة الأمريكية وصل اليه العمال أو الفلاحون ليعبروا عن مصالحهم ، وهذا يثير تساؤلا عن الديمقراطية الغربية اذا كانت الديمقراطية تنادى أن الشعب يحكم نفسه بنفسه وأن غالبية الشعب من الأجراء وعمال الزراعة فكان المفروض أن يصلوا بأنفسهم للسلطة السياسية ولكننا لا نجد فى برلمان من هذه البرلمانات عاملا أو فلاحا صغيرا أو أجيرا زراعيا بينما لهم الاغلبية العددية ؛ وهذا يفسر التناقض الموجود فى النظام الديمقراطى الغربى اذ تستخدم أصوات الغالبية الخاضعة بالضرورة للضغط الاقتصادى لادارة الحكم ضد مصلحة غالبية الشعب . هذه هى الصورة التى أوضحها الميثاق بشكل عام . ولكن هناك جانبا آخر يجب أن نكمل به الصورة لنفهم التفاعل التام بين النواحى السياسية والاقتصادية .

والنقطة الأولى التى لابد أن تكون واضحة هى أن انتقال السلطة الاقتصادية الى يد قوى الشعب العاملة لا يمكن أن يدعم الا بانتقال السلطة السياسية ليد الشعب العامل وبمعنى آخر اننا اذا أردنا أن يكون لانتقال السلطة الاقتصادية دلالة ومعنى فلا يمكن أن يكون لها دلالة الا اذا استكمل هذا بانتقال السلطة السياسية أيضا ليد الشعب العامل وهذا يفسر لماذا لم يكن ممكنا أن يقوم مجلس أمة به ٥٠٪ من العمال والفلاحين الا بعد صدور قوانين يوليو الاشتراكية التى انتقل بمقتضاها جزء كبير من السلطة الاقتصادية الى قوى الشعب العاملة ؛ كذلك فان انتقال السلطه المتمثلة فى أجهزة الحكم لم يكن ممكنا أن يتم الا بانتقال السلطة الاقتصادية الى قوى الشعب العاملة .

وأيضا فان السلطة الاقتصادية حين تنتقل لابد لكى يستمر التقدم الاقتصادى أن تستخدم القوى السياسية السلطة التى فى يدها لدعم انتقال السلطة الاقتصادية الى قوى الشعب العاملة أى أنه لا يمكن تصور دعم البناء

«لاشتراكى بصورة مستمرة بدون سلطةسياسية ؛ أو كما يقال «لا اشتراكية بدون اشتراكيين » فان الاشتراكية عملية لا تتم مرة واحدة وتقف عند ذلك بل هى عملية متطورة ومستمرة · هذا وتقابل الاشتراكية خاصة فى المراحل الأولى بمشاكل كثيرة تحتاج الى دعم نفسها للخروج منها ولذلكلابد ان تكون السلطة السياسية فى يد قوى الشعب العاملة وقد تم هذا ؛ ولكن الأهم من ذلك أن تستخدم القوى السياسية سلطتها فى دعم التطور والتقدم الاشتراكى بشكل عام لأنه اذا لم نقم بذلك فان الاشتراكية تكون مهددة بخطر كبير وبخطر الانتكاس ·

أولا لأن الاشتراكية فى مراحلها الأولىوبالذاتفى مرحلة التحول تقابل مشكلات ضخمة جدا وهذه المشكلات تتخذ كذريعة من الطبقات المعادية للاشتراكية ـ سواء كانت هذه الطبقات هى الطبقات القديمة التى جردتها الاشتراكية من السلطة أو من بعض العناصر الانتهازية التى تفيد من الاشتراكية والتى تحاول أن تعمل لنفسها وضعا اقتصاديا متميزا فيحاولون الاستفادة من المتاعب التى تواجه الاشتراكية ليسقطوا الاشتراكية أو أعداء الاشتراكية يتخذون من متاعب الاشتراكية فى مراحلها الأولى حجة يحاولون بها ضرب الاشتراكية والقضاء عليها كمبدأ وفلسفة وذلك بمنطق يأخذونه من التفكير الغربى ، وبصرف النظر عن حتميتها التاريخية وضرورة تحققها فى التاريخ فرضها لأسباب كثيرة عرضها الميثاق ؛ واننى هنا لا أشير الى فرضها طبقا للنظرية الماركسية وانما طبقا للنظرية المشروحة فى الميثاق ·

ان الاشتراكية فى البداية كمبدأ هى نظام يقضى علىمساوىء وعيوب النظام الرأسمالى والنظام الاقطاعى فمن هذه الناحية السامية كمبدأ فان كل فئات الشعب العاملة ترحب بها لأن الاشتراكية بهذا المعنى هى النظام الذى يقضى على عيوب النظام الاقطاعى والرأسمالى ولكن نكون واهمين جدا اذا قلنا بأن الاشتراكية تعنى من أول يوم أن الجنة أقيمت على الأرض فان اقامة الاشتراكية تحف بها مشاكل قاسية وصعبة جدا اذا قيست بالمشاكل التى تحدث بعد اقامة البناء الاشتراكى ·

وسنضرب بعض الأمثلة لكى نتصور الجو الذى نعيش فيه حتى يمكن أن نفسر أى تحرك لنا بعد ذلك ·

فأول مشكلة تعانيها الاشتراكية أنها كمبدأ تعنى تحرير الاقتصاد الوطنى وتحقيق تقدم فيه يؤدى الى تحقيق ارتفاع فى مستوى الشعب · اذن فالاشتراكية هى تحسين فى ظروف معيشة الشعب ؛ كلنا نأخذ الاشتراكية بهذا المعنى ولكننا عندما ننزل بهذا المفهوم الى الأفراد نجد أن كل واحد يتصورها فى شكل معين ؛ ونجد أننا نهمل العنصر الزمنى وأن الاشتراكية تحتاج الى عملية بناء ضخمة فى المرحلة الأولى · وفى المرحلة الأولى من البناء يمكن تصور عدة أشياء ؛ يمكن تصور أن ارتفاع المستوى المعيشى فى السنوات الأولى لا يكون بمعدل قوى أو بالمعدل الذى نتمناه ونرجوه ·

اننا نأخذ الاشتراكية على أنها ارتفاع فى مستوى المعيشة ولكن فى السنوات الخمس الاولى نجد أن المستوى المعيشى لا يرتفع بالمعدل الذى

نريد ، كنا نريد أن يرتفع المعدل بنسبة ١٠٪ سنويا ولكن قد لا نجد هذا يتحقق فى السنوات الأولى ؛ وهذه النقطة تزيد خطورتهـا أكثر فى الدول المماثلة لنا فان لنا نظاما أو وضعا اقتصاديا خاصا بين دول العالم ذلك أن عدد السكان لدينا يتزايد بنسبة٨ر٢٪ وهذا معـــدل كبير جدا فى تزايد السكان لا يماثلنا فيه سوى الهند والباكستان وأمريكا اللاتينية ؛ ولـكن الخاصية الثانية التى تكمل الصورة أنه فى أمريـكا اللاتينية متـــلا الموارد الطبيعية أكثر بكثير من السكان الموجودين بل أن حسن استغلال هـــذه الموارد يحتاج الى تزايد السكان فلو وجدت الاشتراكية فان زيادة السكان تكون للمصلحة العامة ؛ ولكن الأرض محدودة لدينا فمساحة الأرض ٦ملايين فدان من سنة ١٨٩٣ أى بعد انشاء خزان أسوان وظلت مساحة الأرض ثابتة حتى سنة ١٩٥٢ هذا بينما يزداد عدد السكان باستمرار اذ كان سنةالثورة ٢١ مليون نسمة أصبح الآن ٣١ مليون نسمة لأننا نتزايد بمعـدل ٨ر٢٪ بينما أقصى ما يمكن أن نعمله لزيادة رقعة الأرض على مياه السد العالى هو ٥ر١ مليون فدان أى بنسبة ٢٥٪ من المساحة المنزرعة التى تسلمتهاالثورة. صحيح أنه بجانب هذا نزيد من زراعة الأرز ويزيد استخدام الكهرباء وتزيد الصناعة ولكن عندما ننظر الى الزراعة نجد أن أقصى ما يمكن اضـــافته الى رقعة الأرض الزراعية هو ٢٥٪ ونجد أن زيادة السكان تواجه هذه النسبة فى ٨ سنوات وهذا يعنى أننا فى ٨ سنوات زدنا زيادة سكانية تتعادل مع الزيادة فى الأرض التى تحققت من السد العالى ومشكلتنا فى هذا خطيرة بعكس البلاد الأخرى لأنه حيث توجد مساحات شاسعة من الأرض فان تطبيق الاشتراكية وزيادة السكان أمر حسن جدا ولكن لدينا الأرض محدودة جدا هـــذه هى الصورة التى تفرض علينا الصعوبات وهناك ثلاثة حلول يجب أن نعمل بها معا لمواجهة هذه الصعوبة .

١ ــ أن نعمل بكل ما نستطيع على زيادة انتاجية الأرض الموجودة والتى ستزيد على مياه السد العالى بمعنى أن نستخرج من الفدان أقصى ما يمكن من انتاج زراعى أى اننا يجب أن نعصر الأرض عصرا لكى نأتى بأقصى مايمكن لان الارض عندنا ليست كالارض فى البلاد الاخرى فان الارض لدينا تزرع ٢ــ٣ مرات فى السنة ونحن البلد الوحيد فى العالم الذى يزرع الارض مرتين فى السنة وفى بعض المناطق كالمنوفية والجيزة تزرع الارض ٣ مرات فى السنة ؛ فالارض فعلا مرهقة ولكننا نبذل مجهودات للتغلب على هذه المشكلة ليس فقط عن طريق تحسين خواص الارض بالتسميد وخلافه ولكن أيضا عن طريق استنباط تقاوى وبذور جيدة بالبحث العلمى ؛ تمتاز بانتاجيةأعلى وينفق فى هذا السبيل مبالغ ضخمة جدا وكل مليم ينفق فى هذا السبيل حلال جدا بل وضرورة ملحة . وقد استنبطنا سلالات جديدة من القطن جيزة ٦٩ وخلافه وهى تمتاز بصفات تفوق الاشـــمونى وغيره كذلك فى القمح استنبطنا أنواعا جديدة منها الجيزة ١٥٥ وانتاجيته أعلى وكذلك فى الأرز أيضا حققنا انتاجية ضخمة فبعد أن كان انتاج الفدان ٣ر١ ضريبة ارتفع الانتاج الى ٣ر٢ ضريبة وبهذا نعتبر ثانى أو ثالث دولة فى انتاجية الأرز فى العالم .

٢ ـ العامل الثانى مياه السد العالى التى ستصل وتزيد رقعة الأرض الى حد معين وعلينا أن نبحث ونستفيد من التطور العلمى المستمر فى استنباط مصادر جديدة للمياه ؛ فمثلا تحويل المياه الملحه الى مياه عذبه أمر ممكن علميا فى معامل كلية العلوم ولكن على المستوى الاقتصادى لم يتيسر ذلك حتى الآن وعلى ذلك فنحن نتابع التطور العلمى باستمرار وننفق على الابحاث فى هذا المجال ٠

٣ ـ اذن فلا مخرج لنا الا الصناعة والتصنيع وهى بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت وهذا يفسر لنا أمرين أساسيين :

أ ـ لماذا ترد الصناعة باستمرار فى أحاديث الرئيس جمال عبد الناصر بحيث لا تمر خطبة دون التركيز على الصناعه والا فان الشعب سيأكل بعضه البعض بحيث لا مخرج لنا غير الصناعة ؛ وليس معنى هذا أن الصناعة ليست لها مشاكل بالعكس فان هذا هو العنصر الذى يوجه اليه الضرب من اعداء الاشتراكية فانهم يركزون على التساؤل لماذا نتوسع فى الصناعة وننتج السلع التى نحتاجها فى حين أننا نستطيع أن نستورد نفس هذه المنتجات من الخارج بأسعار أرخص ٠ ولكن لكى نستورد لابد أن يكون لدينا الدخل الذى يمكننا من الشراء من الخارج ، وقد ينساق البعض منا الى ترديد ذلك دون أن ندرى أننا نردد أقوالا تستهدف خنق الشعب المصرى لمدة طويلة أما اذا عملنا على تصنيع بلدنا فان ذلك سيجنبنا الاعتماد على الخارج وبذلك نكتفى ذاتيا مما يجعلنا بعيدين عن المؤثرات المعادية التى تحاول خنقنا ٠ اذن نستطيع أن نفهم الآن العلاقة والضرورة الاقتصادية الحتمية لوجود الصناعة التى لا يمكن لنا أن نعيش بدونها ؛ اذ لو اعتمدنا على الزراعة وتركنا الصناعة ؛ فماذا يكون عليه الوضع ؟

اننا نعلم أن الصناعة لها مشاكل كثيرة جدا لأنها تحتاج الى خبرة ودراية من العاملين وهذه الخبرة والدراية ليست متوفرة لدينا وتحتاج لبناء هيكل اجتماعى واقتصادى معد ومهيأ ثقافيا لهذه العملية وهذا ليس موجودا بالكامل لدينا ؛ ولكن لا يجوز بسبب عدم وجود هذا الهيكل ألا ننشىء الصناعة ونبنى هذا الهيكل ٠ لأن هذا الهيكل لم يتكون فى أى بلد صناعى الا من خلال انشاء عملية الصناعة نفسها ٠ كذلك يقال أن الجو الملائم للصناعة غير موجود ، هذه كلمات مغرضة يرد عليها بأن الجو الملائم لا يبنى الا من خلال الصناعة ومن خلال التجارب بما تتضمنه من خطأ وصواب ٠ وأريد أن أخلص من هذا الى أن الصناعة لها مشكلات فى بدايتها لعل أبسطها ما أوضحته ؛ كذلك فان من المشاكل مشكلة فتح أسواق خارجية لمنتجات الصناعة ؛ لأنه الى جانب اعتماد الصناعة على سوق داخلية لمنتجاتها لابد لها أن تعتمد جزئيا على السوق الخارجى وهذا أمر صعب فى البداية لأن هذا يحتاج الى خبرة ٠ وجانب آخر من المشكلة أنه فى بداية الاشتراكية فان عقلية الناس ـ بما فى ذلك عقلية الاشتراكيين أنفسهم ـ قد لا تكون مسايرة للاشتراكية مجموعة قيمة لها جوانب اقتصادية وجوانب اجتماعية ولكن أهم ما فى الاشتراكية أنها استعداد عقلى معين عند كل واحد ؛ وأحيانا نجد أن أكثر

الاشتراكيين اشتراكية يأخذ الاشتراكية على أنها ارتباط بالقلب دون ان يكون قد نجح فى ضبط سلوكه وعقليته بضوابط الاشتراكية فالاشتراكية نأخذها على أنها ارتباط بالجماهير وعلى أنها مساواة فى حدود مبادىء او معايير معينة للمساواة وانها موقف معين من المال العام والغيرة عليه وموقف معين من الصالح العام والغيرة عليه ؛ وبعض الاشتراكيين فى البداية لايستطيع أن يضبط نفسه وسلوكه ليكون ترجمة للاشتراكيه ، وقد يرجع هذا الى ان المجتمع الذى عاش فيه قدم له قيما ثقافية مختلفة قدلا يستطيع فصلها عن بعضها فمثلا قد يكون أحد الناس عالما رياضيا ممتازا ولكنه لا يرى غضاضة فى استخدام حجاب يحصل عليه من أحد الدجالين ويتصور أن هذا يقضى حاجته فمن أين جاء له ذلك ٠٠ اننى أضرب هذا المثل ليوضح الأمر لنا ؛ ونفس الوضع يحدث فى الاشتراكية فانه يمكن أن يكون فى سلوك بعض الاشتراكيين ثغرات يدخل منها أعداء الاشتراكية ٠

وليس هذا تبريرا للاخطاء أو الانحرافات التى تقع من الاشتراكيين وانما مطالبة بالحرص على السلوك وانه يجب ألا نأخذ فى سلوكنا سلوكا من مقتضاه أن يشكك فى الاشتراكية بل يجب أن نحاسب أنفسنا على مدى انطباع تصرفاتنا فى أذهان الجماهير بالنسبة للاشتراكية وهذه صعوبة من الصعوبات لا تعدل بسهولة لاننا لكى نصل الى ذلك يجب أن نحطم من القيم هذا وذاك ونحن فى مرحلة التحول ولكن يمكن لنا أن نتصور أولادنا سيتخلصون من هذا العيب ٠

وهناك صعوبة من أخطر الصعوبات وهى باب تضرب منه الاشتراكية باستمرار وهى أن الاشتراكية لابد أن تقوم بعمل مشروعات وأنه يلزم لذلك استثمارات تأتى من المدخرات ، وهذه المدخرات لا تعنى مالا فقط لأن الأمر لو كان أمر مال فمن الممكن أن نصدر الأمر باصدار النقد اللازم ولكن الادخار معناه أن جزءا من الانتاج الحقيقى للبلاد لا يستهلك فاذا كان بذاته صالحا لعمل ماكينات وآلات ٠٠٠ الخ فانه يستخدم فى التنمية مباشرة أما اذا كان فى صورة قطن أو خلافه فانه يصدر ونأتى بآلات ومعدات بقيمته وهذا هو الاستثمار ٠

فأى دعم لمستوى الشعب لا يأتى بأن توزع الثروة القومية بين الناس؛ لانه لو تم ذلك فلنكن قد حققنا عدالة ولكن لا نكون قد حققنا الاشتراكية لأن الاشتراكية معناها ارتفاع مستوى الناس ولكى يتحقق هذا الارتفاع لابد من تجنيد قدرات انتاجية ولكى يتم هذا يلزم ألا يستهلك كل ما ننتجه وعندما نقول بالحد من الاستهلاك فكأننا نضع قيودا على الارتفاع الى المستوى المعيشى الذى نتمناه ولكن هذا الوقت محدود فان الاشتراكية فى البداية لابد لها من عمل مدخرات قوية ومن هنا يصيدنا أعداء الاشتراكية ويتساءلون ماذا عملت الاشتراكية لكم ؟ أو يستغلون الصورة الموجودة أو الضيق الطبيعى الذى يحس به الأفراد عندما نقول لهم زيدوا من مدخراتكم وحددوا الاستهلاك وهذا جانب آخر ؛ أقرب منه الاشتراكية ٠

وهذا يوضح العلاقة بين الجانب الاقتصادى والجانب السياسى ٠ فالاشتراكية جانب اقتصادى له ترجمة سياسية وعلينا نحن أن نحمى انتقال

السلطة الاقتصادية والسلطة السياسية للشعب . فالاشتراكية اذا كانت تقضى على صورة مجتمع قديم فانها تعتبر علاجا لمشاكل وعيوب المجتمع الرأسمالى والاقطاعى . وأعداء الاشتراكيه الذين حاصرتهم والانتهازيون الذين يريدون ان تنحرف الاشتراكيه لمصلحتهم يحاولون ضرب الاشتراكيه ومعارضه التطور السياسى منتهزين المشاكل التى تصادفها الاشتراكيه فى مرحلتها الأولى ..

نقطه أخرى فى مجال الصلة بين الجانب الاقتصادى والجانب السياسى هى أن الاشتراكية عندما تقوم فى مجتمع فهى تمثل نظاما داخليا فى البلد وتمثل أيضا جانبا عالميا ؛ هذا الجانب العالمى يتمثل فى الصلة بالبلاد التى تقوم فيها الاشتراكية ولذلك فانها تعتبر بالضرورة هزيمة لقوى الاستعمار والرأسمالية وتضييقا لنطاق نفوذهما بمعنى أن الشرق الاوسط لو أصبحت كل دولة دولة اشتراكية فمعنى ذلك أن دائرة النفوذ الاستعمارى الامبريالى الذى تسيطر عليه أمريكا وانجلترا تضيق بهذا المقدار ويوم أن يطبق العالم كله النظام الاشتراكى فمعنى هذا أنه قد قضى على النظام الرأسمالى والامبريالى فهل يسكت هذا النظام على ذلك ؟ لا .. أنه يدير معركة ضارية ولا تدور المعركة بين الكتلتين أو الفكرتين فقط بل الى جانب ضرب الأفكار تدور الحرب بين بلاد ممثلة للاشتراكية وبلاد الرأسمالية والبلاد التى تنشأ فيها الاشتراكية ليست كلها ضخمة وليست قوتها الحربية بضخامه قوة بلد كروسيا فهناك بلدان اشتراكية نامية ويدور الصراع كله فى هذه البلاد ، وبالتالى فنحن كبلد من هذه البلاد النامية تدخل فى المعركة الكبيرة بين التقدم والرجعية ولابد أن يحدث هذا . اذن بالاضافة الى العوامل التى ذكرتها فان الاشتراكية تولد قوى مضادة على المستوى العالمى تتحرك لضرب الاشتراكية فى داخل البلاد وهى حين تأتى لضرب البلد لن تقول أنها تعارض التقدم أو ارتفاع مستوى الشعب قطعا هذه هى الصورة فى حقيقتها فهى لا تريد أى تقدم أو ارتفاع لمستوى الشعب . ولكنها تستغل كل الصور التى يمكن أن تستخدم ومن ذلك كان تجسيد عيوب ومشاكل النظام الاشتراكى وأخطاء بعض الاشتراكيين وقطعا من الممكن أن تحدث أخطاء فى اقامة مصنع أو استصلاح أرض ... وأعداء الاشتراكية يستغلون كل هذا .

ان الاشتراكية فى بدايتها تقتضى موقفا مانعا من الطبقات المعادية للاشتراكية لأن التطبيق الاشتراكى لا يتم بمجرد صدور قرار جمهورى بأن الاشتراكية قد قامت ؛ واذا لم تحم الاشتراكية نفسها بكل الوسائل فاننا نكون بلهاء ويعنى هذا أن نسلمها للقوى التى تريد أن تقضى على الشعب فى مجموعه . وقد يقتضى ذلك اجراءات حازمة وهذا باب تتحرك منه قوى الديمقراطية الغربية فتردد بعض العبارات بأنه لا توجد حرية كلام ولا يوجد كذا أو كذا . وقد يردد بعض الاشتراكيين ببساطة هذه الحجج .

نقول أنه من الممكن أن تؤخذ بعض الاجراءات ـ التى تتخذ لمواجهة المعادين للاشتراكية ـ بوسائل النقد وتقارن بأساليب الديمقراطية الغربية وقد يعطى البعض اذنا صاغية لهذا النقد . ومن أخطر ما تتعرض له الاشتراكية القول بأنها ليست ديمقراطية بمعايير الغرب وهى فعلا ليست كذلك بل هى ديمقراطية أوسع وأعمق ولكنها فى فترة البناء تحتاج الى القيام ببعض الاجراءات لحماية الاشتراكية من المعادين لها .

وأحيانا تقوم بعض قوى الاستعمار بتحريك بعض العوامل النفسية للقضاء على الاشتراكية ؛ وهذا العامل يسمى فى علم الاقتصاد بعامل التقليد ٠

وعامل التقليد معناه أن كل انسان منا فى سلوكه الاستهلاكى يتأثر انسانيا ونفسيا بالضرورة بما يراه من مستويات استهلاكية أعلى بمعنى اننى اذا كنت عاملا فى مصنع أو فلاحا فى قرية وأرى العمدة أو مدير المصنع لديه ترانزستور أو تليفزيون فاننى أفكر فى أن يكون لدى مثله وهذا التفكير من حقى ؛ وكذلك فاننى أراه يرتدى ملابس معينة فأتمنى أن ألبس مثله وهذا وضع انسانى عادل ؛ ولكن هذا الوضع يستخدم لتوليد قوة ضغط على النظام الاشتراكى من داخله وهى قوة خطرة لأن النظام الاشتراكى يريد أن يبنى نفسه وفى سبيل ذلك يحتاج الى مدخرات وبالتالى يريد أن يعيش المجتمع على انتاجه ومن ثم فانه يضطر الى تحديد الاستيراد بأنماط أو سلع استهلاكية معينة اذ لا يمكن السماح باستيراد كل شىء لان موارد البلاد لا تكفى لذلك ؛ فمثلا فى مصر لا يمكن أن نفتح الباب لاستيراد كل السلع الاستهلاكية كما هو الحال فى الكويت أو لبنان أو المانيا الغربية أو فرنسا ٠ اذن من الممكن أن يتحرك أعداء الاشتراكية فى هذه الناحية بأن يثيروا نوعا من القلق النفسى الداخلى لدى طوائف الشعب المختلفة وخاصة الفئات التى لها قدرة على الاتصال الثقافى وقد أصبحت هذه الفئات تمثل نسبة كبيرة فانها ليست قاصرة على المثقفين ؛ والاشتراكية ليست مثل الشيوعية التى غلقت الحدود على نفسها عندما قامت وتصور الناس أن ما يجرى هو أحسن ما يمكن ٠

ان الوضع مختلف فكل فلاح يستطيع بخمسة جنيهات أن يشترى ترانزستور ويدير مفاتيحه ليستمع الى ما يجرى فى مختلف المجتمعات أو التقدم التكنولوجى قد جعل وسائل الاتصال سهلة وميسورة ٠ وهذا الذى أقوله ليس نظريا فقد استخدم بالفعل مع تشيكوسلوفاكيا ويستخدم معنا منذ سنوات وكل من يذهب الى الكويت يعود ليتحدث عن السلع وغير ذلك ويخلق جوا شديدا من القلق النفسى ؛ وفى تشيكوسلوفاكيا استخدم هذا العامل بشكل رهيب فانه تقع الى جوارها المانيا الغربيه وتمثل الاقتصاد الرأسمالى فى قمته والتليفزيون هناك يلتقط الارسال من محطات البلاد الأخرى فكل البلاد متجاورة وهم يركزون على عرض السلع الموجودة فى المانيا ، ولكن هل يجوز أن نتأثر بهذا ؟ ان الدول الاشتراكية تضحى بأنماط معينة من السلع الاستهلاكية وهى ليست تضحية كبيرة فى سبيل اقامة البناء الاشتراكى ولن نموت اذا لم نضع كولونيا كذا ؛ يمكن أن نضع كولونيا تلات خمسات من انتاج الشبراويشى فالمسألة كلها بعض الكحول والخلاصات العطرية ٠٠ والصوف المصرى ما عيبه ؟٠ انه جيد واستعماله أفضل لنا وأكرم من الاستيراد وهكذا يمكن بشكل عام مواجهة هذا الضغط ، ولكننا نريد أن نوضح أن هذا ضغط عام نتعرض له ٠

نريد أن نخلص من هذا الى نتيجة كبيرة وهى أن الاشتراكية رغم أنها كمبدأ علاج وعلاج جوهرى لكثير ـ ان لم تكن لكل ـ المشاكل الجذرية فى المجتمع الرأسمالى والاقطاعى، الا أن الاشتراكية نفسها وان كانت علاجا لهذه

المشاكل فانها فى بنائها خصوصا فى مرحلة التحول توجد أمامها بالضرورة مشكلات كبيرة تستغل من اعداء الاشتراكيه داخليا وخارجيا لضرب الاشتراكيه ومما يضاعف هذه الخطورة أن بعض الاشتراكيين أنفسهم لا تكون الصورة امامهم واضحة بالنسبه للعوامل التى تتعرض لها الاشتراكيه ·

جانب آخر مهم فى العلاقة بين الجانب الاقتصادى والجانب السياسى هو أننا عندما ننظر لكل هذا الكلام والتطور المستمر فى المدى الطويل وفى المدى القصير ايضا ، فهناك ما يسمى بالسياسه التوسعيه والسياسه الانكماشية · وعند الاقتصاديين تعنى السياسة التوسعية أن تكون هناك عملية تنمية بشكل مستمر وزيادة فى الاستثمارات وفى الانفاق والسياسة التوسعية هى التى تحقق جوا من الاستقرار السياسى لان معناها زيادة الدخل الذى يتداول فى أيدى الناس وهذا يعنى راحه نفسيه لهم وهذه عمليه ملائمه للاستقرار السياسى ؛ وعلى العكس لو أن لنا سياسة انكماشية بعد سياسة توسعيه بمعنى أن يقل الاستثمار والانفاق ويقل الدخل فان هذا يخلق ضيقا اقتصاديا وبالتالى عملية خلخلة سياسية فالعلاقة كعلاقة معادلات الجبر يمكن قياسها فان زيادة الاستثمار + زيادة انفاق = زيادة دخول للافراد أو استقرار سياسى ·

ونقص فى الاستثمار والانفاق = نقص فى دخول الأفراد أو ضيق سياسى أو خلخلة سياسية ·

معنى هذا التحليل لا تتركه الدول المعادية للاشتراكية من الدول الغربية دون أن تستخدمه ·

فالولايات المتحدة الأمريكية فى فترة معينة بدأت تعطى معونة غذائية لدول كثيرة منها الجمهورية العربية المتحدة ، وهذه المعونه ليست فى الواقع معونة خالصة ولكنها سلع فيها فائض مثل القمح والاذرة والزيوت ·

ولما كانت نفقات تخزين هذه السلع ضخمة جدا فانها تقدمها باتفاقات معينة لبعض الدول والثمن يدفع على عدد معين من السنين وبفائدة محدودة وبالعملة المحلية أى أنها تدفع لمواجهة نفقات السفارات والسياح الأمريكيين وهذا العامل استغلته الولايات المتحدة لتساند نشاطها فى فترة معينه ثم استغلته ضدنا لتحدث خلخلة سياسية · فقد أدى هذا النوع من التعامل الذى حصلنا عليه باتفاق الى مواجهة حالة توسع خلال فترة معينه ، ثم بعد ذلك فى أواخر سنة ١٩٦٤ وبداية سنة ١٩٦٥ أوقف تجديد اتفاقية المعونة وهذا يعنى أنها لم تكن فى جوهرها اتفاقية اقتصادية وانما هى نوع من التعامل بعد عملية سياسية يراد بها السماح بفترة توسع تتبعها فترة انكماش وبهذا تحدث خلخلة سياسية وهى بذلك تريد أن تضغط على النظام الموجود وتخلخله سياسيا ولكننا قمنا بالتوسع ثم حدث الانكماش ولكن شعبنا استطاع أن يصلح فى الحال الأثر المترتب على ذلك كما سنرى ·

وهذه صورة من الصور التى توجد فيها علاقة بين السياسة والاقتصاد وكيف يستخدم الاقتصاد لهدم النظم السياسية بواسطة الامبريالية والاستعمار ·

عامل آخر يستخدم فى المدى القصير وهو استخدام بعض أحكام المنظمات الاقتصادية الدولية لهدم النظم الاشتراكية؛ فان كل بلد يقوم بتنمية نفسه ـ كما سيأتى فيما بعد ـ لابد أن يقترض من الخارج فى المرحله الاولى للتنمية ؛ وفى العالم كله لا يوجد سوى بلاد قليله أمكنها تنمية نفسها بمدخراتها • ولم تلجأ الى الخارج وأول هذين البلدين هو انجلترا وهى التى قامت فيها الثورة الصناعية ؛ والبلد الثانى هو الذى قامت فيه الثورة الشيوعية •

فلم يكن هناك من يمكنه اقراض انجلترا فاعتمدت على اعتصار دم العمال واعتصار المستعمرات للتنمية ، كذلك فان روسيا لم تكن تستطيع أن تعتمد على المجتمع الرأسمالى لتنمى نفسها فربطت الاحزمة بالحديد على بطون الناس لنقوم بالتنمية ولكن فيما عدا هاتين الدولتين فان جميع الدول بما فى ذلك الولايات المتحدة نفسها التى استمرت على مدى فترة امتدت من ١٨٤٠ الى ١٩١٤ وميزان مدفوعاتها مدين باستثناء فترة صغيرة اذن فمن الضرورى أن تقترض الدولة للتنمية أى يصبح ميزان مدفوعاتها به عجز واذا أرادت أن تواجه هذا الأمر بشكل مستمر فلا بد أن تنشىء أنظمة للاتصال النقدى مع الدول الأخرى ومع المنظمات الاقتصادية ومنها صندوق النقد الدولى ، وفكرة هذا الصندوق من أسلم ما يمكن ولكن الولايات المتحدة لما لها من الغلبة فى الصندوق ـ تحاول أن تستخدم سياسة الصندوق وفلسفته للضغط على البلد بأنه اذا أراد أن يخرج من مشكلته فعليه أن يخفض قيمة عملته • واذا كان الجنيه المصرى يساوى٢ر٣ دولار وخفضت قيمة الجنيه الى ٢ دولار أو ١½ دولار فماذا يعنى هذا التخفيض فى الدول الرأسمالية عندما يقوم بلد بتخفيض قيمة عملته فان قيمة بضائعه بالنسبة للبضائع الاجنبية تصبح أرخص لأنه لو كانت هناك سلعة قيمتها جنيه مصرى وكان العميل يشتريها أولا بـ ٢ر٣ دولار فانه أصبح يشتريها بـ ٢ أو ١ر٥ دولار بينما سلعته هو تصبح أغلى ويعنى هذا بالنسبة للبلد الأول زيادة الصادرات وبالتالى فان عجز ميزان المدفوعات يقل وهذه النظرية سليمة لو كان العجز طارئا أو اذا كان لدى البلد طاقة انتاجية ضخمة معطلة لأنه لزيادة الصادرات لا بد أن تكون هناك طاقة لزيادة الانتاج بهدف التصدير أما اذا كانت الطاقة الانتاجية محدودة والمشكلة ليست أن هناك بضائع لا تصدر بل المشكلة أنه لا توجد بضائع كافية للتصدير فتخفيض العملة فى هذه الحالة (يودى البلد فى داهية) لأنه يستورد آلات ومعدات ويصدر القليل من السلع المصنعة الى جانب الخامات وسعرها محدد عالميا وفى حالة بلد كبلدنا يستورد آلات ومعدات زائد انتاج بعض المأكولات الرئيسية التى لا يمكن تخفيضها فان التخفيض يعنى أن ننكمش اقتصاديا • وهذه المحاولة قد بذلت معنا على مدى ثلاث سنوات بشكل مستمر وكان السند الصامد فى وجه هذه المحاولات هو الرئيس جمال عبد الناصر •

لقد حدثت ضغوط قد تكون فوق طاقة البشر ولكن هو الذى قاومها ومنعها ؛ وقد خلقت هذه الضغوط مناقشات قسمت الفكر بين الموجودين فى السلطة ؛ ولكن الله قيض لهذا الشعب قيادة ملهمة ؛ ولو أننا كنا خفضنا قيمة العملة كما أراد الصندوق فى سنة ١٩٦٥ الى جانب الناحية العسكرية

لانتهينا . وهذا يوضح كيف تستخدم هذه الظواهر وهى كوسيلة فنيـــة لا غبار عليها ؛ كيف تستخدم لمحاولة تحطيم الأنظمة الاقتصادية الاشتراكية.

هذه هى الصلة بين الاقتصاد والسياسة وننتقل بعد هذا الى القسم الثانى وهو تطورنا الاقتصادى ونبدأ من التحول الاشتراكى . لقد مررنا فى ثلاث مراحل ولكننا سنأخذ من الخطـة الخمســـية الأولى من ٥٩/٦٠ حتى ٦٤/٦٥ فقد حققنا فيها استثمارات وصلت فى جملتها الى ١٥١٣ مليون جنيه وأود أن أوضح بعض الملاحظات على هذه المرحلة بالنسبة لتمويل الاستثمارات والآثار التى ارتبطت بها :

أولا : ان هذا الاستثمار مول بمدخرات محلية قيمتهـا حوالى ١١٠٠ مليون جنيه وبالاقتراض من الخارج بما قيمته ٤١٧ مليون جنيه تتمثل فيها كل القروض أو المديونية الخارجية للخطة الخمسية الأولى . وهذه الناحية تستغل من الكثيرين فيقال أن ديوننا كثيرة فى حين أن مديونيتنا بالنسـبة لدخلنا القومى أقل من مديونية أى بلد يقوم بتنمية نفسه فى العالم .

وانه لا يوجد بلد قام بتنمية نفسه لمدة طويلة بدون اقتراض خارجى ـ بخلاف انجلترا وروسيا ـ وما قامت به الولايات المتحدة وهى تأخذ بالنظام الرأسمالى لا يمكن من الناحية الفكرية أن يحرم علينا ونحن دولة نامية .

ثانيا : ان هذه الاستثمارات التى نفذت فى الخطة الخمسية الأولى انما ساهمت فى تدعيم القاعدة الأساسية للصناعة والزراعة . وقد كان من الممكن أن ننمى أكثر فى هذه الفترة ولكن ذلك على حساب الخدمات وعلى حسـاب الصحة والتعليم على وجه الخصوص ولكننا نرى أن الانفاق على التعليم والصحة لا يقل أهمية عن الانفاق على الصناعة والزراعة لأنه بدون متعلمين وبدون صحة جيدة للعامل والفلاح لا يمكن تحقيق أى انتاج وكان من الضرورى كذلك فى الفترة الأولى أن نتوسع فى الخدمات لأن شعبنا عاش فترة طويلة محروما ؛ ولسنا كالدول التى تعتصر عمالها للتنمية ولسنا مجتمعا مغلقا كما حدث فى روسيا بل ان عامل التقليد موجود ويضغط علينا ورغما من الضـــخامة فى الجهود التى حدثت فى الخدمات الا أن الجهود فى تنمية القـاعدة الأسـاسية للصناعة والزراعة لم تكن قليلة .

ثالثا : ان الاستثمارات تدرجت فى الارتفاع من حيث ما نفذ منها حتى السنة الأخيرة التى بدأ يحدث فيها الاتجاه للانكماش . وفى الســـنة التى سبقت الخطة كنا قد حققنا ١٧١ مليون جنيه وفى :

٦٠/٦١	تحقق استثمار قدره	٢٥٠ مليون جنيه
٦١/٦٢	تحقق استثمار قدره	٣٠٠ مليون جنيه
٦٢/٦٣	تحقق استثمار قدره	٣٧٤ مليون جنيه
٦٤/٦٥	تحقق استثمار قدره	٣٦٤ مليون جنيه

وكانت هذه بداية الاتجاه الانكماشى وكان ذلك مقترنا بوقف عمليـــة المعونة فان السياسة تعنى أن الاستثمارات يجب أن تنمو باستمرار وبشكل متزايد ، ولو أن الاستثمار ظل ثابتا فان ذلك يعد اتجاها انكماشيا رغم أن الاستثمارات لم تقل .

وقد ترتب على تحقيق هذه الاستثمارات أن الدخل القومى ارتفع فى نهاية الفترة من ٦٠/٥٩ الى ٦٥/٦٤ (مقاسا بالأسعار الثابتة لسنة ٦٠/٥٩) بنسبة ١ر٣٧٪ فى الخمس السنوات أى أن متوسط الزيادة كان ٥ر٦٪ فى السنة فى المتوسط ؛ هذا فى حين اننا ووجهنا خلال الخطة فى سنتى ٦١/٦٠؛ ٦٢/٦١ باصابة القطن نتيجة الدودة اصابة شديدة ولولا هـذا لزاد الدخل القومى بنسبة أكبر · ويقابل ذلك أن عدد السكان قد زاد من ٦ر٢٥ مليون نسمة الى ٤ر٢٩ مليون نسمة ؛ وقد ترتب على ذلك أن ارتفع متوسط نصيب الفرد من ٥٠ جنيه الى ١ر٥٩ جنيه وهذا يمثل ارتفاعا فى المستوى المعيشى للفرد وتوزيع هذا الارتفاع كان أقرب ما يكون الى العدالة فقد شارك العمال فى الارباح وزادت مجانية التعليم والخدمات الصحية وهذا يعنى زيادة فى عدالة التوزيع كما يعطى لهذا المؤشر قيمة حسنة ·

أما مرحلة الانكماش فقدتحققت بسبب سحب المعونة الأمريكية وضغط صندوق النقد الدولى وتعرضنا لبعض الصعوبات التى واجهناها واستغلالهـا لاعتمادنا على معونة القمح الأمريكى وكان هذا الضغط يستهدف هدم التنمية وقد ظهر أثرهذا فى اتجاه انكماشى سنة ٦٥/٦٤ ١٩٦٥ حيث هبطت الاستثمارات من ٣٧٤ مليون جنيه الى ٣٦٤ مليون جنيه ارتفعت ثانية فى ٦٦/٦٥ الى ٣٧٠ مليون جنيه ولكنها هبطت فى سنة ٦٧/٦٦ الى ٣٥٨ مليون جنيه · اذنفترة الانكماش يمكن أن نقول انها استمرت حتى ١٩٦٧/٦٦ وفى سنة ٦٦/٦٥ ارتفع الدخل بنسبة ٥٪ فقط وهذا يفسر لنا أنه كان هناك ضيق اقتصادى وحدث لهذا انعكاس سياسى بدون شك ، وفى سنة ١٩٦٧/٦٦ كان معدل النمو فى الدخل القومى هو ٧٪ وهذا انعكاس للسياسة الانكماشية للسنة السابقة كما أن العدوان كان له أثر على البترول ، وكذلك انخفاض المحاصيل الزراعية فى هذا العام كان له أثر كبير ·

ولكن العامل المهم أيضا هو العامل الانكمـــاشى ومنذ اليوم الأول للسياسة الانكماشية كنا نعد العدة للقضاء عليها والعودة للانطلاق ؛ وقـد ساعد على هذه المرحلة أيضا أنها جاءت فىمرحلة وقع فيها العدوان ؛ ولكننا قد حولنا الانكماش الى توسع ؛ وهنا لابد أن نقف قليلا أمام تفكير عدونا ؛ وماذا كان فى هذه الناحية ان اسرائيل جاءت وأوقفت جيشها عنـــد شرق القناة ؛ وطبقا لما ذكرته الجرائد الغربية ؛ كان تفكيرهم قائما على أساس أن جيشنا قد تحطم بالكامل واننا ازاء احتلال جزء من أرضنا سنحاول اعـادة بناء جيشنا ؛ وهذا يحتاج الى موارد اقتصادية ضخمة ومن أين نأتى بذلك ؟ لابد أن يحدث هذا على حساب التنمية ؛ وبالتالىسيحدث انكماش ضخم جدا فى التنمية ؛ لأنه كى نبنى جيشنا ونزوده بالدبابات والطيارات وغيرهـــا لابد من دفع مبالغ ضخمة جدا لاقامة هذا البناء · وكانوا يقدرون لهذه العملية خمس سنوات لو أننا أخذنا كل مليم يخصص للتنمية · ولما كان الانكماش يعنى أضعاف توزيع الدخول وانخفاضها ؛ وايجاد ضيق وخلخلة سياسية ؛ فانه بهذه السياسة يمكن أن ينهار النظام ، وتأتى أمريكا لتتسلم المنطقة · ان حسابهم كان قائما على ذلك · وفى الواقع أن الانسان وهو يؤرخ لهـذه الفترة لابد أن يقول اننا هزمنا بنجاح هذا التفكير وهزمنا هذه الخطة ، وأننا

استطعنا ـ ليس فقط ـ اعادة بناء القوات المسلحة ؛ ولكننا وصلنا الى ظرف نحول فيه الانكماش الاقتصادى الى توسع فكيف تم هذا ؟ ٠

ان هذا ليس مجرد كلام نقوله ، بل انه نشر منذ وقت قريب تقرير لصندوق النقد يقول فيه ان الاقتصاد المصرى أمكنه أن يسير فى حركة توسع ، أما كيف تم ذلك فانه تم نتيجة للعوامل الآتية :

١ ـ عامل نفسى ؛ لابد أن نذكره فى البداية ؛ وقد يكون هذا العامل لم يضعه العدو فى الحسبان ٠ فان المشكلة فى شعبنا أن أقوى ما فيه من خصائص لا تظهر الا وقت الخطر ؛ وهذا أمر نلمسه فى تاريخنا المصرى القديم أو فى العصور الوسطى فى مواجهة الصليبيين ٠٠ الخ ٠

لقد كان فى ذهن الاسرائيليين أن الصدمة ستؤثر فى نفسية الفلاحين حيث أنهم لن يعبأوا بمقاومة الدودة فى القطن ٠ والامر الذى ثبت هو أنه بتحرك بسيط من الجهاز السياسى استطاع الفلاحون ـ والفلاح ينقذ مصر دائما بدافع من وطنيته الأصيلة ـ أن يحققوا محصولين للقطن من أكبر المحاصيل فى تاريخنا وانقذوهما من خطر الدودة ؛ وكان ذلك من أكبر الأسس التى ساعدت على الصمود لأنه لو جاء محصول القطن رديئا فى عامى ١٩٦٧/٧٦ ، ٦٨/٦٧ لم أمكن لنا أن نتخذ هذا الموقف ، والفضل فى ذلك يرجع الى الفلاح ولابد أن يذكر له هذا الموقف بالفخر ٠ وكذلك فان العامل فى مصنعه وقف موقفا كبيرا ٠ ولم تحدث النكسة الانهيار النفسى لدى القوى العاملة ، كما تصور العدو ، بل حركتها لزيادة الانتاج ٠

٢ ـ ظهور آثار الخطة الخمسية الأولى ؛ فهناك مشروعات بدأت فى الخطة ولم تكن قد أعطت انتاجا ؛ لأن طبيعتها ألا تعطى انتاجا فى مرحلة التفريخ ، بدأت تعطى انتاجها الجزئى أو الكامل ، فكانت سندا قويا لعملية الصمود ؛ وقد تحقق هذا بالنسبة لكثير من الصناعات ؛ مثل الصناعات الكيماوية أو الأدوية ٠٠ وغيرها ٠٠ أو الأراضى المستصلحة ، كل هذا بدأ يعطى انتاجه ، وبذلك يمكن بكل أمانة أن يقال ان الخطة الخمسية الأولى التى هوجمت مصر بسببها استطاعت بعد النكسة أن تنقذ مصر ٠

٣ ـ ان الشعب المصرى قبل أن يتحمل تضحيات كثيرة ، بما تحمله من ضرائب زيدت ، ورسوم فرضت على بعض السلع خلال السنتين الماضيتين ٠٠

٤ ـ التضامن العربى : اننا لم نغلق قناة السويس لحساب مصر ؛ وانما لحساب القضية العربية والدعم العربى ؛ والذى نأخذه ليس صدقه ؛ فنحن لا نأخذ صدقة من أحد ، فكما قلنا لم تغلق القناة لحسابنا بل لحساب الأمة العربية فلو انهارت مصر فلن تبقى للامة العربية أى ذكرى أو تقوم لها قائمة ، فالوقفة التى نقفها هى لحساب الأمة العربيه ، وفى مقابل ذلك نحصل على دعم نضعه كله فى صندوق الطوارىء ، ويستخدم لحساب القوات المسلحة ٠ ونود هنا أن نقف وقفة تاريخية لاظهار براعه القائد الملهم فى هذا المجال ، ففى أكتوبر سنة ١٩٦٧ كان الكثيرون ينادون بل ننادى جميعا ـ حتى الاقتصاديون ـ بتوقيع عقوبة على الدول التى حاربتنا بأن نوقف ضخ البترول ؛ والواقع أن القيادة لم تعط توجيها فى هذا الشأن ؛ وقد كان معنى

وقف البترول أن يتعرض العالم العربى لهزة عنيفة ؛ فان البترول فى بعض البلاد العربية يمثل المورد الأساسى للنقد الاجنبى ، وهذا يعرضها للضائقة الاقتصادية ؛ ويتفتت العالم العربى ؛ وينقلب بعضه على بعض وينهار اقتصاديا ؛ وفى المرحلة التى كنا نطالب فيها بوقف البترول كان هناك تشجيع من بعض الاقلام الاستعمارية لتضخيم الفكرة وتحسينها لنا ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر الخرطوم تدخل وقال انه لا يرى وقف ضخ البترول العربى بل تستخدم موارده فى دعم الدول التى تواجه العدوان، وقد تلقف المسئولون عن البترول هذا الاقتراح ؛ وبهذه الحكمة والسياسة أمكن معالجة الوضع • ومبلغ الدعم يقدر بحوالى ١٠٩ـ١١٠ ملايين جنيه لا يوجه مليم منها للتنمية الاقتصادية فى بلدنا ؛ بل يوضع فى صندوق للطوارىء ويوجه الى القوات المسلحة •

والذى أريد أن أقوله أن التضامن العربى ـ بالاضافة الى تضحيات الشعب المصرى لتعويض مصر عن الآثار التى تحملتها فى خدمة القضية العربية كلها تجعلنا نحس بأننا نأخذ هذا المبلغ بكرامة ـ أقول هذا لأن الرجعية فى الداخل بل وفى البلاد التى تقدم هذا الدعم ربما تستخدم هذا الأسلوب للرد على ما يقال فى هذا الشأن يكفى أن نقول أننا كنا نحصل على هذا المبلغ من قناة السويس التى أغلقت لصالح القضية العربية واننا لو أردنا اهدار هذه القضية لأمكن لنا ذلك ؛ فان وزير الخارجية الأمريكى عرض فى أكتوبر الماضى أن ينسحب اليهود من سيناء ، وتفتح القناة ، وذلك مقابل أن نترك اليهود وشأنهم للاتفاق مع سوريا والأردن •

٥ ـ العامل الأخير المهم فى هذا الشأن هو أن اعادة بناء القوات المسلحة تمت نتيجة للصداقة والتعاون العميقين ما بين الشعوب السوفيتية والاتحاد السوفيتى وبيننا مما مكننا من اعادة البناء دون أن يكون لذلك أى تأثير اقتصادى علينا مما كان يتوقعه أعداؤنا • ودون أن يؤثر فى المدى القصير على ميزان مدفوعاتنا ، فاننا نحصل على الاسلحة على النحو الآتى :

١ ـ جزء كمعونة •

٢ ـ جزء يدفع ثمنه •

٣ ـ جزء بقروض طويلة الاجل •

وقد جعل هذا من الممكن أن نستمر فى التنمية دون انكماش اقتصادى ولا بد أن نذكر هذا فى الواقع بشىء كبير من التقدير ؛ خاصة اذا قررنا أن الاتحاد السوفيتى انما فعل ذلك دون أن يضغط علينا فى أى مجال من المجالات ؛ أو ناحية من النواحى • وقد يسأل البعض عن مصلحة الاتحاد السوفيتى فى ذلك ؟ وصحيح أنه من المؤكد أنه لا يوجد عمل سياسى لا يستهدف تحقيق مصلحة ما ، ولكن المصلحة هنا مصلحة كبيرة جدا فليست المصلحة هى السيطرة على مصر ؛ ولكن ماذا يعود على الاشتراكية فى العالم اذا خضعت المنطقة التى نعيش فيها ـ من جديد ـ للقوى الاستعمارية فى العالم •

اننا كدول اشتراكية نمثل وحدة فى المبادىء وفى مجابهة الاستعمار ؛ مع الاحتفاظ لكل بلد باستقلاله الوطنى ؛ اذن هناك مصلحة تكفى لان يتحرك الاتحاد السوفيتى لمصلحتنا ٠

هذه هى العوامل الخمسة التى جعلت الصمود الاقتصادى حقيقة واقعة : وصورة الصمود الاقتصادى واضحة فى ميزانية السنه الاخيرة ويكفينا منها دلالة أنه :

أولا : فى ميزانية هذا العام خصص فى جانب الانفاق للامن القومى والدفاع زيادة قدرها ستون مليونا من الجنيهات عما خصص لذلك فى العام الماضى مما دعم امكانية الاستعدادات للمعركه وزاد من قوتها وأخذت اولويه أول وحصلت على زيادة قدرها ٦٠ مليونا من الجنيهات كما سبق القول ٠

ثانيا : مع تدعيم الاستعداد للمعركة ومتطلبات الامن القومى استمر التركيز على التحول نحو التوسع ؛ بل يمكن القول بأننا دخلنا فعلا فى مرحلة التوسع ٠ لقد ذكرت لكم أن الاستثمارات كانت فى ٦٨/٦٧ حوالى ٢٥٠ مليون جنيه ؛ أى أنه قد حدث انكماش كبير ؛ ولكن بعد ذلك فى عام ٦٩/٦٨ كانت بداية عملية التحرك نحو التوسع ؛ فارتفعت الاستثمارات الى ٣١٢ مليون جنيه ؛ وسنتمكن بمشيئه الله من تحقيقها حتى نهاية العام ؛ وفى الميزانية الجديدة أعطيت دفعة للاستثمارات فى استصلاح الاراضى والاسكان والصناعة ؛ وتبلغ الاستثمارات :

٣٥٠ مليون جنيه فى القطاع العام والحكومة ٠
٢٨ مليون جنيه للقطاع الخاص ٠
٢٠ مليون جنيه زيادة فى المخزون لدعم التنمية ٠

اى أن هناك ٣٩٨ مليون جنيه استثمارات ؛ وهذا يعنى اننا كسرنا حلقة الانكماش التى كانت موجودة ؛ واننا وصلنا الى مستوى اذا حققناه فاننا نتجاوز النمو الذى حدث ٠ والنقطه التى تاتى بعد هذا هى : فى أى أوجه تصرف هذه الاستثمارات أساسا ؟ لقد قلت أن الدعم الاقتصادى انما يتم بدعم الزراعة والصناعة ٠ واذا نظرنا الى الصناعة نجد أن الاستثمارات فى الصناعة والكهرباء والبترول ارتفعت من ١٣١ مليون جنيه فى عام ٦٩/٦٨ الى ١٤٥ مليون جنيه فى عام ٧٠/٦٩ ؛ والزراعة من نحو ٥٨ مليون جنيه الى ٦٠ مليون جنيه ، والزيادة هنا وان كانت تبدو بسيطه الا أننا فى عملية استصلاح الاراضى سنقوم باستصلاح ٤٠٠٠٠ فدان وهى الكمية الصالحة فى المناطق الموجودة حاليا ؛ وكان من الممكن أن نعمل فى سهل الصالحية والاسماعيلية ؛ الا أننا لا نستطيع القيام بهذا العمل بسبب ظروف المعركة ولكن يقابل ذلك أن هناك زيادة فى المساحات المستزرعة من الاراضى المستصلحة ؛ وأن هناك توسعا فى مشروعات الرى والصرف العام الحقلى والمغطى ٠ وبالاضافة الى ذلك فان الاستثمارات ارتفعت فى قطاع البترول من ٢٥ مليون جنيه الى ٣٧ مليون جنيه وهذا يعنى التركيز على البترول لاهميته ٠ وبرغم ذلك لم ننس أن الدعم الاشتراكى انما يتم على أساس الصناعة الثقيلة التى يحاولون صرفنا عنها ؛ وعلى ذلك خصص مبلغ ٢٩

مليون جنيه لمجمع الحديد والصلب مقابل ١٩ مليون جنيه ؛ بزيادة قدرها ١٠ ملايين جنيه ، ثم أعطيت استثمارات للصناعات التى تعتمد على كهرباء السد العالى مثل الالومنيوم والاسمدة • وفى قطاع الخدمات لم نهمل الجانب المهم منها ؛ ويكفينى هنا أن أذكر أن هذا يعنى الارتقاء بمستوى الخدمات • ففى قطاع الخدمات فى الاسكان والمرافق ارتفعت الاستثمارات من ٧ر٨ مليون جنيه الى ٢٢ر٢ مليون جنيه لان الاسكان فيه ضيق واختناق ؛ وكلنا نشعر بذلك ؛ ولهذا كان هناك تركيز عليه •

وبالنسبة للتعليم أيضا سرنا فى التوسع فيه ، ولكن هناك نقطة جوهرية هى أن هناك استثمارات غير مخصصة مقدارها ٢٣ مليون جنيه لمواجهه أى طارىء أو أيه مشروعات قد تنشأ • ونود هنا أن نشير ايضا الى اننا نخصص لاول مرة ٣ ملايين جنيه لنشر الكهرباء فى الريف ، هذا بالاضافة الى ما يمكن أن يبذل فى هذا الصدد من جهود ذاتيه فى القرى بواسطه الاتحاد الاشتراكى •

وننتقل بعد هذا الى كيفية تمويل الاستثمارات ؛ وهى تبين جانبا مهما من جوانب الصمود وهو القوة الذاتية • ولا يكفى أن نعرض هذه الاستثمارات بل لا بد من عرض الميزانيه الجاريه ؛ وهى تتمثل فى البابين الاول والثانى فى الحكومة وفى المؤسسات ؛ وقد زادت الميزانيه الجارية بنحو ١٤٧ مليون جنيه ؛ لان الاستخدامات الجارية ارتفعت من ٣٢٨ مليون جنيه الى ٣٩٨ مليون جنيه ، فان هذا يعنى أن هناك ١٨٥ مليون جنيه زيادة فى الاستخدامات الجارية والاستثمارات • فمن أين مولنا الزيادة ؟ وللاجابة على ذلك سنعطى فكرة بسيطة عن الموضوع :

مدخرات حقيقية متولدة من التأمينات الاجتماعية وصناديق التوفير وشهادات الاستثمار ١٩٢ مليون جنيه ؛ التمويل الذاتى من قطاع الاعمال ارتفع من ٦ر٣٣ مليون جنيه الى ٣ر٤٨ مليون جنيه ؛ اى أن به زيادة تبلغ حوالى ١٥ مليون جنيه من شركات القطاع العام ؛ وهذا معناه ان القطاع العام كفاءته تزيد بنسبة ٣٣٪ وهذا لا يتأتى الا اذا زاد القطاع العام انتاجيته ، وهو متعهد وملتزم بذلك ، وكذلك الجهاز المصرفى نأخذ منه ٣٧ مليون جنيه وهذا نوع من المدخرات نستفيد به ، وسنحصل من الخارج على تسهيلات ائتمانية بمقدار ٦٠ مليون جنيه سنسدد منها نحو ١٠ ملايين جنيه • ولو أننا نظرنا الى ميزان مدفوعاتنا نجد أن العجز حوالى ٥٠ مليون جنيه اى أن المديونية مع العالم الخارجى توازى العجز فى ميزان المدفوعات ، وأود أن نقيس هذا بالموقف فى الخطة الخمسية الاولى ، حين كنا نبنى حيث كان الاقتراض ٤٨٧ مليون جنيه أى بمتوسط ٨٣ ـ ٨٥ مليون جنيه سنويا على مدى سنوات الخطة ، والواقع أنه فى السنوات الأولى كانت الاستثمارات قليلة ، فكان الاقتراض أقل من ٨٥ مليون جنيه ، وازداد الاقتراض خلال سنوات الخطة حتى وصل الى ١٥٠ مليون جنيه ، فاذا كان العجز الجارى فى ميزان المدفوعات قد هبط الى ٥٠ مليون جنيه فهذا يوضح ما أصبح عليه شكل الوضع الاقتصادى ، وعندما جاء مندوبو صندوق النقد الدولى ودرسوا الموقف اعترتهم الدهشة وكتبوا فى تقاريرهم أن الاقتصاد المصرى ـ برغم

المعركة وبرغم النكسة فانه بفضل الاجراءات التى حدثت فى السنين الاخيرة وفضل قوة التنمية التى تمت خلال سنوات الثورة ـ أمكنه أن يواجه التزاماته ، وأمكنه أن يسير فى عملية التنمية بخطى أوسع ، وأمكنه أن يواجه كل هذا دون أن يزيد اقتراضه من العالم الخارجى ، بل على العكس نقص هذا الاقتراض . ولكى يتم هذا كان لابد أن يزيد التصدير ويقل الاستيراد وينظم وفعلا تم هذا وأمكن أن نواجه كل ذلك دون أن تسوء الحالة مع العالم الخارجى بل بالعكس تحسن موقفنا ، وربما يمكن لاى بلد أن يقوم بمواجهه ذلك بفرض ضرائب كثيرة ، ولكن ـ ولاول مرة منذ سنوات الثورة تصدر الميزانية دون أن تزيد من معدلات الضرائب والرسوم أو تتضمن أية أعباء على الشعب. ومع التوسع فى الاستخدامات ومصاريف التنمية ومصاريف الدفاع لم تزد الاعباء على الشعب ، لأننا مؤمنون بأن الشعب تحمل تضحيات كثيرة جدا ، وما نقول له دلالة وهى أن الكفاءة ترتفع شيئا فشيئا ، كما تدل على سلامة مركزنا الاقتصادى ، وهذا كله يفسر أسباب تركيز عدونا فى اذاعاته على هذه النقطة ، حيث يردد أننا لن نستطيع الوقوف أمامه ، وسنرى هل نستطيع أو لا نستطيع .

القسم الاخير هو ما واجبنا ؟ ان واجبنا أولا أن نقوم بعمل سياسى ضخم ؛ وأن نتصدى من خلال هذا العمل السياسى لتوضيح هذه الصورة للشعب . وكل تدعيم لكفاءة العمل السياسى سواء بالتخطيط للحركة بين الوحدات أو بين الجماهير بواسطة اللجان سواء أكان التخطيط متصلا بعملية توعية أو أى تحرك سياسى ففى اعتقادى أن له أهمية كبيرة من الجانب الاقتصادى .

ثانيا : ضرورة تحرك العمل السياسى فى مساندة العمليات ذات التأثير المباشر على الاقتصاد ؛ فمثلا موسم دودة القطن ؛ والمحافظة التى ينجح فيها العمل السياسى هى التى تستطيع زيادة تحرك الفلاحين للتغلب على دودة القطن ؛ ومعيار نجاح العمل السياسى فى المرحلة القادمة هو التغلب على عدو آخر يتصدى لنا دائما وهو دودة القطن .

ونفس المعنى لابد أن نوضحه أيضا للعاملين ، ولقد بدأنا ـ تنفيذا لتوصية المؤتمر القومى ـ فى تشكيل لجان الانتاج فى المصانع ، ولابد لهذه اللجان ـ مع لجان الاتحاد الاشتراكى ـ أن تحرك العاملين نحو زيادة كفاءة الانتاج الصناعى ؛ سواء من ناحية زيادة الانتاج ؛ أو خفض التكاليف ؛ أو لتحقيق وفر فى مستلزمات الانتاج بتقليل العادم وغير ذلك من الامور ؛ وهذه عملية لا تكفى لمواجهتها الاوامر الادارية بل تحتاج الى عملية تحريك سياسى .

اذن فالنقطة الاولى هى التحرك السياسى لتحقيق انتاج زراعى وصناعى باقوى ما يمكن من الكفاءة لتحقيق أكبر حجم فى الانتاج بأقل تكاليف ممكنة.

والنقطة الثانية هى خلق الجو السياسى الملائم فى المشروعات الانتاجية للعلاقة بين المسئولين عن المشروعات والقوة العاملة فى هذه المشروعات ؛

وبدون خلق جو سليم لاستمرار هذه العلاقة فان العمل الذى يتم فى الجانب الادارى لا يعطى الاثر المطلوب ، وانه باقناع العمال يمكن أن يحققوا نتائج أفضل مما يتحقق نتيجة اصدار أوامر ادارية ..

ثالثا : أن ندرس ـ بشكل مستمر ـ البيانات الاقتصادية ومع أن لغة هذه البيانات قد تكون جافة ؛ وتحتاج للمران على قراءتها ؛ ولكننى أعتقد أن هناك أرقاما ـ عند الاطلاع عليها ـ بما تفتحه من آمال ؛ وما تعبر عنه من امكانيات تكون أعذب وأرق من كل سيمفونيات الموسيقى ؛ لانها توضح لنا أن هناك أملا كبيرا فى التقدم ، وأننا نسير بخطى واسعه فى الطريق الى النصر الذى نرجو أن نحققه قريبا ..

المحاضرة الثالثة
حول قضايا التغيير والمعركة والتحول الإشتراكي

مقدمة

في شهر يوليو سنة ١٩٦١ بدأ الشعب العربى فى مصر مرحلة جديدة من مراحل ثورته المجيدة بمسيرة باسلة نحو أهداف نضاله الكبرى ، هى مرحلة التغيير الجذرى لبناء المجتمع المصرى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا على أساس من الاشتراكية وديموقراطية الشعب العامل ٠

وفى مايو سنة ١٩٦٢ أقر المؤتمر القومى لقوى الشعب العاملة ميثاق العمل الوطنى كأساس فكرى ودليل للعمل الوطنى فى مرحلة التحول الاشتراكى ٠

ووسط ظروف بالغة الصعوبة والخطر ؛ هى من طبيعة فترات التحول الكبرى بما تتضمنه من صراعات بين الجديد الذى يحاول أن يثبت أقدامه والقديم المتشبث بمواقعه ٠

ووسط تيار لا يهدأ من مؤامرات الاستعمار وضغوطه ، وتربص ربيبته اسرائيل ونشاط عملائه وحلفائه ٠

وازاء كل هذه المخاطر ـ وعلى الرغم منها ـ استطاع شعبنا أن يحقق الكثير وأن يخطو نحو أهدافه خطوات واسعة وأن يجتاز عقبات كثيرة :

ـ استطاع أن يحقق استقلاله الوطنى كاملا لا تشوبه أى شائبة تبعية أو خضوع لاى لون من ألوان السيطرة الخارجية ٠

ـ واستطاع أن يبنى قاعدة التقدم الاقتصادى بمئات المشروعات العظيمة ٠

ـ واستطاع النضال المرير أن يتغلب على الكثير من العقبات والمعوقات التى كانت تعترض طريقه وتعوق تقدمه ٠

ـ واستطاع وهو يخوض معارك التطوير والبناء أن يحقق لابنائه فى نفس الوقت قدرا أكبر من الرخاء ومن عدالة التوزيع ، ومن الفرص المتكافئة فى العمل وفى خدمات التنمية الاجتماعية ٠

★ وبعد مرور ما يقرب من ست سنوات على بدء مرحلة التحول أصبح واضحا لجماهير شعبنا ولكل القوى المتطلعة الى نضاله ـ العدو منها والصديق ـ أنه قد بات قاب قوسين أو أدنى من تحقيق أهدافه وبلوغ آماله٠

ـ فمشروعاته الكبرى توشك أن تؤتى ثمارها كاملة ٠

ـ ومؤامرات الاستعمار وضغوطه ومحاولات عملائه قد آلت كلها الى فشل ذريع أمام صموده وصلابته ٠

والمد التحررى يجتاح الوطن العربى فى أكثر من مكان ٠

ـ وعمليات التقييم والمراجعة استكشاف للنواقص والاخطاء واستهدافا لسد الثغرات فى بنائنا السياسى والاقتصادى والاجتماعى أخذت تتزايد وتفرض نفسها بشكل واضح على تفكيرنا ٠

★ ثم وقع عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ وفوجئت جماهير شعبنا بلطمة الهزيمة السريعة ؛ ولكنها سرعان ما استعادت توازنها مدركة بوعيها واصالتها أن السر فى الهزيمة لم يكن يرجع الى تفوق اسطورى لقوة العدو بقدر ما كان مرجعه الى عيوب وثغرات فى بنائنا انعكست آثارها على قدرتنا على مواجهة العدو فكانت الهزيمة ٠

★ وبنفس الاصالة استطاع شعبنا أن يحدد موقع العيوب والثغرات وأن يميز بينها وبين كل ما تحقق من ايجابيات ؛ وأن يكتشف من خلال ذلك الحقيقة التى ساعدت على استعادة توازنه بسرعة مذهلة بعد لطمة الهزيمة القاسية هذه الحقيقة هى : أن موقع العيوب والثغرات لم يكن فى المبادىء والاسس التى ارتضاها لصياغة حياته على أرضه ؛ وانما فى خروج البعض على هذه المبادىء والاسس ؛ ومن ثم كانت نداءات التغيير والتى عبرت عنها ارادته هى العودة بكل قوة الى التشبث بها ٠

أولاً : ماهى الأسباب التى تطلبت التغيير

★ كشفت نكسة يونيو ١٩٦٧ عن تناقضات فى البناء السياسى والاجتماعى والعسكرى للمجتمع المصرى كانت من بين الاسباب التى ساعدت على حدوث النكسة ٠ ثم كانت الوقفة التاريخية لجماهير شعبنا العاملة فى ٩ و ١٠ يونيو التى فرضت بها ارادتها بشكل قاطع بالنسبة لكل القضايا التى تتعلق بكيانها ومستقبلها :

ـ اصرار على الصمود ورفض الهزيمة ٠

ـ اصرار على الاستمرار فى المعركة حتى النصر ٠

ـ اصرار على التمسك باستمرار التحول الاشتراكى نحو مجتمع أكثر تقدما وأكثر تقدمية ٠

ـ اصرار على التمسك بقيادتها التاريخية ممثلة فى المناضل جمال عبد الناصر وبقائه فى موقع القيادة ليتم رسالته ٠

وكان من الطبيعى ـ صدوعا بأمر الجماهير وعملا على تحقيق ارادتها أن تتم عملية مراجعة دقيقة وصادقة وأمينة لكل الاوضاع التى كانت سائدة عشية الهزيمة استهدافا لاجراء عملية تصحيح واعية ومخلصة لكل الاخطاء هذه العملية هى ما نعبر عنه بكلمة ٠٠ التغيير ٠٠

★ ولقد كان من أبرز ما كشفت عنه عملية المراجعة من تناقضات ما قبل النكسة هو ذلك التناقض الخطير بين مبادىء المجتمع وأداة تطبيق هذه المبادىء والذى برزت ملامحه فيما يلى :

أولا : ان بعض العناصر التى تولت مسئولية العمل فى عدد من المواقع فى مرحلة التحول الاشتراكى كان بناؤها مكونا ـ فى الغالب الاعم ـ من عناصر هى بحكم واقعها الاجتماعى اما غير أمينة ومؤمنة أصلا بالخط الاشتراكى أو غير قادرة على استيعابه وهو ما عبر عنه القائد جمال عبد الناصر بقوله « كنا نطبق الاشتراكية بغير اشتراكيين » ٠

ولكن هذه العناصر بقدر ما كانت تبتعد بسلوكها وتصرفاتها عن هذا الخط ؛ كانت فى نفس الوقت تبالغ فى رفع شعاراته فى محاولة ـ خبيثة أو ساذجة ـ للتلاؤم مع الاتجاه العام لقوى الشعب العاملة من ناحية وتملقا للقيادة الثورية من ناحية أخرى وكان من أثر التمادى فى هذا التناقض بين القول والسلوك أن شاع جو عام من النفاق السياسى كان من بعض نتائجه الطبيعية اخفاء الكثير من الحقائق وطمس الكثير من الاخطاء ٠

ولا شك أن الجزء الاكبر والاخطر بالنسبة لهذا النوع من معوقات التغيير يتمثل فى المواقف العملية لنوعيات معينه من بعض العناصر التى كانت فى مواقع المسئولية ، ولكنه من دواعى الانصاف أن نقر أيضا بأن هذه المواقف الى جانب تأثرها بالدوافع الذاتية لهذه العناصر فانها أيضا تتأثر الى حد كبير بوضعية هذه الاجهزة والدور الذى تلعبه فى المجتمع ، كما تؤثر فيه ·

★ ومشكلة هذه الاجهزة التى تولت ولا زالت تتولى المسئولية الفعلية فى قيادة عملية التطور بسيطرتها على مراكز الانتاج ومؤسسات الخدمة العامة أنها بعيدة فى مجموعها عن استيعاب الدور الذى رسمه لها الميثاق وهو أن تكون وسيلة لتنظيم الخدمة العامة وضمان وصول ناتج العمل الوطنى على نحو سليم « الى الجماهير صاحبة الحق فيه » وبمعنى آخر ـ أن تكون أجهزة فى خدمة الشعب وليست أجهزة فوق الشعب تضع مصالحها الذاتية فوق مصالحه ·

★ ولكن حتى تقوم هذه الاجهزة فعلا بالدور الذى رسمه لها الميثاق على هذا النحو فانه لا بد أن يتوافر لها شرطان :

ـ أولها شرط جوازى بمعنى أنه قد يكون أولا يكون متوافرا فى كل الاوقات وبنفس الدرجة ؛ وان كان من الضرورى العمل المستمر على توافره فى المستقبل ·

ـ وثانيها شرط لازم لابد من توافره فى كل الاوقات ·

فأما الشرط الاول ـ وهو شرط جوازى كما قدمنا ـ فهو أن تكون هذه الاجهزة فى بنائها العام وليست أجزاء قليلة من هذا البناء ـ حتى وان كانت هذه الاجهزة تمثل مركز القوة ـ أجهزة ثورية ، فوجود عنصر ثورى على قمة جهاز ما قد يساعد على تطوير عمله ولكنه لا يستطيع أن يحوله الى جهاز ثورى بين يوم وليلة ·

وأما الشرط الثانى ـ وهو لازم كما قدمنا ـ فهو أن تخضع هذه الاجهزة دائما لرقابة وتوجيه فعالين من السلطة الشعبية ؛ وهو الامر الذى حرص الميثاق على تأكيده كضمان أساسى لاتجاه العمل الوطنى نحو خدمة جماهير الشعب العاملة وتحقيق مصالحها وأهدافها ·

★ ولكن الواقع الذى لا زلنا نعانى منه حتى الآن يؤكد أمرين :

ـ الامر الاول : أنه بعد مرور ثمانى سنوات على بدء التحول الاشتراكى وسبع سنوات على صدور الميثاق ، فان هذه الاجهزة لم تتطور بالقدر الواجب ، وهو أمر نستطيع أن نرجعه الى الاسباب الآتية :

١ ـ أن كثيرا من قيادات هذه الاجهزة هى بحكم انتمائها الطبقى وواقعها الاجتماعى لا تؤمن بالاشتراكية كهدف للحياة وأسلوب للتفكير والعمل ·

٢ ـ أنه لم يتم حتى الآن ـ وبشكل عملى ـ غزو لهذه الاجهزة من الداخل بكوادر ثورية معدة فكريا ونضاليا اعدادا يساعد بطريقة فعالة على

احداث تغيير كيفى فى البناء الداخلى لهذه الاجهزة ومن ثم الى تغيير فى المناخ العام لعملها ·

٣ ـ أن هذه الاجهزة ظلت طوال هذه الفترة ـ ولا زالت حتى الآن ـ والى حد كبير ـ بعيدة عن متناول التوجيه والرقابة الفعالين للسلطة الشعبية·

ـ الامر الثانى : أنه كان من محصلة ذلك كله أن قوة الاستمرار اندفاعا من القديم الموروث ظل تيارها حتى الآن بالنسبة لهذه الاجهزة أقوى من تيار التطور ؛ وان هذا الواقع يعبر عن نفسه بمواقف عملية تقفها هذه الاجهزة أو عناصر من المنتمين اليها ـ بالوعى أحيانا وباللاوعى فى أغلب الاحيان ـ ضد أى اتجاهات للتغيير تعبر عن فلسفه لم يهيأ بعد لاستيعابها بالقدر اللازم لاحداث تحول جذرى فى مواقفها ·

ثانيا : عدم وجود تنظيم سياسى مناضل يقود عملية التحول باسم الشعب ولصالح قواه العاملة ·

فلقد كان التنظيم السياسى الذى بنى فى بدايه مرحلة التحول قد ولد وهو يحمل فى تضاعيف بنائه نفسها عوامل ضعفه واضمحلاله ، وبالرغم من المحاولات الجادة والمخلصة التى بذلت لبعث الحياة فيه ، فانه ظل بوجه عام فاجزا عن أداء دوره الطبيعى فى قيادة عملية التحول التى ظل زمامها فى يد أجهزة السلطة وأصبح كل شىء يتم بعيدا عن متناول السلطة الشعبية فى التوجيه والنقد والرقابة والمحاسبة ومن ثم انفتح المجال أمام مراكز القوى لتتكون وتسيطر مقدمة المصالح الذاتية لعناصرها على المصالح العامة ·

★ **عندما نتحدث هنا عن قصور ذاتى فى قوى التغيير نفسها فاننا نعنى على وجه التحديد بقوى التغيير أنها قوى الثورة ؛ وقوى الثورة تظل وصفا شاملا وشائعا لفكر محلق ؛ وشعارات يتردد رجعها فى الاجواء ثم يتبدد ؛ ما لم تتجسدهذه القوى وتشق أرض الواقع لتناضل من أجل تغييره؛ وهنا فقط تصبح قوى الثورة حقيقة لا مجازا ؛ وتكتسب المضمون الحقيقى لصفتها من حيث أنها « قوى » ·**

★ **ولكى يتحقق لقوى الثورة هذا التجسد كان لا بد لها من أن تحسم** عدة قضايا :

أولا : أن تعرف نفسها تعريفا يميزها بالنسبة لباقى القوى ويحدد علاقتها بها ·

ثانيا : أن تتفق فيما بينها على الاهداف التى تمثل مصالحها ·

ثالثا : أن تبلور فكرها فى ضوء الاهداف التى ارتضتها لنفسها ·

رابعا : أن ترسم طريق نضالها من أجل تحقيق هذه الاهداف وتحدد وسائله ·

خامسا : أن تتفق على الصيغة التى تمارس بها مسئولياتها ؛ وأهم من

ذلك أن تفرض ارادتها وتترجم هذه الارادة الى سلطة قادرة على تحقيق أهدافها والوفاء بمطالبها ·

★ ولقد استطاعت قوى الثورة ممثلة فى المؤتمر القومى العام لقوى الشعب العاملة المنعقد فى أوائل عام ١٩٦٢ أن تنتهى الى اجابات حاسمة لكل هذه القضايا صاغتها فى ميثاق العمل الوطنى ارتضته أساسا فكريا ودليلا للعمل فى مرحلة التحول الاشتراكى ؛ كما انتهت الى صيغة الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يضم تحالف قوى الشعب العاملة باعتبارها الصيغة الملائمة للتنظيم السياسى الذى تستطيع من خلاله هذه القوى أن تمارس مسئولياتها فى قيادة العمل الوطنى بما يضمن سيره فكرا وأسلوبا فى الاتجاه الذى يخدم مصالحها ويحقق أهدافها ؛ وليجد الميثاق من خلال منظمات الاتحاد الاشتراكى طريقه الى التطبيق العملى ؛ ولذلك حددت أهداف الاتحاد الاشتراكى فى أربعة أهداف رئيسية :

١ ـ تحقيق الديموقراطية السليمة ·

٢ ـ تحقيق الثورة الاشتراكية ·

٣ ـ دفع امكانيات التقدم ثوريا لصالح الجماهير ·

٤ ـ حماية الضمانات الديموقراطية التى قررها الميثاق ·

★ ثم كان الواجب الاول والذى يعتبر محورا لكل واجبات الاتحاد الاشتراكى حتى يحقق أهدافه هو « أن يكون قوة ايجابية تدفع العمل الثورى » ·

الا أن تقييم التجربة التى خاضها الاتحاد الاشتراكى خلال السنوات الخمس الاولى من حياته ـ وبالرغم من تعدد المحاولات الصادقة التى بذلت بين حين وآخر ـ قد كشفت بجلاء عن نقص خطير فى عنصر الايجابية وهو نقص يمكن أن نعدد بعض ظواهره فيما يلى :

١ ـ اضطراب العلاقة بين التنظيم السياسى وأجهزة السلطه التنفيذية والتشريعية من ناحية ، وبينه وبين التنظيمات الشعبية المعاونة من ناحية أخرى ·

٢ ـ اتجاه التنظيم الى الاسلوب المكتبى بدلا من العمل وسط الجماهير وعدم فاعليته فى حل مشاكلها ·

٣ ـ تعدد الاتجاهات الفكرية المتصادمة داخل التنظيم ·

٤ ـ انكماش ضمانات الديموقراطية داخل التنظيم نفسه كالنقد والنقد الذاتى وجماعية القيادة وانتشار المظهرية والنفاق السياسى ·

٥ ـ طغيان النواحى الشخصية على الجوانب الموضوعية فى تقييم الافراد واختيار القيادات ·

٦ ـ تفاقم الصراعات الداخلية التى قوت من التناقضات بدلا من ازالتها ؛ كما نستطيع أن نرجع هذه الظواهر الى أسباب عديدة نذكر منها الآتى :

ـ تسلل الكثير من العناصر الانتهازية والرجعية الى صفوف التنظيم ومراكز القيادة فيه من خلال التعريف الفضفاض لقوى الشعب العاملة ·

ـ غياب التنظيم الطليعي القائد ·

ـ عدم وجود خطة عمل ذات برامج وواجبات محددة يسير التنظيم على هداها وبالتالى تمييع المسئولية وانكماش عناصر المحاسبة والتقييم الموضوعي للقيادات ·

ـ ضعف الروابط التنظيمية وخطوط الاتصال بين مستويات التنظيم ·

ـ ازدواجية القاعدة التى بنى عليها التنظيم بين الانتخاب والتعيين ·

ـ عدم استكمال الهيكل التنظيمى للاتحاد ؛ فقد ظل طوال هذه السنوات الخمس بدون مؤتمر قومى وبدون لجنة مركزية ·

★ ولقد كانت المحصلة الطبيعية لكل هذه العوامل مجتمعة ان عجز التنظيم السياسى الممثل لارادة الجماهير عن قيادة عملية التحول بعجزه أولا عن تعبئة الجماهير وراء أهدافها وتقصيره ثانيا عن القيام بدور الموجه والرقيب على أجهزة السلطة ؛ وكان رد الفعل الطبيعى لمثل هذه الحال أن تحس جماهير الشعب العاملة بأنواع شتى من الاحباط ومشاعر العجز وخيبة الامل وهى تجد نفسها مرة أخرى مجردة من أى سلاح تستطيع به أن تفرض ارادتها المشروعة على كل ما يتصل بحياتها ومستقبلها من أمور ؛ وهو ما عبرنا عنه بالقصور الذاتى لقوى التغيير ·

★ وأخيرا فليس هناك من شك فى أن هذه الحقائق ـ وأكثر منها ـ كانت ماثلة عندما صدر برنامج ٣٠ مارس الذى جعل محور عملية التغيير هو انتقال السلطة الى جماهير الشعب العاملة لتمارسها كاملة من خلال تنظيم سياسى مبنى على أساس الديموقراطية من القاعدة الى القمة ؛ وألقى على عاتق هذا التنظيم مسئولية التغيير كاملة ·

ولكن ليس المهم هنا هو مجرد وجود البرنامج وانما المهم هو أن تتعلم الجماهير من دروس الماضى ألا تفرط فى حقوقها المشروعة وان تناضل نضالا حقيقيا من أجل أن تمد تنظيمها السياسى بما يعطيه القدرة الحقيقية على أن يعبر بحق على ارادتها ؛ وأن يمارس باسمها ومن خلالها كل مسئولياته ·

ثالثا : فى ظل سيطرة مراكز القوى انكمش عنصر المحاسبة فى بعض المستويات العليا واختفى تماما فى بعضها الآخر ولم يعد لمبدأ وضع الرجل المناسب قيمة تذكر ؛ وفى حمى التكالب على المنافع الشخصية وأمام تيار الانتهازية تراجع مبدأ النقاء الثورى والطهارة الثورية خطوات وخطوات ·

انه كان لذلك التناقض الاساسى بين مبادىء المجتمع وأداة تطبيقها انعكاساته الخطيرة على عملية التطور الاجتماعى من ناحية ؛ ومن ناحية أخرى على عنصر الكفاية والجدية فى كثير من مواقع العمل الوطنى والكثير من مؤسسات الدولة التى تحتل أكثر المواقع حساسية فى ميزان قوتها ؛ وبنوع خاص فى القوات المسلحة ؛ وفى أجهزة الاعلام :

١ ـ تحولت القيادات الكبرى فى القـــوات المسلحة عن خط الولاء الطبيعى للقيادة السياسية العليا وللصالح الوطنى العام ؛ الى خط من الولاء الخاص كانت الرابطة فيه تبادل المطامع الذاتية والمصالح الشـــخصية ، واستتبع ذلك أن أصبح ذلك الولاء الخاص ـ وليست القدرة والكفاءة ـ هو معيار اختيار القيادات ؛ واتسعت دائرة الجذب والاستقطاب لتتعدى دائرة القيادات الكبرى مكونه دوائر جديدة فى محيط المستويات الاقل ؛ وقد كان لذلك الوضع انعكاساته الحتميه على الكفاءة الفعليه للقـــوات المسلحه تنظيما وقيادة وتدريبا ٠

٢ ـ وبمرور الوقت تكونت داخل القوات المسلحة قاعدة كبيرة لمركز قوى رهيب ما لبث أن زحف خارج نطاق القوات المسلحة ؛ وامتدت ظلاله لتهيمن على الكثير من أمور الحياة فى البلاد ؛ وليفرض سيطرته حيث شـاء وبشكل تراجعت أمامه سيادة القانون ؛ وضاع كل صوت للنقد الحر النزيه٠

٣ ـ وفى هذا المناخ الذى توارت فيه ارادة الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية فى عملية التطور ؛ وتقاسمت فيه مراكز القوة وأجهزة الســلطة التقليدية السيطرة على العمل الوطنى كان لا بد أن تنمو المظهرية على حساب العمل الجاد ؛ والانتهازية على حساب الاخلاص والانحراف على حســاب الطهارة الثورية ؛ والنفاق على حساب شجاعة الرأى ؛ ومنطــق التبرير والخداع على حساب الحقيقة والنقد البناء ٠

٤ ـ ولقد كان موقف أجهزة الاعلام معبرا أبلغ تعبير عن التأثر البالغ بهذا المناخ ؛ فبدلا من أن تكون منابر للحقيقة والنقد البناء تحولت فى معظم نشاطها الى أبواق للدعاية الجوفاء والعبث اللاهى الرخيص ٠

رابعا : ظهور فئات من انطفيليين :

كان من نتائج هذا التناقض أيضا أن ظهرت فى أفق حياتنا فئات من الطفيليين عرفت كيف تفيد من جو المظهرية والانتهازية والانحراف والنفاق الذى ظهر فى كثير من مجالات العمل الوطنى لتحقيق الثراء والجاه على حساب عملية التحول الاشتراكى نفســها ، كما وقع ما حذر منه الميثــاق من خطر تنكب الاسلوب الديموقراطى فى قيادة العمل الوطنى وتحولت قطاعات كبيرة من قياداته الى « طبقة عازله تحول دون تدفق العمل الثورى ووصول نتائجه الى الجماهير التى تحتاج اليه » ٠

خامسا : معوقات ترتبط بظروف المعركة :

ينبغى أن يكون واضحا منذ البداية أن القول بوجود معوقات للتغيير ترتبط بظروف المعركة لا يعنى مطلقا أن لهذه الظروف تاثير مباشر فى تعويق التغيير ، بل هو بالضرورة لابد أن يكون تأثيرا غير مباشر ، وذلك أن المعركة التى فجرت فى الواقع قضية التغيير ؛ وتحديات المعركة هى التى تشكل الى حد كبير القوة الدافعة وراء عملية التغيير ٠٠ فكيف يمكن أن يكون شىء ما قوة دفع وجذب فى آن واحد ؟

اذا أخذنا هذه القضية من زاويتها المعنوية منفصلة عن الجوانب المادية

كان الجواب القاطع : أنه من غير المعقول أن تشكل ظروف المعركة أى معوق لعملية التغيير ٠

لكن اذا نظرنا الى القضية نظرة أكثر موضوعية ، أى نظرة لا تفصل بين الجانب المعنوى والجوانب المادية التى بدونها لن تتحول الفكرة الى واقع لبرزت أمامنا عدة حقائق :

١ ـ اذا كان المقصود هنا هو التغييرات الجزئية التى تتولاها القيادة السياسية فى حدود الضرورى والممكن ، فهذه سائرة فى طريقها لا تعترضها ظروف المعركة ؛ بل أن أغلب التغييرات التى تمت حتى الآن بواسطة هذه القيادة كانت بوحى من ظروف المعركة ومتطلباتها ٠

٢ ـ أما اذا كان المقصود هنا هو عمليات التغيير الجذرى كنقل السلطة الى الشعب وتمكينه من ممارستها شكلا وموضوعا فان مثل هذه التغييرات لا يمكن أن تتم بالضغط على أزرار سحرية ؛ أو اتخاذ قرارات تنفيذية وانما تحتاج الى نضال مرير وجهد مضن ؛ ووقت ليس بالقصير ٠

٣ ـ انه فى ظروف المعركة وحتى يتحقق النصر وتتحرر الارض فان هذه المعركة والعمل من أجل كسبها تستنفد الجانب الاكبر من اهتمامنا وجهدنا وطاقاتنا ووقتنا ٠٠ ونتيجة ذلك فى الواقع أن المعركة التى فجرت قضية التغيير تشكل ظروفها ومتطلباتها التى يجب أن تتقدم على كل ما عداها نوعا من المعوقات التى تؤثر بطريق غير مباشر فى الاسراع لعملية التغيير ٠

ثانيا : من اين جاءت العيوب والأخطاء ومن أين يأتى علاجها - ؟

★ لقد كان من الطبيعى أمام ما كشفت عنه النكسة من عيوب وأخطاء أن يكون السؤال الاول الذى يطرح نفسه على الاذهان هو :
هل كانت هذه العيوب والاخطاء نتيجة لاخطاء أساسية فى تفكير المجتمع واتجاهاته ؟

أم هى أخطاء فى التطبيق نجمت عن تنكب بعض قيادات العمل الوطنى خط سليم فى التفكير والاتجاه كان موجودا وواضحا منذ البداية ؟

ليست مبادىء المجتمع هى مصدر العيب وانما مصدره التناقض بينها وبين أداة تطبيقها ؟

★ ولكى نجيب على هذا السؤال ينبغى أن نعود الى الاصل الذى يشكل الاساس الفكرى لمبادىء المجتمع ويحدد اتجاهات العمل الوطنى .. الى الميثاق .. وهناك سنجد الاجابة واضحة :
ليست مبادىء المجتمع هى مصدر العيب وانما مصدره التناقض بينها وبين أداة تطبيقها :

لقد اعتبر الميثاق أن الممارسة الحقيقية للديموقراطية السليمة التى وضع قواعدها « الباب الخامس » هى الضمان الاساسى لاستمرار التحول فى أهداف التقدم ويحقق مصالح الجماهير الواسعة صاحبة المصلحة الاساسية فى اتمام التحول :

★ ولم يدع الميثاق هذه المبادىء كشعارات مجردة ويتصور انها ما أن ترفع وتقر حتى تشق طريقها الى أرض الواقع وتستقر عليها آمنة من كل الخطوب والمخاطرة ؛ وانما انطلاقا من تقدير علمى سليم لهذا الواقع ؛ وطبيعة مرحلة التحول ؛ راح يستعرض (الباب الثامن) طبيعة الارض الصعبة التى يتعين على هذه المبادىء أن تخطط عليها طريقها وصولا الى أهدافها بما يحقق بهذا الطريق من مخاوف ومكاره ومايعترضه من مصاعب وعقبات راح يصفها ويحللها بدقة تقترب من حد الاعجاز ، وبين ما يمكن - فيما لو تجاهلنا - أن تجره على العمل الوطنى كله من كوارث ونوازل .

ويكفى أن نلقى نظرة متأملة على بعض القضايا التى تعرض لها الميثاق فى حديثه عن التطبيق الاشتراكى ومشاكله لنتحقق من صحة الاجابة التى أوردناها من قبل وهى : ليست مبادىء المجتمع هى مصدر العيب وانما مصدره التناقض بين هذه المبادىء وأداة تطبيقها .

سنجد الميثاق (الباب الثامن) يتحدث فى روعة تجمع بين العمق والبساطة عن القضايا الآتية :

ـ عن فترات التغير الكبرى والاخطار التى تحفل بها والتى هى جزء من طبيعتها ؛ وعن ممارسة الحرية كأكبر تأمين ضد هذه المخاطر ·

ـ عن سلطة المجالس الشعبية المنتخبة فوق الاجهزة التنفيذية ؛ وعن توافر الحرية فى مراكز الانتاج وعن ممارسة النقد والنقد الذاتى الشجاع كضمانات تمنح العمل الوطنى دائما فرصة تصحيح أوضاعه ·

ـ عن ممارسة الحرية من حيث أنها ضمان لامن العمل الوطنى وليست خطرا عليه ·

ـ عن حرية القيادات التى يجب أن يكون مصدرها حرية القواعد ·

ـ عن خطورة أخفاء الحقائق وخداع الجماهير بالمنى ·

ـ عن ما يمكن أن يتعرض له العمل الوطنى اذا ما تصورت قياداته واجهزته أنها غاية فى حد ذاتها ؛ واذا ما شغلت نفسها بالتنازع على السلطة واذا ما تصورت أنها طبقة جديدة حلت محل الطبقة الحاكمة القديمة فى امتيازاتها ·

ـ عن ضرورة أن يكون العمل الثورى عملا علميا ·

ـ عن القوة الدافعة التى يمكن أن تستمدها الشعوب من الطاقة الروحية والمثل العليا النابعة من أديانها السماوية ومن تراثها الحضارى ·

☆ ونظرة أخرى متأملة الى برنامج ٣٠ مارس تقودنا الى مفهوم التغيير الذى انتهجته القيادة الثورية فى أعقاب النكسة وبلورته فى البرنامج الذى استلهمت فيه ارادة الجماهير العاملة من خلال الحوار العميق الذى أرادته طوال الشهور العشرة التى أعقبت النكسة ـ ليس فى واقع الامر سوى عودة قوية الى منهج البناء الذى تضمنه الميثاق ·

☆ وهنا يثور تساؤل آخر : اذا كان برنامج ٣٠ مارس هو عودة الى المنهج الذى رسمه الميثاق ؛ والميثاق موجود ·· فلم اذن كانت الحاجة الى برنامج ٣٠ مارس ؟

وللاجابة على هذا التساؤل لا بد من ايضاح حقيقة أساسية ترتبط بمضمون العودة ؛ هذه الحقيقة هى :

«ان نقطة العودة هنا تختلف عن نقطة البداية من حيث الظروف الموضوعية التى أحاطت بكل منهما ؛ ومن ثم لا بد أن يختلف الاسلوب » :

ـ فلقد كانت البداية فى حد ذاتها نهاية لمرحلة مترعة بالانتصارات ومن ثم اتسمت العوامل النفسية المحيطة بها بالاغراق فى التفاؤل والثقة أحيانا بالتجاوز عن كثير من دواعى اليقظة والحذر ، بينما تأتى العودة فى أعقاب هزيمة نجمت عنها عوامل نفسية مختلفة مبعثها الاحساس الفعلى بالخطر ·

وكانت البداية مجرد محـــاولة للاجتهاد فى الخروج بمبادىء المنهج من مرحلة الشعارات الى واقع التطبيق ، محاولة لم تنضجها التجربة بينما تأخذ العودة شكل برنامج عملى محدد الخطوات يواجه مسئوليات العمـــل الوطنى برؤيا واضحة لكل الايجابيات والسلبيات التى كشف عنها التقييم الامين للواقع والتجربة .

ـ كانت البداية اقبالا متفائلا على الحياة واستشراقا لآمال بدت وكأنهـا أصبحت فعلا فى متناول أيدينا ، بينما اقتضت ظروف العودة أن تكون قتالا مستبسلا من أجل الحياة ومن أجل الابقاء على الامل .

★ ولكى لا نقع مرة أخرى فى مصيدة الوهم : فنعرض منهج التغيـير والتصحيح الذى رسمه برنامج ٣٠ مارس وأجمعت عليه الارادة الشعبية فى استفتاء عام متصورين أنه سيجد الطريق الى أهدافه سهلا ممهدا لمجرد أنه (عن ارادة الصمود) (ارادة التصحيح) لدى الجماهير أنه « برنامج عملى » وليس مجموعة من المبادىء والشـــعارات ـ من أجل ألا نقع مرة أخرى فى مصيدة الوهم لابد من أن ندرك تماما أنه بين أن يكون البرنامج « معبرا عن كل ذلك » وأن يكون « محققا لكل ذلك » .

فان من الضرورى أن نعى تماما كافة المسببات والمعوقات التى ذكرت قبلا .. ونسعى نضاليا وفوريا لتحقيق أهداف برنامج ٣٠ مارس ، وتقييم ما أنجز وما لم يتم .

ثالثا : ماتم تغييره ومالم يتم

★ يحق لكل مواطن أن يتساءل وقد مضى ما يقرب من العامين على هزيمة يونيو ١٩٦٧ وأكثر من عام على صدور برنامج ٣٠ مارس :

ماذا تم من تغيير وكيف تم ؟

وماذا لم يتم بعد ولماذا ؟

★ وحتى نكون موضوعيين فى اجابتنا على هذا التساؤل ينبغى ألا نلجأ الى الأسلوب الذى يحلو لبعض المغرقين فى التفاؤل أو التشاؤم على حد سواء من اطلاق الأحكام العامة على موضوع هو بطبيعته معقد التركيب متعدد الزوايا والوجوه كموضوع التغيير . فنقول بأن عملية التغيير قد تمت لأن هناك تغييرات واضحة قد تمت ، أو نقول بأنه لم يحدث تغيير لأن — هناك تغييرات مطلوبة لم تتم بعد .

وشرط الموضوعية هنا : أن تكون نظراتنا الى الجزء فى اطار الكل ؛ وألا نتجاهل فى تطلعنا الى الهدف البعيد ما قطعنا فعلا من مراحل فى طريق الوصول اليه ؛ وألا نسقط من حسابنا أى عامل من العوامل التى تؤثر فى مسيرتنا سلبيا وايجابيا .

★ وانطلاقا من هذه النظرة الموضوعية ؛ وحتى يسهل علينا عملية تتبع التغيير دون الدخول فى تعقيدات جدلية قد يكون من المناسب — تحريا للبساطة — أى نتصور عملية التغيير فى صورة مسيرة طويلة على طريق ممتد، وعلى هذا الطريق علامات تبين مراحله .

هذا التصور يعطينا ثلاث حقائق موضوعية ومنطقية تساعدنا على تقييم عملية التغيير تقييما موضوعيا :

الحقيقة الأولى :

أن نقطة البداية لأى مرحلة من مراحل الطريق هى فى نفس الوقت نقطة بداية نحو كل ما يليها من مراحل .

الحقيقة الثانية :

أن نقطة الوصول فى أى مرحلة هى فى نفس الوقت نقطة أكثر تقدما نحو ما يليها من مراحل وبالتالى هى نقطة أقرب الى غاية المسيرة .

الحقيقة الثالثة :

أن القوة الدافعة التى حركت المسيرة منذ بدايتها لابد من أن تستمر بشكل أو بآخر كضمان لاستمرار المسيرة حتى تبلغ غايتها ·

☆ ولقد كانت نقطة البداية لمسيرة جماهير شعبنا على ذلك الطريق الطويل الصعب هى انبعاثتها التاريخية يومى ٩ و ١٠ يونيو لتعلن رفض الاستسلام للهزيمة والاستمرار فى الصمود والنضال حتى النصر ، ولتعلن أيضا رفضها لتصفية الثورة واصرارها على المضى فى طريق التحول الاجتماعى لبناء الاشتراكية وتأكيد ديموقراطية الشعب العامل ·

كما كانت القوة الدافعة وراء هذه المسيرة منذ بدايتها هى ارادة هذه الجماهير نفسها والتى تبلورت فى قرار جماعى اتخذه ممثلو الشعب فى مجلس الامة يوم ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ ، بتفويض القيادة الثورية التى أجمعت جماهير الشعب على الثقة فيها والتمسك بها ، فى اتخاذ الخطوات اللازمة لتعبئة كاملة وشاملة لكل قوى الشعب العاملة واعادة البناء العسكرى والسياسى بما يكفل مناعته وقوته على مواجهة كل التحديات ·

☆ وهنا يبرز جوهر عملية التغيير والروح التى لابد أن تهيمن على مسيرتنا من بدايتها الى غايتها وهو :

« ارادة جماهير الشعب العاملة »

وخط هذه الارادة هو المقياس الوحيد الذى يجب أن يفرض نفسه على تقييمنا لعملية التغيير وما تحقق من مهامها وأهدافها وما لم يتحقق :

☆ وهنا أيضا نجد أن واقعنا الذى تبلورت عنه هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ وما طرأ عليه من تطورات بعد ذلك قد فرض أن تمر هذه الارادة فى ممارستها لمسئولياتها فى تحقيق مهام التغيير وأهدافه بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى :

بالتفويض من جماهير الشعب العاملة لقيادتها الثورية ·

المرحلة الثانيـــة :

بتنظيم قوى الشعب العاملة تمهيدا لنقل سلطات القيادة ومسئوليتها اليهـــا ·

المرحلة الثالثـة :

بتولى قوى الشعب العاملة من خلال منظماتها الديموقراطية لسلطات القيادة وممارستها الفعلية لمسئولياتها ·

☆ فبالنسبة للمرحلة الأولى ؛ وبالرغم من الظروف البالغة الصعوبة والخطر التى أحاطت بها : عسكريا وسياسيا واقتصاديا ؛ استطاعت القيادة الثورية مسلحة بثقة الجماهير ومستندة الى تأييدها واســـتعدادها للبذل

والتضحية بدون حدود ، استطاعت هذه القيادة أن تفى بالامانة التى حملتها اياها جماهير الشعب ؛ وشهدت الشهور القليلة التى أعقبت الهزيمه جهدا يجاوز كل التقديرات فى سبيل اعادة بناء القوات المسلحة ؛ وتحقيق الصمود الاقتصـــادى : والتحرك السياسى الواسع النطاق على الصعيدين العربى والـدولى ٠

كما كان على القيادة الثورية فى سبيل اعادة البناء أن تقوم بتصـــفية حازمه لمراكز القوى ، وان تبدا فى اجراء تغييرات فى كثير من مواقع القيادة فى أجهزة السلطة تطبيقا لمبدأ الطهارة الثورية ووضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ؛ وأن تمارس من خلال ذلك كله أروع وأشجع عملية نقـد ذاتى فى تاريخ الثورات ؛ وأن تدير فى نفس الوقت حوارا واسعا بين قوى الشعب العامله لتستشف منه آراء الجماهير واتجاهاتها فى كل ما يتصـل بمعركة التحرير وبالبناء السياسى القادر على حماية الثورة ومبادئهاوأهدافها؛ ولتستخلص من كل ذلك برنامج هو ركاز كل ما هو ايجابى وبناء ؛ مخلص وأصيل فى ذلك الحوار ٠

★ وبصدور برنامج ٣٠ مارس واجماع جمـــاهير الشعب عليه فى استفتاء عام بدأت المرحله الثانية وهى مرحلة اعادة تنظيم قوى الشـــعب العاملة لتمكينها بواسطة منظماتها الديموقراطية من أن تتولى سلطة القيادة ومسئولياتها فى العمل من أجل هدفين رئيسيين هما :

١ ــ حشد كل قوانا العسكريه الاقتصادية والفكرية على خطوطنا مع العدو لتحرير الأرض وتحقيق النصر ٠

٢ ــ تعبئة كل جماهيرنا بما لها من امكانيات وطاقات كامنة من أجل واجبات التحرير والنصر ؛ ومن أجل آمال ما بعد التحرير والنصر ٠

وخلال العام الذى انقضى على بدء هذه المرحلة حدثت تغييرات هامـة وبذلت جهود مضاعفة كان من أهم نتائجها أن موازين القوى على كافة جبهات مواجهتنا مع العدو قد أخذت تميل بشكل واضح الى جانبنا ؛ وفى نفس الوقت شهدت هذه المرحلة بداية خطوات هامة لاعادة البناء الداخلى علىأساس تنظيم قوى الشعب العاملة تنظيما ديمقراطيا تنتقل من خلاله سلطات القيادة ومسئولياتها الى الشعب ومن هذه الناحية بالذات ، فلقد كانت هذه المرحلة بطبيعتها امتدادا للمرحلة الأولى من ناحية ، ومن ناحية أخرى اســـتهلالا للمرحلة الثالثة ٠

★ قلنا فى تقييمنا للمرحلة الثانية أنها كانت من بعض جوانبهـــا استهلالا للمرحلة الثالثة ــ وهى المرحلة التى تتولى فيها جماهير الشعب من خلال منظماتها الديموقراطية سلطة القيادة ومسـئولياتها الفعلية ، ومعنى ذلك أن هذه المرحلة فى واقع الأمر لا زالت فى بدايتها ؛ أى أننا قطعنا منها خطوات ولا زالت أمامنا خطوات أكثر واكثر ــ ومن ثم فان تقييمنا لها لابد أن يتناول ما تم مقرونا بما لم يتم :

أولا : أعيد بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب من القاعدة للقمة بنـاء ساعد الى حد كبير على دعم جبهتنا الداخلية وزيادة تماســكها فى مواجهة

تحديات المعركة والوفاء بمتطلباتها وفى بلورة العديد من الاتجـــاهات الصحيحة لمشاكل البناء السياسى والاجتماعى ذات الصلة الوثيقة باستمرار التطور نحو مستقبل أفضل ؛ أكثر تقدمية وأكثر تقدما ·

ولكن واجب الأمانة يقتضينا أن نقر بأنه لا زال أمام تنظيمات الاتحاد الاشتراكى طريق طويل من النضال الشاق والعمل الجاد من أجل أن تكتسب الفعالية التى تستطيع بها أن تقود فعلا النضـــال اليومى لجماهير قاعدته العريضـــة ·

ثانيا : تمت انتخابات مجلس الأمة الجديد الذى لا زال فى بدايه عمله؛ وفى بداية تبشر بالخير ·

ولكن لا زالت هناك مستويات أخرى من المجالس الشعبية المنتخبة لا غنى عنها حتى تصل ممارسة الشعب للحكم الى أصغر وحدة ادارية ·

ثالثا : بدأت مراجعة جادة لكافة القوانين المنظمة للحركة النقابيـــة بهدف دعم دور النقابات فى بناء المجتمع الاشتراكى الديموقراطى ·

ولكن بقى أن تنتهى من هذه المهمة الحيوية وأن يعاد بناء النقابات بما يهيىء لها دورا أكثر ايجابية فى بناء الاشتراكية ، ومناخا ديموقراطيا سليما تستطيع من خلاله أن تؤدى هذا الدور بنجاح ·

رابعا : تمت دراسات وافية لواقع الحركة التعاونية اســـتطاعت أن تتلمس مواقع النقص والعيوب وأن تهتدى الى صيغة العلاج ·

ولكن بقى أن نخطو الخطوات العملية اللازمة نحو اعادة بناء التعاونيات على أساس ديموقراطى ودعم دورها فى خدمة الاقتصاد الوطنى وحماية صغار المنتجين والمستهلكين من الاستغلال ·

خامسا : تضاعفت الجهود المخلصة من أجل تطوير مناهج وأســاليب التوجيه والتربية الدينية على النحو الذى يكفل بلورة الجوهر السليم للدين فى وجدان الفرد وعقله ينقى من كل الشوائب والمدخولات ؛ ويسد الفجوة المفتعلة بين الفكر الدينى وقضايا الانسان والمجتمع المعـــاصرين ؛ ويؤكد حقيقة الدين من حيث أنه قوة ايجابية دافعة نحو التقدم ·

ولكن لا زالت أمامنا مراحل طويلة من العمل الشاق المخلص وسط أرض مليئة بالأشواك ؛ حتى نصل الى ما يتمناه كل مؤمن عامل واع ووطنى مخلص فى هذا المجال ·

سادسا : تمت خطوات متفرقة وبنسب متفاوتة نحو التطوير العلمى لبعض نواحى العمل الوطنى كان الجانب الأوفى منها من نصيب قواتنـــا المسلحة ؛ كما ظهرت بوادر مشجعة فى مجال التعليم ·

ولكن لا زال امامنا أن نتم الاطار الكامل لتخطيط علمى شامل يستهدف بناء الدولة العصرية وتتولاه المجالس القومية المتخصصة .

سابعا : خطونا خطى حثيثة نحو بلورة مفهوم سليم لممارسة الحريات والديموقراطية داخل مجتمع ثورى مفتوح .

ولكن هذا الموضوع الحيوى لا زال يحتاج الى تأصيل تستقر عليه قواعده ؛ ووضوح يبدد ظلال الشك والبلبلة التى لا تزال تحوم من حوله .

« وفى مواضيع أخرى من البرنامج سنتناول الموضوعات الثلاثة الأخيرة بتفصيل أكثر » .

رابعا : التغيير مسئولية من ..؟

★ من المسئول عن التغيير ؟

هل هى السلطة ؟

هل هو التنظيم السياسى ؟

هل هى الجماهير ؟

تساؤلات كثيرة تثار حول هذا الموضوع ؛ واجابات أكثر يرد بها عن الاسئلة المثارة ٠

★ والواقع أنه لا يمكن أن تكون أى اجابة على أى من هذه التساؤلات صحيحة الا اذا استندت الى اجابة صحيحة لسؤال معين ٠٠ هذا السؤال هو :

هل السلطة والتنظيم السياسى والجماهير ٠٠ شىء واحد أم أنها أشياء ثلاثة ؟

★ وحتى نجيب على هذا السؤال الأخير لا بد من رجعة الى واقع ما قبل النكسة ، وما أسفر عنه من نقائص وعيوب كان المحور الرئيسى فى مسبباتها أن السلطة والتنظيم السياسى والجماهير كانت فعلا ثلاثة أشياء

ينبنى على هذه الحقيقة أن محور التغيير المطلوب وهو « نقل السلطة الى قوى الشعب العاملة وتحالفها القائم » يتطلب بالضرورة أن تتحول الأشياء الثلاثة الى شىء واحد شكلا وموضوعا ٠

فالجماهير لا تمارس السلطة بطريق مباشر ؛ وانما طريقها الى ذلك هو أن تنيب عنها فى ذلك منظمات ديموقراطية تختارها لتمثلها وتعبر عن ارادتها ٠

والركيزة الأساسية لكل هذه المنظمات هو التنظيم السياسى ؛ ولكن التنظيم السياسى لا يمارس المهام اليومية للسلطة ؛ وانما يوكل هذه المهام الى أجهزة سلطة سياسية وتشريعية وتنفيذية لتتولاها على النحو الذى يتفق وما تريده الجماهير التى يمثلها ٠

ومن هنا يصبح جوهر القضية أن يصدق التمثيل والتعبير بين التنظيم السياسى وقاعدته الجماهيرية وبينه وبين أجهزة السلطة ؛ وهذا فى الواقع هو التحدى الحقيقى الذى يواجهنا من أجل أن تكون عملية التغيير أصيلة وعميقة وشاملة تعيد صياغة واقعنا وتمتد بأصالتها الى مستقبلنا ٠ ودون أن يحدث هذا ستظل عمليات التغيير مبتورة وناقصة قد تلبى الحاجات الملحة وتفى بالمتطلبات الطارئة ولكنها ستظل عاجزة عن الامتداد فى المستقبل ما

لم تكتسب هذه الأصالة ؛ وطريق اكتسابها لهذه الأصالة يتلخص فى الآتى:

أ ـ أن تتكامل عمليات التغيير فى اطار خطة عملية شاملة تستند على قواعد منهج التغيير الوارد فى برنامج ٣٠ مارس ٠

ب ـ أن تعيش فى وعى الجماهير دائما وتستمد مقوماتها من ايمان وفكر وطاقات هذه الجماهير ٠

★ والالتحام عضويا ووجدانيا بين عمليات التغيير وجماهير شعبنا العاملة هو الكفيل بأن يعطى هذه العمليات أقوى الدفعات وهو فى نفس الوقت أمثل السبل الى تهيئة هذه الجماهير لتولى سلطاتها المشروعة والقيام بمسئوليتها الكاملة ٠

★ وواسطة العقد فى هذا الالتحام هو التنظيم السياسى باعتباره البوتقة التى يمكن أن تنصهر فيها آمال الجماهير وطاقاتها ليصوغ منها أدوات نضالها من أجل صنع مستقبلها ومنها أداة السلطة ، فمقياس قوة التنظيم السياسى هو قدرته على استيعاب آمال الجماهير وطاقاتها ؛ وعلى قدر فعاليته تتجدد قدرته على صياغة أدوات نضالها فيصبح التنظيم السياسى بحق هو صانع السلطة وفق ارادة جماهيرية مسيرا لها وفق هذه الارادة ٠

★ وبقدر ما يصيب التنظيم السياسى من ضعف بقدر ما يظهر عجزه استيعاب آمال الجماهير وطاقاتها فتتبدد بدلا من أن تتجمع وتتبخر بدلا من ان تنصهر ؛ وبقدر ما تتناقص فعاليته بقدر ما يثبت عجزه عن صياغة أدوات نضالها وهنا يصبح جهاز السلطة وهو جهاز قائم فى كل وقت جهازا علويا فوق التنظيم السياسى لأنه أقوى منه وفوق الجماهير لان تنظيمها السياسى عجز عن تسييره وفق ارادتها ٠

★ من أجل ذلك يجب أن تناضل الجماهير من أجل دعم تنظيمها السياسى وأن تختار لقيادته أكثر عناصرها وعيا وصلابة وأن تقف من ورائها تدعمها بالتأييد ان أصابت ، وتحاسبها ان أخطأت أو انحرفت ٠

وواجب قيادات التنظيم السياسى أن تحرص على ارتباطها بقواعدها الجماهيرية وبأهدافها تستمد منها الالهام وتقود نضالها اليومى فى كافة مجالاته ٠

خاتمة :

واذا كان قد وضح لنا من التحليل السابق لقضايا التغيير مدى الصعوبات والعقبات التى تواجه حركة الجماهير ونضالها من أجل تحقيق ارادة الصمود والتغيير والنصر فانه قد وضح لنا أيضا أن ذلك يتطلب جهدا متواصلا من العمل فى الميادين السياسية والاقتصادية والفكرية من أجل تحقيق ما نادى به القائد والجماهير ٠

واذا كان عدوان ٥ يونيو قد أضاف بعدا جديدا لطبيعة هذه المرحلة اذ يشكل العدوان تناقضا اساسيا فى تلك المرحلة بين قوى الثورة العربية

الاشتراكية والوطنية فى جانب وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية فى جانب آخر .

واذا كان عدوان ٥ يونيو يمثل ظاهرة اعتداء عسكرى عدوانى الا أننا بتحليل واقعه والقوى التى تآزرت فى القيام به سواء بشكل مباشر أو غير مباشر نجد أن أحد الأهداف الرئيسية بل الهدف الأساسى من العدوان هو ضرب النظام الثورى التقدمى فى ج.ع.م وما حققه من انجازات ضخمة على طريق الاستقلال الوطنى والتقدم الاقتصادى والاجتماعى والتحول الاشتراكى

« ان معركتنا مع العدو ليست معركة تحرير الأرض من العدو فحسب؛ بل هى أيضا تأمين لحق الانسان على هذه الأرض فى الكفاية والعدل ، فى الحرية بجانبيها الاقتصادى والسياسى ، هى معركة تحرير الانسان من قوى الاستغلال فى الداخل والخارج ؛ ومن ثم فالانتصار على العدو لا يتأتى الا بالحفاظ على النظام الاشتراكى والتصدى للشوائب والنقائص التى شابت التطبيق الاشتراكى .

ان الدفاع عن نظامنا الاشتراكى ومنجزاتنا ومكاسبنا الاشتراكية هو جزء لا يتجزأ من المعركة المصيرية التى نواجهها بل هو جوهر هذه المعركة» .

ولا حاجة بنا الى أن نخوض فى تحليل دافع القوى الاستعمارية المتحالفة مع الصهيونية من أجل تقويض أركان المجتمع الثورى فى ج.ع.م ؛ فذلك جزء من طبيعة الصراع العالمى بين النظام الاشتراكى والنظام الرأسمالى الى جانب الأطماع الاستعمارية والصهيونية فى تلك المنطقة ؛ وما تمثله ج.ع.م من نموذج ثورى أمام جميع الشعوب التى تتطلع الى الحرية والتقدم .

وكما ذكر السيد الرئيس فى حديثه الى أعضاء مجلس الأمة فى ١٩٦٧/١١/٢٣ أنه « لا بد أن نتحقق من أن الأعداء لا يتكالبون علينا الا لأنهم يشعرون أننا نتقدم وأننا نحقق وننجز ؛ لو كنا فى مكاننا قابعين لما اهتم بنا أحد . »

ورغم ظروف مواجهة العدوان ؛ فلقد ارتبط الحفاظ على النظام الاشتراكى ودعم المكاسب الاشتراكية ؛ مع العمل من أجل ازالة آثار العدوان على النحو الذى رسمه السيد الرئيس فى حديثه فى ٢٣ يوليو ١٩٦٧ من أنه « لكى نستطيع مواجهة العدوان فان من الضرورى تدعيم الثورة الاجتماعية فى مصر .. وهذا يتأتى أكثر ما يتأتى بتعبئة قوى الجماهير وتوضيح الرؤية أمامها.

ايه الهدف من العدوان ومن العملية كلها ؟ ايه الهدف من التواطؤ ؟ الهدف هو القضاء على الثورة الاجتماعية ؛ الثورة الاشتراكية اللى تصدوا لها بكل الوسائل .

ولهذا حينما نفكر ونحدد بوضوح هدفنا نستطيع أن نحدد منطلقنا العلمى فى هذه المرحلة .. اذن هدفنا المباشر لا ينبغى أن يكون ازالة العدوان فحسب ؛ بل ينبغى أن يكون أيضا حماية نظامنا الثورى ؛ وتعميق نظامنا الثورى وتدعيم حركة الثورة العربية . »

وهنا يثار تســـاؤل عن كيف يتم التوفيق بين متطلبـات التحول الاشتراكى ومتطلبات المعركة مع العدو ؟ ٠

انطلاقا من المفهوم الذى أوضحه السيد الرئيس ؛ من أن « الحـرب ضدنا دليل على سلامة طريقنا ؛ ولابد أن نصمم على طريقنا طريق التطور الاقتصـــادى والتطور الاجتمـــاعى طريق الاشـــتراكية لابد أن نزيل كل العقبات من طريق النمو » ٠

وما أكده بيان ٣٠ مارس من أنه « من الضرورى والحيوى حشد كـل القوى الشعبية وبوسيلة الديمقراطية وعلى أســاسها وراء أهداف نضـالنا القريبة والبعيـدة ـ أى وراء واجب المعركة ووراء أمل اتمام بنـاء المجتمـع الاشتراكى الذى حققنا منه كثيرا وينبغى أن نحقق منه أكثر » ٠

فان العمل الوطنى ينطلق فى مجالاته المختلفة على أساس :

اعطاء المعركة ؛ والامكانيات اللازمة لها الأولوية على ما عداها ـ بهدف تحرير الأرض وتحقيق النصر ٠

حماية المكاسب الاشتراكية والحفاظ عـلى ما تحقق من منجزات ثورية والعمل على تحقيق مزيد من التنمية المستمرة فى كافة المجالات ؛ وحل مشاكل القطاعات العريضة من الجماهير ؛ وخاصة توفير فرص العمل باعتباره حقا فى مجتمعنا الاشتراكى ٠٠ وذلك فى حدود امكانيات وموارد المجتمع دون أن يكون على حساب متطلبات المعركه ، أو بما يؤدى الى الدخول فى تناقضات جديدة تؤثر على تماسك الجبهة الداخلية وسلامتها ، الأمر الضرورى لمواجهة العدوان ٠

وتترجم ميزانية الدولة فى سنتى ما بعد العدوان هذا الاتجاه بوضوح كامل ٠٠ فالى جانب متطلبات المعركة ؛ لم تغفل الميزانية توفير الموارد اللازمة للتنمية ٠٠ اذ خصص لها فى ميزانية ١٩٧٠/٦٩ ـ ٣٩٨ مليون جنيـــه ؛ تحقيقا لمزيد من الانتاج والدخل والتوسع فى التشغيل واســتيعاب طاقات أكبر من العمالة ٠

ولا شك أن النكسة قد أثرت على عملية التحول الاشتراكى نتيجـــة لضياع جانب من موارد المجتمع التى كانت تتمثل فى دخل قنـاة السويس وبترول حقول سيناء ونقص موارد السياحة ٠٠ الى جانب توجيه قدر كبير من الانفاق فى تغطية متطلبات المعركة ؛ مما يؤثر فى سرعة معدل التنميـة والتحول ؛ وفى مدى نتائجه ٠

ومهما كانت درجة صعوبة هذه الموازنة فى هذه المرحلة القاسية من فترات نضالنا الا « أننا سوف نظل دائما تحت نفس الاعلام التى وقف تحتها نضالنا الوطنى والقومى مهما حاولت قوى الاستعمار ومهما حاولت قـــوى الاستغلال ومهما حاولت اسرائيل أداة هذه القوى كلها ٠ سوف نظل دائما تحت علم التحرير ؛ وسوف تظل دائما تحت علم الاستقلال الوطنى ؛ وسوف نظل دائما تحت علم الوحدة العربية وسوف نظل دائما تحت علم الاشتراكية وسوف نظل دائما تحت علم عدم الانحياز » ٠٠ مهما كانت التضحيات أو المشاق ٠٠ انها معركة مصير ٠٠ معركة النصر ٠

المحاضرة الرابعة

المنهج العلمي في التحليل
الاسلوب العلمي للدراسة

مقدمة :

لقد أصبح العمل السياسى اليوم علما له مقوماته وأسسه واصوله المستندة الى التجربة والبحث كأى عمل علمى آخر .

كذلك أصبح له منهجه الذى يعتمد على الحساب الدقيق ، كما اصبح خاضعا للتخطيط العلمى والمتابعة الدقيقة والتقييم المتواصل .

وبدون اتباع الأسلوب العلمى فى ممارسة العمل السياسى فانه يتحول الى عمل عشوائى حافل بالأخطاء والانحرافات؛ ويصبح القرار السياسى وليدا للآراء الشخصية والتطلعات الذاتية أو الاتجاهات الفردية .

كما أن العمل السياسى يتم وسط مجتمع دائم الحركة والتغير تحكمه قوانين علمية ؛ لابد على العمل السياسى أن يدركها وينظم حركته بما ينسجم مع اتجاهاتها .

وهذا مما يحتم ضرورة الالمام بجوانب الأسلوب والمنهج العلمى فى الفكر والحركة .

لقد ارتبط تاريخ الانسان منذ ان وجد على ظهر الأرض بصراع متصل؛ صراع داخلى فى نفسه ، وصراع بين فكره الانسانى والتحديات التى يواجهها باستمرار فى حياته وفى تطوره .

ان التحام الفكر الانسانى المتصل والمستمر فى كل مرحلة من المراحل مع الأفكار ، الانسانية الأخرى سواء منها المعاصرة له أو السابقة عليه ، ومع الطبيعة التى يعيش فيها قد جعل من الفلسفة علما من أقدم العلوم الانسانية.

لقد فرض الصراع الداخلى فى أعماق الانسان بين شعوره بالجهل وبين رغبته فى التغلب على هذا الجهل ، بين شعوره بالعجز تجاه الظواهر التى يتعرض لها وبين رغبته فى كشف غوامض هذه الظواهر ؛ لقد فرض هذا الصراع الدائم على الانسان أن يدرس وأن يتعلم ليستطيع أن يثبت وجوده الانسانى ؛ وأن يؤكد استمراره وتطوره الدائمين .

لقد تعلم الانسان كيف يصارع الطبيعة ، واتخذ فى سبيل ذلك طرقا وحيلا عديدة ؛ وتعلم كيف يتغلب على الحيوانات المختلفة وكيف يحمى نفسه منها ، كيف يشعل النار وكيف يستخدمها فى دفع الأخطار عنه وفى التدفئة وفى الانارة الى غير ذلك .

واتضح أثناء ذلك الصراع المتصل وخلال مراحل التطور الأسلوب العلمى كضرورة وكنتيجة حتمية لتطور الانسان . ويتقدم الفكر الانسانى فى تطوره تراكمت المعرفة وازدادت الحصيلة الانسانية برصيد وافر من الأفكار والمعلومات ، واتضحت خلال مراحل التطور طريقتان أساسيتان للتفكير :

(أ) المنطق القديم أو المنطق الشكلى :

ولقد بدأ هذا المنطق بنظرية القياس المشهورة التى يمكن تبسيطها فى المثال الآتى :

سقراط انسان

كل انسان فان

اذن : سقراط فان

ولقد كان هذا المنطق فى بدايته نقطة تقدم للفكر الانسانى . ولكن تلامذة ارسطو لم يتبعوا خطاه ؛ بل ساروا بهذا المنطق بعد ذلك فى الاهتمام فى المقام الأول بتقديم المعلومات التى سبق اكتسابها على أساس طريقة عرضها دون التركيز على جوهر هذه المعلومات ومحتواها ، واحتل الشكل فى هذا المنطق مكان الصدارة على حساب المحتوى وذهب كثير من أصحاب هذا المنطق مذهبا بعيدا فى التجريد وقاموا بنصيب كبير فى تحليل المنطق

عن الحركة العملية بعد أن قصروا في الغالب اهتمامهم على طريقة عرض المعلومات التى سبق اكتسابها دون الوصول الى حقائق جديدة ٠

(ب) المنطق الحديث :

وقد ظهر هذا المنطق مع ظهور المنهج الاستقرائى الذى يبدأ بمرحلة الملاحظة للاستدلال على الظواهر المختلفة ؛ ثم تأتى مرحلة الكشف وفى خلالها يحاول الباحث أن يهتدى الى العلاقة بين الظواهر التى لاحظها من قبل ثم يأتى دور البرهان وفيه يجب التحقق من الفروض المختلفة عن طريق البرهان أو التجربة ٠

ومع تقدم العلم ورقى الفكر الانسانى فرض المنطق الحديث وجوده واتجه لدراسة طرق التفكير المتبعة فى مختلف العلوم واتخذ فى سبيل ذلك أسلوبا علميا متصفا بالصفات الآتية :

١ ـ الموضوعية :

فهو يعتمد على الاسس الواقعية التى يجدها فى مختلف العلوم ٠

٢ ـ منطق خاص :

لأنه لا يدرس القواعد الشكلية العامة ولكنه يدرس الطرق الخاصة التى تتبع بالفعل فى كل علم من العلوم ٠ وبديهى أن مناهج العلوم تختلف باختلاف الظواهر التى تعالجها ٠

ومن المسلم به أن صفة الخصوصية لا تتناقض اطلاقا مع قواعد المنطق العام ولا تغفل التفاعل والترابط الحيوى بين العلوم المختلفة ٠

٣ ـ النسبية :

لا يدعى المنطق الحديث الوصول الى حقائق مطلقة ، وهو لا يزعم أن القواعد التى يهدف الى الكشف عنها ثابتة دائمة أو مجردة ؛ بل يعرف أن هذه القواعد رهن بالحال التى يصل اليها كل علم من العلوم فى وقت ما ونظرا الى أن كل حقيقة تصل اليها ترتبط بخبراتنا السابقة سواء فى القياس أو التحليل فستبقى الى الأبد حقيقة نسبية ولا يمكن تصور الحقيقة المطلقة الا فى العقل الذى نبعث منه كل المعرفة ٠

ولقد انتقل الينا ارثا من الماضى كلا المنطقين وان اختلفت الأشكال أو تطورت الوسائل ولكننا نواجه الآن فعلا صورة متطورة تتلخص فيما يلى :

(أ) نظرة ذاتية :

تحكم على الأمور طبقا لآراء تناقلتها الأجيال بعضها عن بعض وجرت مجرى الامثال أو طبقا لآراء عاطفية أو مصلحة شخصية أو نظرة مسبقة تتجاهل عمدا أو لا شعوريا واقع الأمور والقوانين الموضوعية التى تتحكم فيها

(ب) نظرة موضوعية :

تؤمن بالواقع كحقيقة لها قوانين علمية تؤثر فيها وتسيطر عليها كما تؤمن بالأسلوب العلمى .. الذى ينظر الى الكون على أنه قابل للاكتشاف وقابل للفهم والمعرفة وتنظر للمعرفة على أنها طريق مفتوح للاكتشاف دون ما تعصب أو عقد .

ولقد فرض الأسلوب العلمى فى جيلنا هذا وجوده .. وفرض العلم والمعرفة وجودهما على الفكر والواقع الانسانى ومع التطور المذهبى فى شتى الاتجاهات ازدادت الحاجة الى وجود الأسلوب الذى يضمن الوصول الى النتائج والأهداف . ولقد وصلت المعرفة فى عصرنا هذا الى درجة جعلت من الاسلوب نفسه أمرا حيويا ، ولقد أصبح الوصول الى الاهداف مرهونا بأسلوب الوصول الى هذه الأهداف ؛ بل وأصبح الاسلوب العلمى فى معظم الأحيان هو الطريق الوحيد للوصول الى الأهداف دون ما فرض للصدفة أو الارتجال .

ان الصدفة والخطأ أمور أوشكت أن تخضع للعلم الحديث ، بل أن العلم قد توصل فعلا الى قياسها وتوقعها وحسابها ولم تعد هذه الظواهر كلها أمورا تحجبها أستار الغيب أو ضباب الغموض .

ان الدراسة فى ذاتها ليست هدفا ولكن الهدف من الدراسة هو الوصول الى الحقيقة ولابد للحقيقة من ارتباط وثيق بالواقع الملموس .

وللحقيقة فى الواقع وجهان : وجه مطلق .. وهو الحقيقة المطلقة أو الحقيقة الشاملة ، وهو ما يسعى العلم والأسلوب العلمى دائما للوصول اليها ، وبهذا تزداد دائما المعرفة الانسانية .

والوجه الثانى وهو الحقيقة النسبية .. وفيها بطبيعة الحال بذور الحقيقة المطلقة ولكنها تدل فقط على مدى ما وصلت اليه المعرفة فى مكان وزمان معينين . وعلى سبيل المثال : معرفة الانسان بالذرة ؛ هى معرفة عميقة ولكن لا زالت غير كاملة ولذلك فانها حقيقة نسبية . والحقيقة النسبية فى الواقع هى الجانب المشرق من أرض الحقيقة المطلقة البكر .

خطوات الأسلوب العلمى فى الدراسة :

لابد للوصول الى الهدف من الدراسة وهو الحقيقة من اتباع عدة أمور جوهرية ؟

١ – تعريف وتحديد المشكلة أو الهدف :

لابد من تحديد أو تعريف المشكلة أو الهدف من الدراسة بوضوح ودقة ، فالبدء فى الدراسة أو العمل دون تحديد للاهداف أو المشكلات هو نوع من المغامرة المتهورة وارتياد للمجهول دون دليل مضمون .. وأن الشعارات البراقة والألفاظ الجوفاء لم تعد تصلح فى عصرنا هذا أن تكون أهدافا ولكن لابد من حقائق محددة مرتبطة بواقع الحياة ولابد من أغراض

ملموسة يمكن أن تحدد بوضوح وجلاء وأن يخضعها العلم للمعرفة والحساب، وعلى سبيل المثال ؛ أن هدف مضاعفة الدخل القومى فى ١٠ سنوات هوهدف محدد قابل للدراسة وقابل للتحقيق ٠

٢ ـ التحليل :

لابد بعد ذلك من دراسة العقبات والظروف التى اعترضت فى الماضى أو يمكن أن تعترض مستقبلا وسيلة الوصول الى الهدف المحدد ٠ ذلك يقتضى دراسة القوى المختلفة أو العوامل المختلفة التى تتحكم فى مجال هذا الهدف وفى طريق الوصول اليه ، وذلك على أساس من قوانين علمية سليمه ٠ ان ذلك بالنسبة للهدف السابق يقتضى دراســـة كاملة وموضوعية للانتاج والاستثمارات والعمالة والخدمات ومعدل تزايد السكان ٠٠ الخ ٠ وعلاقه هذا كله بالظروف السياسية والاجتماعية فى الماضى والحاضر ٠

٣ ـ الوسائل :

بعد ذلك لابد أن نتعرض لطرق الوصول الى الهدف المرتقب بالرغم من العقبات والصعاب التى سبق دراستها بالعلم والمعرفة ٠ وهنـــا لابد بالضرورة من وجود وسيلة علمية لتحديد هذه الطرق ؛ وقياس أبعادهـــا وتحليل طبيعتها ٠ ان ذلك يقتضى بالنسبة لهدف مضاعفة الدخل استعراضا دقيقا للمشـــاريع المختلفة المقترحة والعـــائد المتوقع فى كل منهـــا والكفاية الانتاجية وطرق زيادتها والقروض المتوقعة وفوائدها ٠٠ الخ ٠

٤ ـ اختيار الحلول :

اختيار الطريق الذى سيسلك أو الحل الذى سيتبع فى الحالة أو المشكلة المدروسة ، للوصول الى الهدف والحل المرتقب لا يمكن أن يتم نتيجة لنظرة ذاتية ؛ وانما يجب أن يتم طبقا للظروف الموضوعية التى سبق دراستهـــا والتى تجعل من هـــذا الطريق أو ذلك الحل أقصر الطرق أو أحسن الحلول وأسهلها للوصول الى الهدف المنشود ، وأكثرها ملاءمه بالنســـبه للواقع بأبعاده الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ٠

ولابد أيضا فى اختيـــار الحلول من تقـــدير الاحتمالات واعداد حلول احتياطيـــة ٠

٥ ـ النتـــائج :

ثم تأتى بعد ذلك مرحلة دراسة النتائج التى تصل اليهـــا ، وتقييمها تقييما سليما يبلور ما تمخضت عنه الدراسه ، ويصحح الأخطاء أولا بأول ويطور التجربة طبقا لتغير الظروف الموضوعية ٠

وفى تطبيق خطوات الأسلوب العلمى فى الدراسة على نهج الثورات وحركتها ، فاننا نجد أن لكل ثورة عادة هدفا نهائيا تسعى اليه يحدد خطاها ومسارها ويحدد على أساس من الواقع الموضوعى الذى يجابه الشـــعوب فى

كل مرحلة من مراحل نضالها . أى الهدف النهائى لأى ثورة هو ذلك الذى ينسم مرحلة تاريخية بأكملها ولا تتم الثورة واقعيا الا بتحقيقه .

على أن أى ثورة لا تتمكن فى العادة من تحقيق هدفها النهائى خلال خطوة واحدة وفى خط مستقيم واحد يحملها من نصر الى نصر دون أن تضطر الى التراجع أحيانا ، ودون أن تضطر فى أحيان أخرى الى عقد أنواع من المهادنات مع بعض القوى التى قد تتناقض أهدافها مع الأهداف النهائية للثورة و حتى الى عقد تحالفات مؤقتة مع مثل هذه القوى .

ان اتمام أى ثورة بنجاح يحتاج الى وجود قيادة ثورية ووعى بطبيعة أهداف المرحلة وتحديد القوى الثورية الرئيسية والقوى التى يمكن تحييدها أو مهادنتها كما أن اتمام أى ثورة بنجاح يعنى بالضرورة الربط بين المواقف اليومية التى تواجهها القوى الثورية وبين الهدف النهائى الذى تستهدفه الثورة بحيث يمكن القول أن الهدف النهائى لايمكن تحقيقه الا من خلال تحقيق سلسلة من الأهداف الجزئية التى تقرب من الوصول الى الهدف النهائى وأن الحكم على مدى صحة أى هدف جزئى ، هو بمقدار ما يساعد تحقيق هذا الهدف الجزئى فى تحقيق الاهداف النهائية للثورة .

ويحدد كل هدف جزئى أو مرحلى بطبيعة الحال على أساس من نوعية المشاكل التى يواجهها المجتمع فى كل مرحلة طبيعة توازن القوى فيه . ومن الضرورى دائما أن تكون الاهداف الجزئية فى كل مرحلة هى أهداف يمكن تحقيقها عمليا لكى لا تتشتت قوى الشعب فى نضال لا يمكن تحقيق نتائجه .

ولتوضيح ما نقول نضرب مثلا من واقع ثورة ٢٣ يوليو .. اذ أن الاهداف التى يحددها النضال الشعبى تجسيدا لآمال الجماهير .. فى الحرية والاشتراكية والوحدة .. تعتبر أهدافا نهائية ودائمة يسعى العمل الثورى من أجل الوصول اليها .

ولكن تحقيقها يتطلب مددا من المراحل التى يتحدد فى كل منها أهداف جزئية تعتبر خطوات ضرورية ولازمة على طريق الوصول للهدف النهائى ، كما أن كل مرحلة تتطلب تحديدا واضحا للقوى والامكانيات والظروف التى تلزم لتحقيق تلك الاهداف .

ولقد كانت المبادىء الستة لثورة ٢٣ يوليو بمثابة أعلام لتحريك النضال الوطنى تحتها للعمل على تحقيقها ، ولقد كانت تلك المبادىء انبثاقا من ظروف المجتمع المصرى فى تلك المرحلة وآماله التى يتحدد أولها فى القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين .. والقضاء على الاقطاع .. وسيطرة رأس المال على الحكم .. حتى يتسنى الانطلاق لتحقيق العدالة الاجتماعية واقامة الجيش الوطنى القوى ، وتوفير الحياة الديمقراطية السليمة .. وكانت ظروف مواجهة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ .. وما تتطلبه من تضافر جهود جميع القوى الوطنية هى السمة التى فرضت نفسها فى تلك المرحلة .

ثم كان الميثاق الوطنى عام ١٩٦٢ تعبيرا عن نظرية وفلسفة العمل الثورى فى مرحلة التحول الاشتراكى ؛ وتحديدا للقوى صاحبة المصلحة فى صورة

تحالف قوى الشعب العاملة الخمس فى أنها هى صاحبة المصلحة والقادرة على السير ثوريا فى طريق التحول الاشتراكى ٠

وعلى طريق البناء الوطنى ومواجهة قوى الصهيونية والاستعمار ؛ كان عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ ، ومواجهة لتلك الظروف دون الحيدة عن الاهداف والآمال التى يسعى لتحقيقها نضال الجماهير فى تحقيق الاشتراكية والوحدة ٠٠ كان لابد على العمل الثورى من أن يحدد أهدافا لتلك المرحلة ٠٠ عملا على ازالة آثار العدوان وتحقيق النصر على قوى العدوان ٠ وكان بيان ٣٠ مارس تعبيرا عن تلك الاهداف ورسما لاسلوب الوصول لتحقيقها ٠

وأن الأسلوب العلمى ليس طريقا واحدا جامدا يصلح لكل جانب من جوانب المعرفة ؛ وانما الأسلوب نفسه يتشكل الى حد كبير بالمجال الذى يمكن أن يطبق فيه فبالنسبة لنواحى المعرفة الانسانية كالطب مثلا ؛ يتم تطبيق الاسلوب بشكل معين لا يمكن تطبيقه حرفيا عند التعرض لدراسة المجتمع الانسانى ونظمه الاقتصادية والاجتماعية ولكن لابد من اتباع أسلوب يتلاءم معه دون اخلال بجوهر المنهج العلمى للدراسة ، ان ذلك ليقتضى دراسة علمية للقوانين التى تتحكم فى المجتمع الانسانى وتطوره ٠

وقبل أن نبدأ فى دراسة هذه القوانين ؛ لابد أن نقدر أن دراسة العلوم الفلسفية قد بدأت قبل كثير من العلوم الطبيعية بزمن كبير ؛ ثم تبلورت الدراسات الانسانية والاجتماعية كعلوم دقيقه بعد ذلك واذا ما بحثنا عن السبب فى تأخر هذه العلوم الانسانية والاجتماعية عن التطور بالسرعة المنشودة ؛ نجد ن السبب فى ذلك يرجع الى العقبات الرئيسية التى وضعت أمام التقدم الحيوى والفعال فى العلوم الاجتماعية خاصة فى عهود الاقطاع والرأسمالية ؛ وذلك لما بين النظم الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع وبين الأفكار التى تعبر عن هذه النظم من ارتباط وثيق فى كل عصر من العصور ٠

دراسة المجتمع الانسانى :

حينما نتصدى لدراسة المجتمع الانسانى وعناصر الحياة المختلفة فى الكون فلابد أن نؤمن بأن الطبيعة بمعناها الواسع تخضع لنظام ثابت لا يقبل التقلب مع الهوى ؛ وأن هذا النظام عام ٠ بمعنى أن كل ظاهرة فيه تخضع لقانون محدد ؛ وأن هناك طائفة من الأسباب تقابلها طائفة من النتائج ؛ وأن هناك قوانين ثابتة تربط الظواهر المختلفة بعضها ببعض ٠

من هذه النقطة نستطيع أن ننطلق الى دراسة قوانين الحياة الرئيسية متخذين منها متى عرفنا كشافا ينير لنا الطريق ويجنبنا التردى فى الخطأ أو الزلل ٠

القانون الأول : صراع الاضداد والمتناقضات :

ان كل ما فى الحياة فى تغير دائم وتشكل مستمر وان أساس هذا التغير الدائم حركة مستديمة ومستمرة وسر هذه الحركة ان جميع الاشياء والظواهر فى الطبيعة تتضمن تناقضات باطنة ؛ لأن لها جميعا جانبا سلبيا ؛ وجانبا

ايجابيا ؛ ولها ماض ومستقبل ؛ أى فيها جميعا عناصر تزول أو تنمو . والصراع بين هذه الاضداد هو المحتوى الباطن لعملية التطور ، وهذا التناقض شامل لانه محرك كل تغيير .

ولو أخذنا مثلا الذرة لوجدنا دافعها نواه يحتوى كل جسم ذى شحنة ايجابية « بروتون » وحولها أجسام بها شحنات سلبية « الكترونات » . والبروتونات والالكترونات بطبيعتها متضادة . ولو نظرنا الى الانسان الهادىء المظهر لأدهشنا أن نعرف أن داخل جسمه صراع رهيب بين قوى الموت وقوى الحياة ، ففى كل لحظة خلايا جديدة تظهر وخلايا قديمة تموت ، وقوى المرض من جراثيم وسموم تنقض عليه وتسرى فى أمعائه وأنسجته وتحاول أن تهاجمه وتتغلب عليه، وقوى المقاومة من خلايا الدم البيضاء وبعض المواد الكيماوية وغيرها تقف للقوى الاولى بالمرصاد تدفع المرض وتحمى الانسان من أضراره .

والمجتمع الانسانى بدوره ملىء بالمتناقضات ففى المجتمع الرأسمالى نجد الطبقة الرأسمالية تحاول أن تستغل العمال وتستنزف طاقتهم ؛ وطبقة العمال تحاول أن تدفع عن نفسها وطأة الاستغلال والظلم الاجتماعى ؛ ومن جهة أخرى نجد أن هناك تناقضا واضحا بين الصفة الفردية لتملك وسائل الانتاج ، والصفة الاجتماعية أو الجماعية لعملية المشاركة فى الانتاج .

ولابد أن نفرق هنا بين بعض أنواع المتناقضات .

المتناقضات الداخلية :

وهى القوى الداخلية المتضادة داخل الشىء نفسه ، أو الظاهرة نفسها.

المتناقضات الخارجية :

وهى القوى المتصارعة بين الشىء نفسه والاشياء المحيطة به .

والمتناقضات الخارجية تؤثر بلا شك على تطور الشىء نفسه ، تؤخره او تدفع تقدمه ولكنها عامل مساعد أو ثانوى فقط فالمحرك الاساسى للتطور والموجه الرئيسى له هو متناقضاته الداخلية الأساسية .

فمثلا المتناقضات الداخلية فى مصر بين قوى الشعب العاملة والرأسمالية والاقطاع هى التى حتمت التحول الاشتراكى وهى التى أدت الى التغير الاجتماعى الشامل . أما المتناقضات الخارجية بين ج.ع.م وبين الاستعمار فلا شك أنها قد أثرت علينا . فالعدوان الغادر سنة ١٩٥٦ والحصار الاقتصادى بعد ذلك كلها أمور قد أثرت على عملية التحول الاشتراكى فى مصر . ولكن هذه القوى الخارجية وتناقضاتها مع ج.ع.م لم تستطع أن تحدد شكل المجتمع عندنا .. ففى وجودها وبالرغم منها استطاعت القيادة الثورية أن تبلور ارادة التغيير الكامنة فى المجتمع نتيجة لمتناقضات الماضى وأن تقود الجماهير الشعبية فى حركة ثورية شاملة حتى استطاعت أن تأخذ طريق التحول الاشتراكى مجتمع الكفاية والعدل .

ومثال آخر لهذا القانون يمكن أن نستخلصه من كلام السيد الرئيس « فى أننا لا نصدر الثورات » ذلك أن المنهج العلمى يقول أن الثورة لا يمكن أن تحدث الا نتيجة لارادة داخلية للتغيير فى المجتمع نتيجة لتناقضاته الداخلية

المتناقضات الأساسية :

الحياة ؛ كما بينا ؛ مليئة بالمتناقضات ؛ والمجتمع الانسانى يزخر بعديد منها والمهم أن نحدد ما هو التناقض الاساسى « أو الرئيسى » فمثلا المجتمع الرأسمالى ملىء بالمتناقضات تناقض بين الرأسمال والعمل .. بين الصفة الفردية لتملك أدوات الانتاج والصفة الجماعية لعملية الانتاج ذاتها ؛ تناقض بين النقابات وأصحاب رؤوس الاموال ، تناقض بين العمال والفلاحين، ولكن التناقض الاساسى أو الرئيسى هو بين الرأسماليين وبين الطبقة العاملة وهو أساس الصراع الطبقى بينهما .

والمتناقضات الثانوية قد تصبح متناقضات أساسية فى مرحلة تاريخية معينة والعكس صحيح ، فمثلا حينما يشن الاستعمار عدوانا مسلحا كما حدث فى سنة ١٩٥٦ نجد أن التناقض الاساسى يصبح بين الاستعمار من جهة متعاونا مع عدد قليل من الخونة وبين تحالف القوى الوطنية كلها وذلك ما حدث فى سنة ١٩٥٦ اذ وقف الشعب المصرى كله صفا واحدا ضد العدوان الثلاثى ، فى حين أن الاستعمار حينما يتجه الى الضغط الاقتصادى كما حدث فى السنوات القليلة التى سبقت انفصال الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٦١ نجد أن التناقض الاساسى أصبح بين قوى الشعب العاملة من جهة وبين تحالف الرأسمالية المستغلة وفلول الاقطاع متعاونة مع الاستعمار من جهة أخرى ؛ ونجد أن بعض من اشتركوا فى التحالف الوطنى سنة ١٩٥٦ قد وقفوا ضد الشعب فى كارثة الانفصال وبعد التطبيق الاشتراكى ؛ وهكذا تتغير المتناقضات أيضا مع الظروف التاريخية ولكنها فى تغيرها وفى تصارعها تعطى الثورة الدافعة وراء التطور والتغيير الثورى .

المتناقضات المضادة أو العدائية :

ومن المهم أيضا فى فهمنا للمتناقضات فى الواقع الاجتماعى أن نفرق بين نوعين من المتناقضات :

نوع متضاد أو عدائى : لايمكن حله بايجاد نوع من التوازن داخل النظام.

نوع غير عدائى ؛ يمكن حله بايجاد نوع من التوازن بين هذه القوى.

ومن أمثلة النوع الأول :

المتناقضات بين الرأسمالية المستغلة وقوى الشعب العاملة ، هذا التناقض لا يمكن أن يستمر فى المجتمع الاشتراكى ، ولا يمكن حله بايجاد نوع من التوازن اذن لابد من أقصاء الرأسمالية المستغلة وتجريدها من أسلحتها . ولا يمكن أن يتم ذلك الا بسيطرة الشعب على أدوات الانتاج ؛ وبوصول قوى الشعب العاملة الى السلطة (سلطة الدولة) وضمان بقاء السلطة السياسية فى أيديها .

أما المتناقضات غير العدائية كأى تناقض قد يحدث بين الفلاحين وبين العمال نتيجة لتعارض وقتى لمصالحهما أو بين سكان الريف المتأخر نسبيا وسكان المدينة المتقدم نسبيا أو بين العمال وبين الرأسمالية الوطنية أو بين العمل الذهنى والعمل اليدوى فيمكن حلها بالطرق السلمية بايجاد نوع من التوازن الحيوى الفعال داخل اطار من الوحدة الوطنية لهـذه القوى التى تشترك جميعها أنها صاحبة مصلحة فى التحول الاشتراكى المتمثلة فى تحالف قوى الشعب العاملة .

ومن الضرورى فى دراسة حركة المجتمع أن ندرك أن ثمة تناقضـا رئيسيا واحدا فقط يلعب الدور القيادى فى كل مرحلة من مراحل عمليـة التطور ، واذا كانت فى أية عملية من العمليـات تناقضـات كثيرة فلابد أن يكون بينها تناقض رئيسى يلعب دورا قياديا حاسما .. أما بقية التناقضات فانها تحتل مركزا ثانويا ؛ تابعا .

ولذلك ينبغى فى دراسة أى عملية معقدة يوجد فيها تناقضان أو أكثر أن نبذل قصارى جهدنا كى نكتشف التناقض الرئيسى فيها . فاذا أمسكنا بزمام هذا التناقض الرئيسى استطعنا حل سائر التناقضات بسرعة .

كما لا يجوز أن نعامل جميع التناقضات الموجودة فى عملية ما على قدم المساواة بل لابد أن نميز بين التناقض الرئيسى والتناقضات الثانوية ونولى انتباها للامساك بزمام التناقض الرئيسى وهو الذى يحتـل مركز السـيطرة .

ودراسة التناقض الرئيسى والتناقضات غير الرئيسية ؛ هى احـدى الطرق المهمة التى يتقرر بها بصورة مضبوطة الخطط الاستراتيجية والتكتيكية فى الشئون السياسية والعسكرية .. وأبرز صورة ومثل لهـذا الآن وهو اعتبار هدف ازالة العدوان .. هدفا رئيسيا يجب أن تخدمه كل الاهداف الاخرى .. وان كان فى نفس الوقت مع أولية هذا الهدف الا أنه لا يلغى التشبث والتمسك بالهدف الاستراتيجى وهو الحفاظ على المكاسب الثورية وحماية ومواصلة العمل الثورى فى التحول الاشتراكى .

القانون الثانى : الجديد ينبت من قلب القديم :

وكنتيجة منطقية للقانون الاول يأتى القانون الثانى فيقول لنا ان كل شىء فى الحياة لا يقف ساكنا جامدا ؛ وانما هو فى حركة شاملة متطـورة واذا تعمقنا فى هذا المفهوم لوجدنا أن الحياة عبارة عن عمليات مسـتمرة وليست أشياء ثابتة وأن الحركة نفسها هى حالة من حالات وجود المسـاواة وان العالم اليوم مختلف جملة وتفصيلا عن شكله من ملايين السـنين وأن الكائنات التى توجد عليه هى غيرها فى أزمان سحيقة ؛ والكواكب التى نراها الآن بعضها لم يكن موجودا فى وقت ما والبعض الآخر قد انقضى بالرغم على استمرارنا فى رؤيته حتى الآن .

كذلك المجتمع بكل ما فيه من بشر وفكر يتحـرك ويتطور ويتغير

باستمرار من قلب القديم يثبت دائما الجديد شاملا جوانبه الايجابيه ناسخا جوانبه السلبيه ، فالجديد دائما يجب القديم طبقا لقانون التطور ٠

والنظم الاقتصادية والاجتماعية هى غيرها من مائه سنة وهى غيرها من ألف سنة ٠

فمن مائة سنة لم يكن هناك نظام اشتراكى واحد فى العالم وكان حينذاك النظام الرأسمالى خطوة تقدمية كبيرة بالنسبة للانسانية اذ استطاع احداث طفرة هائلة فى وسائل الانتاج وفى دفع التقدم العلمى وقد نشأ هذا المجتمع من قلب المجتمع الاقطاعى الذى ساد العالم قرونا عديدة من قبله ٠

فى القرن العشرين نجد أن جزءا كبيرا من العالم يطبق النظام الاشتراكى والاشتراكية بدورها طريق لا نهاية له ولا يمكن انسير فيه الا بطاقة دافعة لا تهدأ وحركة تقدمية خلاقة لا ينضب لها معين ٠ وهكذا نجد أن الجديد ينبت من القديم الذى يتحتم عليه أن ينهى دوره التاريخى تاركا المسرح الانسانى للافضل وللاكثر تقدمية ٠

القانون الثالث : الانتقال من التغير الكمى الى التغير الكيفى :

ثم يقودنا المنهج العلمى الى القانون الثالث الذى هو نتيجة منطقية لقانون الحركة السابق فاذا كان كل شىء فى الحياة متغيرا ؛ فان هذا التغيير يمكن تحليله الى عنصرين متكاملين متلازمين :

عنصر التغير الكمى ـ وعنصر التغير الكيفى ٠

وعنصر الكم هنا نعنى به ؛ تغير الشىء بالزيادة أو النقصان ؛ وعنصر الكيف هو تغيره الى حالة جديدة خلاف الحالة القديمة التى كان عليها فى الماضى ٠

ومن خصائص التغيرات الكمية أنها عادة بطيئة مستمرة ، أما التغيرات الكيفية فهى فى العادة فجائية متقطعة ٠

وقانون الانتقال من التغير الكمى الى التغير الكيفى يؤكد أن هذه التغيرات حتمية وأنها متلازمة وأن كل تغير كيفى لابد أن يسبقه تغير كمى ٠

والمهم فى فهمنا للقانون فى الواقع الاجتماعى أن لا نفصل بين التغيرات الكمية والتغيرات الكيفية ، فالذى ينفصل أن يسير بالمجتمع على أساس احداث التغيرات الكمية ويحصر تفكيره فى ضرورة دفع التغييرات الكمية يصبح منطقه اصلاحيا عاجزا عن احداث تغير جذرى وضرورى لاسس المجتمع ؛ ومن أمثلة ذلك فى المجتمع الرأسمالى محاولة اصلاح المجتمع ككل فى حين أن التغير المنطقى والضرورى هو تغير كيفى من مجتمع رأسمالى يسمح بالاستغلال الى مجتمع اشتراكى تسوده الكفاية والعدل ٠

ومن الخطورة أيضا فصل التغيرات الكمية عن التغيرات الكيفية ٠٠٠ ووأد التفكير العلمى بالتسرع فى احداث تغيرات كيفية دون التمهيد لها بتغيرات كمية كافية ؛ أن ذلك قد يجر المجتمع الى هوة الفوضوية المتهورة أن مثل هذا التفكير هو انحراف أيضا عن التفكير الثورى الى نوع من التفكير

التواكلى العقيم الذى يعزو التقدم والتغيرات الكيفيه الثورية الى انفجارات أو معجزات تلقائية مع اهدار كامل للاعداد العلمى والمجهود المتواصـــل اللازم لمثل هذه التغيرات الاساسية . وتجاهل للتطور التاريخى الضرورى فى أدوات وقوى الانتاج ودور ارادة التغيير وما تستخدمه من تنظيمات سياسية تبلور الحوافز الثورية لدى الجماهير وتقودها فى سـبيل احداث التغييرات الثورية الحاسمة فى تاريخها .

القانون الرابع : ترابط عناصر الحياة :

ومن قوانين الصراع والحركة وأسلوب التغيرات يتضـح جوهر هـذا القانون الذى يؤكد لنا أن كل شىء فى الحياة ـ والحياة هنا تشمل الطبيعة والمجتمع الانسانى ـ ليس الا حلقة متصلة فى سلسلة واحدة بعـديد من الحلقات الاخرى ، وأن هذه الحلقات جميعها تتبادل دوما التأثير والتـأثر فى حلقة خلاقة متطورة . فالطبيعة مثلا لا تتألف من مجموعات مستقلة ومنفصلة من الظواهر ؛ ولكن من مجموعات متشابكة على نحو قد يفجر بسببه عـن تحليلها تحليلا كاملا وعن معرفة الحقيقة المطلقة فى علاقاتها والنقص بطبيعة الحال ليس فى الطبيعة ولكن فى حواسنا ووسائل معرفتنا نحن . وكذلك الانسان ، فأصحاب المنطق الذاتى يرونه منقسما الى مخ وفكر وجسد وخلق وضمير . أما المنهج العلمى فى التفكير فيراه كلا واحدا وليس هناك فكر بلا مخ ولا مخ بلا جسد وكذلك الامر فى العلوم المختلفة فكلها متداخلة مترابطة بعضها ببعض فليس الاقتصاد شيئا منفصلا عن السياسة وليست السياسة كيانا مسـتقلا عن الاقتصـاد وانما المنهج العلمى فى التفـكير يؤمن بأنهما متفاعلان متلازمان .

ان النظام الرأسمالى يحاول أن يفصل دائما الديمقراطية عن الاقتصاد والمنهج العلمى يقول ان النظام السياسى فى بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للاوضاع الاقتصادية فيه ؛ وأن حرية التصويت مرتبطة بحريةلقمة العيش .. ولا يمكن ضمان الحرية السياسية الحقيقية للوطن والمواطن الا ببناء قاعدة اقتصادية متينة تحقق الكفاية بحيثيكون العدل بعد ذلك مساواة فى الرفاهية وليس شركة فى الفقر .

وبقدر فاعليتنا فى سياستنا الخارجية وعلاقاتنا الدولية نستطيع أن ندعم سياستنا بالخبرات والمساعدات الدولية وأن نضمن رأيا عاما دوليا يؤازر قضايانا ويساندنا فى مواقفنا وبقدر سلامة سياستنا الداخلية وقوتنا الذاتية نستطيع أن نسهم فى المجال الدولى ونستطيع اتباع سياسة تحررية فىمأمن من الضغط وبعيدا عن الخوف .

وهكذا من خلال القـانون الاول للمنهج العلمى يمكننا أن نرى الواقع

على حقيقته المتكاملة فى كل جزء فيه يتفاعل مع بقية أجزائه ويؤثر فيهـــا ويتأثر به ، وأن دراسة أى جزء فى المجتمع لابد وأن تتم فى اطار هذه الحركة الحيوية ومن خلال علاقته الدنيا ببقية أجزائه ٠

وهكذا فان دراسة قوانين المنهج العلمى تتسق مع بعضها البعض ويؤدى كل منها الى الآخر فى تسلسل منطقى ويفتح الطريق آمنا ٠٠ رحبـــا ؛ الى أسلوب علمى مرتب للدراسة والبحث والحركة ويظهر الواقع من خلالها وحدة متكاملة ويصبح المجتمع الانسانى على أساسها مجالا فسيحا للعـلم والمعرفة والتقدم والتطور ٠

المحاضرة الخامسة

المفاهيم والأسس والمهارات الرئيسية لجوانب العمل السياسى المختلفة

فهرس محاضرة

المفاهيم والأسس والمهارات لجوانب العمل السياسى

- **أولا : ماهية ومفهوم العمل السياسى وأبعاده**
- **ثانيا : حول التنظيم السياسى .**
  - التنظيم السياسى ومقوماته الاربع .. وأساس وأسلوب البناء .
  - العلاقة بين التنظيم السياسى القائد والمنظمات المساعدة له (منظمة الشباب الاشتراكى مثلا) .
  - البناء التنظيمى .
    - العضوية .. وأسلوب التجنيد والدعوة .. والتسجيل .
    - الكوادر .
    - الهيكل التنظيمى .. وأسلوب العمل مع المجموعات القاعدية .
  - المبادىء التنظيمية :
    - القيادة الجماعية .
    - النقد والنقد الذاتى .
    - الديمقراطية والالتزام التنظيمى .
- **ثالثا : المهارات الاساسية لتحرك التنظيم السياسى :**
  - الهدف وأهمية وضوحه وتحديده .
  - مصادر خطة العمل السياسى .. وكيف توضع وما هى جوانبها الثلاث والمهارات المختلفة حولها .
  - شبكة الاتصال :
    - الاجتماعات المقررة وأشكالها وأسلوبها وكيفية قيادتها .
    - المتـــابعة .
    - التقارير الدورية .
    - الرأى العام وأهميته وكيفية استطلاعه .
    - الاستدعاء السياسى .
    - التلاحم والارتباط بالتجمعات والقواعد الشبابية المختلفة .

اولا : المفهوم العام والموضوعى للعمل السياسى

– المفهوم المبسط للعمل السياسى من خلال البعد التاريخى له :

● بنظرة تحليل واستقراء .. للتاريخ القديم .. نجد أن الجماهير كانت تتحرك .. وباستمرار ولصالح الجماهير .. حيث كانت هناك تحديات أساسية أو « تناقضات رئيسية » كانت بمثابة المحرك التاريخى والنضالى لحركة الجماهير .. وكان الهدف هو القضاء على هذه التناقضات المتمثلة فى استغلال الانسان لأخيه الانسان .. والتخلف أو منهما معا .

● ومن خلال تلك المسيرة النضالية والتاريخية للجماهير .. أمكنها عن طريق تقدمها تحطيم قدر من هذه التناقضات الرئيسية .. وانتقل المجتمع الانسانى من نظام اجتماعى واقتصادى الى آخر .. بغية الوصول الى العدل والتقدم .. ولكن تغير شكل التناقض مع بقاء جوهره كما هو وذلك بالنسبة للاستغلال ، أما التخلف فقد مسه التغيير نسبيا من حركة الجماهير واختلف طبقا للمستوى الحضارى والثقافى والعلمى من مجتمع الى آخر .. ونجد أنه كثيرا ما فشلت أو جمدت أو انتكست فى كثير من الفترات الزمنية التاريخية .. مثل « ثورة سبارتكوس » وذلك لانها أى حركة الجماهير كثيرا ما كانت عفوية أو تلقائية .

● نلاحظ أن الجماهير ليست ساكنة أو هادئة بل أنها فى الحقيقة لا تكف عن الحركة .. ولكنها غالبا ما تكون تلقائية ناتجة عن انفعالها فى حياتها اليومية بالعديد من المشاكل أو لمواجهتها لبعض صور الاستغلال .. ومحاولتها بطريقة عفوية ايجاد حلول لها .

● من هذا نستطيع أن نعطى مفهوما عاما للعمل السياسى من خلال ذلك الاستعراض السريع الذى يؤكد أن معنى **العمل السياسى** كان موجودا أو سابقا للوعى بكلمة ومفهوم العمل السياسى .. هذا التعريف هو « حركة جماهير لحل مشكلة أو تناقض أو كلاهما معا » ..

ب – المفهوم الموضوعى والتفصيلى للعمل السياسى :

ان المدخل للمفهوم الموضوعى للعمل السياسى لا يتأتى الا من خلال منهجية ومنطقية تبدأ بأن الانظمة الاجتماعية الحالية فى عالمنا المعاصر والتى وصل اليها نضال وحركة الجماهير تاريخيا من خلال الانتقال من **نظام اقطاعى أو رأسمالى الى نظام خليط متزاوج منهما** والذى لم يحقق للجماهير هدفها التاريخى ولذلك سعت بحركتها ونضالها الى نظام كفيل بتحقيق الكفاية والعدل لها .. ويتحقق ذلك بتحولها ثوريا الى النظام الاشتراكى ..

فى مجتمع العدالة وتكافؤ الفرص وذوبان الفوارق بين الطبقات والرفاهية والتقدم ·· ولا شك أنه يوجد عمل سياسى فى كل نظام اجتماعى واقتصادى ·· ولكنه يختلف فى جوهره وسماته فى كل مجتمع عن الاخر ··

● فبينما نجد أنه فى **المجتمع الاقطاعى الرأسمالى** ·· يتمثل فى قلة ضئيلة (١٪) تملك وبالتالى فهى التى تحكم ·· وهدفها استمرار النظام لصالحها حتى تستطيع تحقيق مزيد من الاستغلال ·· عن طريق ترديد الشعارات الجوفاء وتضليلها وخداعها باعمال اصلاحية وليس حلولا جذرية ·· والفصل التعسفى بين الديمقراطية السياسية والاجتماعيه ·· والتى تعبر عن ترجمة لحرية هذه القلة ·· دون الجماهير ·

● أما فى نظام **المجتمع المتحول تقدميا الى الاشتراكية** فهناك تجد سيطرة الشعب على وسائل الانتاج وبالتالى فان الجماهير هى صاحبه المصلحة التى تملك مقدرات الامور الاقتصادية والسياسية ·· أى أن الاغلبيه هى التى تملك وهى فى الواقع تبنى وترسى دعائم وأسس وعلاقات مجتمع جديد وهو المجتمع الاشتراكى ··

● ومن هنا يظهر أن **العمل السياسى فى المجتمع المتحول للاشتراكية** يجب أن يتضمن عمليه هدم القديم وبناء الجديد ·· ويظهر اهمية التثقيف فى ارساء قيم المجتمع الجديد وعلاقاته ·· وتبرز قضيه العمل والعلم ·· والانتاج ·· ويتسم ذلك بأسلوب ثورى وحلول جذرية ·· بمنهج يؤكد ترابط الحريه السياسيه بالحريه الاجتماعية ·· بل ان الاخيرة هى قاعدة واساس لتحقيق الاولى ·· كل ذلك سعيا للكفايه والعدل ·· وعدم الاستغلال ·

● **اذا فان مفهوم العمل السياسى فى المجتمع الاشتراكى :**

« أسلوب جماهيرى لقيادة وخدمة الجماهير بتوجيه وتنظيم وترشيد حركتها التلقائية الى حركة منظمة واعية ·· نحو حل مشاكلها ·· والقضاء على العلاقات الاجتماعيه القائمة على الاستغلال ·· وارساء قيم وعلاقات المجتمع الاشتراكى » ·

● من خلال ذلك التعريف تبرز لنا عدة تساؤلات ونتائج جزئية تعطى لهذا التعريف أبعاده ومعناه الحقيقى وهى :

● ان العمل السياسى أسلوب جماهيرى ·· أى عمل مع الجماهير وبها ·· ولصالحها ··

● انه يمثل قيادة وخدمة الجماهير معا ·· فاذا كان قيادة فقط للجماهير فانه يصبح عملا أقرب للاسلوب الادارى منه للسياسى ·· كذلك فلا يقال خدمة الجماهير فقط ·· والا أصبح عاجزا عن تحويل الحركة العفوية للجماهير الى حركة منظمة ·

● ولكن ترابط مفهوم القيادة والخدمة معا ·· فهو تأكيد لمبدأ معايشة الجماهير والتلاحم معها ·· وتعليمها ·· والتعلم منها ·· والتأثر

بها .. والتأثير فيها .. بالقيادة والخدمة .. وعن طريقهمـــا فقط يمكن كأسلوب ووسيلة أن تنظم وتوجه حركتها .

● انه يعنى فى الاساس توجيه وتنظيم وترشيد حركة الجماهير .. ولم يعن تحريك الجماهير وذلك لان الجمـاهير هى دائما فى حركة مســتمرة سواء كانت صغيرة أو كبيرة .. عفوية أو منظمة .. مباشرة أو غير مباشرة .. ايجابية أو سلبية .. أى أن المقصود به هنـــا .. هو الادراك الواعى للتنظيم والتوجيه والترشيد حتى تصل حركة الجماهير الى أهدافها وآمالها.

● ان حركة الجماهير التلقائية والعفوية تعنى أن الحركة هى ، رد فعل لفعل دون ما اتجاه محدد واضح تعرفه الجماهير ذلك لانها :

- ناتجة عن المشاكل التى تواجهها ولا تخضع لتوجيه مسبق ســوى المصلحة الوقتية لها .

- انها متجددة لانها ناتجة عن تجدد المشاكل اليومية .

- انها غير محددة الاتجاه لانها قد تكون فى مصلحة الجماهير أو ضدها

- انها يمكن استغلالها من قبل أى عناصر منظمة لمصلحة الجماهير .

● كذلك فان الحركة المنظمة الواعية للجماهير تعنى .. أنها عكس ما سبق أى أن تحركها يصبح فى اتجاه محدد واضح نحو أهدافها وآمالها .. عن طريق قيادات منه وتتسم هذه الحركة بأنها ..

- حركة منظمة تعرف الهدف العام والاهداف المرحلية وتسعى لتحقيقها

- تعرف ما هى القوى التى معها .. والتى ضدها .. واحتمـــالات موقف قوى الوسط منها فى كل مرحلة .

-- ان هذا التنظيم الواعى لهذه الحركة تقع مســـئوليتها الاولى على القيادات التى تقود وتخدم للوصول بها لاهدافها وآمانها .

جـ - ضمانات العمل السياسى :

تعلمت الجماهير من خلال مسيرتها النضالية الطويلة التاريخية ... نتائج ثلاث تعتبر بمثابة ضمانات رئيسية للعمل السياسى الناتج كمفهـوم وهدف وهى :

١ - يتحدد دائما مفهوم العمل السياسى بطبيعة المرحلة الاقتصادية والاجتماعية التى يمر بها المجتمع والتى يميزها خطان رئيسيان هما :

- التحول من الرأسمالية والاقطاع الى الاشتراكية .

ـ التحول من مجتمع متخلف الى مجتمع متقدم ٠

ودائما وبالضرورة يكون الهدف العام للعمل السياسى هو تحقيق الكفاية والعدل أى بناء المجتمع الاشتراكى ٠

٢ ـ يجب أن يكون العمل السياسى من خلال شكل محدد له مضمون ٠٠ أى من خلال تنظيم سياسى ٠

٣ ـ لابد أن يرتبط العمل السياسى بمنهج وأسلوب علمى ٠٠ ضمانا للوصول الى نتائجه صحيحة ومحسوبة ٠

ثانيًا: حول التنظيم السياسى

ماهية التنظيم السياسى من حيث الشكل وأساس البناء وطبيعته ؟..

ان التنظيم السياسى فى التصور العام شكل هرمى .. له قاعدة تتدرج عليها مستويات حتى تصل الى القمة .. ويضم فى اطاره جماهير (عضوية) وقيادات (كوادر) يربطهم هدف ما .. يتحركون خلاله بأسلوب منضبط له قواعده لتحقيق برنامج عمل يخدم ويحقق أهداف هذا التنظيم ..

وهنا يجب أن نوضح الاجابة على التساؤل التقليدى .. هل يعتبر التنظيم السياسى (حزب) ؟. وللاجابة على ذلك يجب أن نعرف ما هو **الحزب** فى أقل الكلمات .. الحزب هو تنظيم سياسى بالضرورة يعبر عن مصالح طبقة أو فئة معينة بالتحديد ..

ومن ذلك يمكن أن نستنتج أن أى حزب هو تنظيم سياسى .. وليس شرطا أن يكون التنظيم السياسى حزبا بالمعنى التقليدى .. ونقصد بذلك أن الحزب يعتمد فى تعريفه على نوعية بناءه وتعبيره عن طبقة معينة دون الاخرى .. وبالتالى يمكن للتنظيم السياسى أن يكون حزبا .. ويمكن أن لا يكون اذا عبر عن مصالح قوى جماهيرية تمثل أكثر من طبقة .. ولا يمنع فى هذه الحالة أن يأخذ التنظيم السياسى فى مسار حركته ونفس الاسلوب الحزبى مع عدم اقتصار بناءه وتعبيره على طبقة معينة دون الاخرى .

★ مثال : الاتحاد الاشتراكى العربى تنظيم سياسى (جماهيرى) يمثل مصالح قوى الشعب العاملة التى تأخذ اتجاها واحدا نحو الحرية والاشتراكية والوحدة .. كاطار يضم تحالف قوى الشعب العاملة التى لها مصلحة فى الاشتراكية .. وبالتالى يتضح لنا أنه لا يعبر عن مصالح طبقة أو فئة معينة .. وبالتالى يتضح لنا أنه لا يعبر عن مصالح طبقة أوفئةمعينة .. وبالتالى فهو ليس حزبا ولكن هذا لا يمنع من أن يكون الاتحاد الاشتراكى العربى مستكملا مقوماته كتنظيم سياسى وفى نفس الوقت ينهج فى حركته الاسلوب الحزبى .

(١) أساس وأسلوب بناء التنظيم : ـ

قاعدة بناء أى تنظيم سياسى يمكن لها أن تتخير اتجاها معيناكأساس للبناء من بين ثلاثة اتجاهات متعارف عليها .

★ الاتجاه الاول : السيادة لأساس البناء لموقع « وحدات العمل » .

★ الاتجاه الثانى : السيادة لاساس البناء لموقع « وحدات السكن » ·

★ الاتجاه الثالث : السيادة لأساس البنـاء لكل من مواقع « وحدات العمل والسكن » ·

ويتوقف اختيار ايهم على ـ طبيعة المجتمع من حيث تقدمه الصناعى والحضارى وأيضا ظروف المرحلة وهدفها التى يكون لها أساس رئيسى فى بنـاء التنظيم ·· ونجـد أن أغلب التنظيمات السـياسية فى المجتمعـات الاشتراكية فى أوروبا السيادة · لاساس بناء التنظيمات السياسية بها وحدات العمل ·· فى حين نجد العكس فى بعض التنظيمات السـياسية ببلدان أفريقيا حيث أن سيادة أساس بناءها هو الوحدات السكنية ·

★ مثال : الاتحاد الاشتراكى العربى مبنى فى أساسه على الاتجـاه الثالث أى مزيج متكامل بين وحدات العمل وهى ما يطلق عليها « الوحدات الجماهيرية » والوحدات السكنية ·

ـ اما البناء كأسلوب : فانه من المتعارف عليه أن أى تنظيم سـياسى يبدأ عادة بمرحلة التعيين ·· ثم يتلوها بعد ذلك بمرحلة انتخـاب ·· · كاستكمال للشكل والمضمون الديمقراطى للتنظيم السياسى ·· وذلك لأن التنظيم السياسى يبـدأ من خلال الطليعة التى تترجم أهداف وآمال الجماهير من خلال اقامة تنظيم سياسى يعبر عنها ويتحرك بها فى الاتجاه السليم وهى تلجأ حتميا فى بادىء الأمر الى أسلوب التعيين (أى اختيار القلة من أعلى) لعناصر ترى أنها يمكن أن تكون عوامل مساعدة لاقامة التنظيم ·

ولكن بعـد فترة زمنية معينة من اقامة التنظيم وحركته مع الجمـاهير يصبح من الضرورة بل ومن الحتمى أن يستكمل هذا التنظيم أسلوبه ومضمونه الديمقراطى من خلال ممارسة أسلوب الانتخاب (أى اختيار الغالبيـة من القاعدة) ويجدر بنا هنا أن نشير الى اختلاف نوعية الانتخابات والتى تختلف من تنظيم سياسى الى آخر ومن مجتمع الى آخر ·· فهناك أنواع كثيرة منها ما يعرف (بالقائمة المغلقة ـ والقائمة نصف المغلقة) والانتخاب على درجات ·· وهكذا ·· وما يعنينا هنا هو أن نوعية أسلوب الانتخـابات يجب أن تكون حصيلتها ابراز وافراز وأحسن العناصر ·· وأيضا يجب أن يتأكد لنا أن كلا من التعيين أو الانتخابات له عيوبه كما أن له مميزاته ·· ولكن يتوقف الانتقال من مرحلة التعيين الى مرحلة الانتخابات واختيار نوعية وأسـلوب الانتخابات على ظروف المجتمع الذى تتم فيه ·· وموضوعية التنظيم السياسى نفسه من حيث استكماله لبنائه من عدمه ·· وأهداف المرحلة التى يعمل لها

★ مثال : طبقا لظروف المرحلة التى نمر بها من تحول اشـتراكى مصاحب لحتمية وضرورة ازالة آثار العدوان ·· وتطبيقا لبيان ٣٠ مارس وما جاء به من أهمية حشـد كل القوى لخـدمة المعركة ·· وما تتطلبه ذلك من استكمال واعادة بناء التنظيم السياسى ·· ومن خلال النظرة العلميـة الشاملة لقيادتنا السـياسية ·· كل ذلك أدى الى حتمية اعادة بناء التنظيم السياسى للاتحاد الاشتراكى العربى واسـتكمال كل مسـتوياته من خـلال

الانتقال من مرحلة التعيين الى الاساس والاسلوب والوسيلة الديمقراطيـــة وهى الانتخابات ٠

(٣) المقومات الاربعة لاى تنظيم سياسى :

يمكن أن تفرق بين أى تنظيم ســياسى (طليعى أو جمــاهيرى) وأى تنظيم آخر (مثل النقابة أو الجمعية أو الاتحادات ٠٠ الخ) بتوافر مقومات أربعة ضرورية وهذه المقومات الاربعة هى :

١ ـ المقوم الاول : نظرية ثورية :

وهى المقوم الاساسى للتنظيم السياسى حيث بغيابها يتخبط العمـــل السياسى بين العشوائية والغموض من حيث الفكر والحركة ٠

ولهذا نعتبر النظرية الثورية المرشد والموجه الاساسى للتنظيم فى فكره وحركته الاستراتيجية « بوصلة التنظيم » ٠

★ **مثال :** مهما قيل حول الميثاق الوطنى من آراء فردية فى أنه وثيقة عمل فقط لا يحوى فلسفة (أو أنه موقف نظرى ٠٠ الخ) فانه فى الاساس يعبر عن فكر وحركة أهــداف الثورة وآمال الجمـــاهير وحتميـــة التحول الاشتراكى ٠٠ كما أنه فى الاســاس أيضــا نظرة شــاملة لواقعنا بجوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ٠٠ واضـــعا المنهج العلمى كأساس للتحليل وتغيير هذا الواقع وتطويره بمضمون ثورى وتقدمى لصالح الانسان والمجتمع ٠٠ نخلص من هذا الى أنه مهما اختلفت الآراء المفسرة ٠٠ ومهما يتم بعد ذلك من تعديل للميثاق فى تعميق وشمول نظرته الفلســفية أو تغييره فى جزئه التطبيقى ٠٠ طبقــا لمحصــلة ونتائج التجربة الثورية فى مجتمعنا فان الميثاق حاليا ومستقبلا يمثل وسوف يمثل بلا شك نظرية ثورية للاتحاد الاشتراكى العربى محــددا الابعــاد والاهداف الاســتراتيجية لنضال جماهيرنا والمجسدة فى شعار « الحرية والاشتراكية والوحدة » ٠

٢ ـ المقوم الثانى : اللائحة التنظيمية :

يعتمد التنظيم السياسى فى حركته اليومية على وجود لائحة تنظيمية ٠٠ التى توضح أهداف التنظيم من خلال وفى اطار نظريته الثورية ٠٠ ٠ متضمنة الحقوق والواجبات الخاصة بالاعضاء ٠٠ وأساس وأسلوب وطبيعة البناء للتنظيم ٠٠ وكذلك المبادىء التنظيمية ٠ والاجراءات النظامية ٠٠الخ٠ وتعتبر اللائحة بمثابة وثيقة تعاقد بين التنظيم وأعضائه وقياداته من خلال تطبيقها وتنفيذها يتم انضــباط حركة التنظيم بــكل ما تحويه من مبادىء وقواعد منظمــة ٠

★ **مثال :** يعتبر القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى ـ لائحة تنظيميـــة له ٠

٣ ـ المقوم الثالث : برنامج العمل :

ويعنى هذا المقوم برنامج العمل العام وليست الخطة التفصيلية بمعنى أن البرنامج يشـــتمل بالضرورة على الأهداف القريبة المحددة ٠٠ ويضـع الاتجاهات الرئيسية من حيث الأسلوب والوسائل المنفذة لهذه الأهداف ٠٠ من واقع تحليل علمى موضوعى ٠

وتعتبر برامج العمل المتتالية للتنظيم الســـياسى خطوات عمل نحو تحقيق أهداف مرحلية للوصول للهدف الاســـتراتيجى كل ذلك فى اطار النظرية الثورية للتنظيم السياسى :

★ **مثال :** قرارات المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى دورة انعقاده الاولى والثانية تمثل برنامج عمل (ومن الطبيعى أن برنامج العمـل يأخذ فترة زمنية تصل من سنتين الى أربع سنوات أو ست فى أغلب التنظيمات السياسية ـ ولكن طبقا لظروف المعركة ومتطلبات ازالة آثار العدوان وتطبيقا لبيان ٣٠ مارس ٠٠ فان برنامج عمل الاتحاد الاشتراكى العربى يأخذ طابع المرونة وقصر الفترة الزمنية وذلك ارتباطا بموضوعية المرحلة التى يمر بها المجتمع والتنظيم السياسى ٠

٤ ـ المقوم الرابع : الكادر السياسى :

ويعنى هذا المقوم ضرورة وجود القيادات الموحدة فكريا والمرتبطـــة بنظرية التنظيم السياسى ٠٠ والمرتبطين تنظيميا فى حركتهم السياسية من خلال ممارستهم وتطبيقهم للمقومات الثلاثة السابقه ٠

مما سبق استعراضه يصبح من السهولة بمكان أن نتعرف عـــلى أى تنظيم سياسى عندما نجد هذه المقومات الاربعة متوافرة داخلـه ٠٠ بصرف النظر عن التكامل أو عدم التكامل النسبى لأى مقوم فيهم كل على حـدة ٠٠ لكن من الضرورى توافر الاربعة مجتمعين دون وزن لتكامل أحدهم النسبى داخل المجموع ٠

وطبيعى أنه اذا لم توجد هـذه المقومات مجتمعة وخاصـة المقوم الأول أى(النظرية الثورية) فانه فى هذه الحالة يمكن أن يكون التنظيم تقابيا أو أى شىء آخر ولكن ليس بالتأكيد تنظيم سياسى ٠٠

٤ ـ ما هى العلاقة بين التنظيم السياسى وتنظيماته المساعدة مثـل التنظيم الشبابى ؟

ـ ان التنظيم السياسى سواء كان حزبا أو لا ـ طليعيا كان أم جماهيريا أو هما معا ٠٠٠ فانه عادة ما يكون له تنظيمات جماهيرية مساعدة له ٠٠ تعتبر حلقات اتصال بين التنظيم السياسى والجماهير فى قطاعاتها ونوعياتها المختلفة ٠

ـ دائما يكون هناك تنظيم طليعى واحد ٠٠ ولكن يمكن أن يكون هناك أكثر من تنظيم جماهيرى له ٠

ـ العلاقة في الأساس توجد بين التنظيم الطليعي والتنظيمات الجماهيرية له ٠٠ ولكن لا توجد هذه العلاقة فى صورة تنظيمية بين التنظيمات الجماهيرية وبعضها البعض ٠٠

ـ المنظمات الجماهيرية المعروفة عادة ما تكون (تنظيمات للشباب ـ أو تنظيمات للنساء ـ أو تنظيمات نقابية ٠٠ الخ) ٠

ـ تنظيم الشباب ٠٠ دائما يكون تنظيم سياسى جماهيرى ٠٠ ويأخذ اهمية أكبر من باقى التنظيمات الجماهيرية الاخرى لسببين رئيسيين عدا اسباب فرعية أخرى وهما :

١ ـ أن التنظيم السياسى الشبابى عبارة عن شريحة تمثل فترةعمرية وسنيه معينة لكل الفئات والطبقات التى يمكن أن يشملها التنظيمالسياسى القائد (الكبير) ٠٠ ولهذا فهو أرقى من حيث النشوء من التنظيماتالعسائية التى تعتمد فى أساس تشكيلها على نوعية الجنس دون ما اعتبار آخر واشمل من التنظيمات النقابية التى تعتمد على تقسيم مهنى وتصنيف لنوعية العمل

٢ ـ حيث أن التنظيم السياسى الشبابى يمثل شريحة سنيه معينة (من ١٢ـ١٥ عام حتى ٢٥ـ٢٨ عام) تقريبا فى أغلب التنظيمات الشبابية فى العالم ٠٠ وبالتالى فهو يعتبر مدرسة أولية لتربية القيادات سياسيا ومنبع أصيل الا أنه يعتبر من خلال تلك النظرة تنظيم سياسى لحلقة أقل سنيا من عمر الانسان ٠٠ مما يعطى سيطرة وسيادة للعمل السياسىوبالتالى الحركة المنظمة للجماهير بدءا من عمر صغير حتى الكبر ٠٠

ـ ويتحتم على التنظيم السياسى الشبابى أن ينظر الى التنظيم السياسى القائد نظرة تقدير عن اقتناع وفلسفة معينة ٠٠ هذا لأن أى شاب طبقا لتصاعد عمره نحو الكبر فأنه سوف يترك منظمته الشبابية ويصبح عضوا فى التنظيم السياسى القائد فى مرحلة ما من عمره ٠٠ ومن هنا تبرز أهمية هذه النظرة الشاملة والتى يجب أن تتأكد فى كل وقت ٠

ـ يكون أسلوب ووسائل الارتباط بين التنظيم السياسى القائد والتنظيم الشبابى عادة من خلال النقاط الآتية : ـ

ـ ان التنظيم السياسى القائد هو الذى يقوم ببناء التنظيم الشبابى ٠

ـ الارتباط الفكرى ٠٠ من خلال ارتباط والتزام التنظيم الشبابى كتنظيم جماهيرى مساعد للتنظيم السياسى بنفس النظرية الثورية للتنظيم السياسى القائد ٠

ـ الارتباط التنظيمى ٠٠ من خلال تواجد ممثل للتنظيم الشبابى فى المستويات القيادية المقابلة للتنظيم السياسى القائد ٠

ـ الارتباط السياسى ٠٠ من خلال تكليف يكلف بتنفيذه التنظيم الشبابى من خلال برنامج عمل التنظيم السياسى القائد والذى يعتبر فى الغالب المصدر الرئيسى لخطة التنظيم الشبابى الخاصة ٠

مثال : حيث أن الاتحاد الاشتراكى العربى كما سبق يمثل تنظيما جماهيريا وطليعيا فى نفس الوقت ·· ولعدم اعلان أو استكمال التنظيم الطليعى حتى الآن ·· ولظروف اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى العربى ومنظمته الشبابية ·· فان العلاقة هنا تقوم أساسا بين الاتحاد الاشتراكى العربى كتنظيم سياسى وجماهيرى ومنظمة الشباب الاشتراكى كجناح شبابى له ·

البناء التنظيمى

ـ العضوية :

تشمل العضوية لأى تنظيم سياسى ثلاثة أنواع من العضوية وهى :

● **عضوية عاملة :** وهى التى تمثل قاعدة التنظيم المرتبطة به والملتزمة بتنفيذ واجباته ·· وهى بمثابة الارض الصالحة والمرتبطة والتى يمكن من خلال التحرك السياسى الواعى معها اكتشاف العناصر النشطة من بينها ·· وبالتالى يمكن أن نعطى للتنظيم أولى خطواته نحو امداده بالكوادر ·

● **عضوية منتسبة :** وهى التى تمثل قاعدة أخرى للتنظيم لديها فى الانضمام اليه واكتساب العضوية العاملة ·· والتى يصبح من الضرورى مع واجبات العضو العامل والقيادى المعروفة ·· التركيز على أهمها من حيث اعطاء جهد سياسى حول التجنيد السياسى لافضل العناصر من بين الجماهير والتى يصبح بتجنيدها عضوية منتسبة ثم عضوية عاملة بعد انقضاء فترة العضوية المنتسبة بصلاحيته ·

● **قيادات أو كوادر :** وهى الرصيد الذى يتواجد فى المستويات القيادية للتنظيم ··

● ان الحديث عن البناء التنظيمى والشكل الداخلى للتنظيم السياسى ينقلنا الى مناقشة العضوية وأسلوب التجنيد والدعوة ·· والتسجيل لهذه العضوية وهو ما سنتعرض له فى النقاط التالية :

● **التجنيد :**

هناك فرق بين الانضمام للتنظيمات المساعدة والتجنيد لعضوية التنظيم السياسى ، وأسلوب الضم قد يستخدم فى الجمعيات الخيرية أو النوادى الرياضية لا فى التنظيم السياسى ·· فالذى يقرر العضوية هو التنظيم السياسى ذاته لا الفرد ·

وعند التجنيد يراعى الآتى :

١ ـ تحقيق اتساع فى حجم وقاعدة العضوية بالتنظيم ·

٢ ـ تحقيق تركيب اجتماعى وسنى ونوعى وجغرافى متوزان للعضو مع وضع أولويات محددة فى التجنيد ·

٣ ـ تحقيق النفاذ الى وحدات جديدة ضمانا لوصول التنظيم الى كافة المواقع الجماهيرية ·

٤ ـ تدعيم العضوية بالتنظيم بالعناصر البارزة التى تتمتع بالجماهيرية والشعبية والتى تمثل انضمامها لعضوية التنظيم تدعيما لقاعدته وانطلاقا بالعمل السياسى نحو تحقيق أهدافه ٠

ـ أسلوبـــه :

ان أسلوب التجنيد يقوم على عدة أسس هامة :

١ ـ انه أسلوب سياسى أى أنه يتم بناء على رغبة التنظيم أساسا فى احتواء العناصر البارزة والجماهيرية بأسلوب الارتباط والاقتناع ٠٠ الخ ٠

٢ ـ ان الأعضاء الذين يقومون بالتجنيد هم العناصر النشطة من الاعضاء وهم الذين يتحملون هذه المسئولية الهامة ٠

٣ ـ ان العناصر التى يتم تجنيدها يجب ن تتوفر فيها عدة معايير منها:

ـ تفوقها فى مجال العمـل والانتـاج (التحصيل العلمى بالنسـبة للطلاب) ٠

ـ تمتعها بالجماهيرية داخل مواقعها ٠

ـ اشتراكها فى التنظيمات الجماهيرية المساعدة أو الاشكال التنظيمية المسـاعدة ٠

تمتعها بخلقيات ممتازة وسلوكيات اشتراكية ٠

٤ ـ ان الاسلوب الذى يتم من خلاله تجميد تلك العناصر انما يعتمد على الربط الشخصى والربط الفكرى بأهداف المجتمع وأهداف التنظيم والعمل السياسى من خلال حضور العنصر المجند لاجتماعات الوحدة ومشاركته لمجالات النشاط المختلفة بها ٠

٥ ـ ان أسلوب التجنيد هو أسلوب جماعى اذ يشترط لانضـــمام العضو الجديد تزكية مجموعة من العناصر النشطة وموافقة المســـتوى القيادى بالموقع ٠

٦ ـ قوم الوحدات ـ ضمانا لمتابعة عملية التجنيد ـ بعمل قوائم ربع سنوية بالذين تم تجنيدهم لرفعها للمستوى الأعلى ٠

٧ ـ ان مجالات المعركة المختلفة حقل خصب لانتقاء واختيار وتجنيـد العناصر البارزة كما أنها محك لاختيار صلابتها وايمانها ٠

● القواعد التنظيمية للتجنيد :

١ ـ من الذى يرشح ؟

عضوان من أعضاء التنظيم وتزكية من الاتحاد الاشـــتراكى العربى فى الموقـع ٠

٢ ـ من الذى يوافق ؟

اجتماع المستوى القيادى للموقع بالوحدة (امين وامين مساعد ولجنة قيادية) أو مقررى المجموعات القاعدية ٠

٣ ـ من الذى يزكى الترشيح ؟

يزكى الترشيح مستوى المركز أو القسم ٠

٤ ـ من الذى يقر الترشيح ؟

يقر الترشيح مستوى المحافظة ٠

٥ ـ مراسيم قبول العضوية :

لابد أن تكون هناك مراسيم محددة حتى يحس العضو أن هناك تقاليد للتنظيم يجب أن يعيها ويخدمها وتتحدد هذه المراسيم فى الأشكال التالية :

ـ **مراسيم قبول تنظيمية** : وذلك من خلال اصدار قرارات تنظيمية تحوى قوائم العضوية المقبولة ويقوم باصدارها المستوى المركزى (المحافظة)٠

ـ **مراسيم قبول سياسية** : وذلك من خلال اجتماع يضم القيادات حيث يتم قبول العضو فى التنظيم ويسلم بطاقة العضوية وشارته فى احتفال يخصص لذلك ٠

● **تسجيل العضوية :**

يستهدف نظام تسجيل العضوية تحقيق الأهداف التالية :

ـ وجود حصر تسجيلى دقيق للعضوية على المستويات المختلفة ٠

ـ تكامل البيانات التسجيلية بحيث تتضمن تصنيفا احصائيا تحليليا للعضوية من حيث النوع والتركيب السنى والاجتماعى والمهنى ٠٠ الخ ٠

ـ تطوير نظام التسجيل بحيث يصبح لا مركزيا مع الاكتفاء بالقوائم التسجيلية بالنسبة للمستويات الأعلى ٠

ـ الاعتماد على كروت العضوية المتحركة التى تسهل الى حد كبير نقل العضوية بكل بياناتها من وحدة الى أخرى تبعا للانتقال من جهة العمل بحيث تكون عملية التسجيل عملية مستمرة لا تنقطع بانتقال العضو الى وحدة اخرى بل تستمر مع العضو من بداية انضمامه للتنظيم وحتى تصعيده للتنظيم القائد ٠

ـ وجود تسجيل وحصر سكنى للعضوية حتى يمكن الاستفادة من هذا الحصر فى انشاء وتحريك وتدعيم الوحدات السكنية ٠

● وعادة يكون تسجيل العضوية الطبيعى على مستوى القسم وما عدا

ذلك من مستويات يكون اعداد وحصر واحصائيات والقسم هو المسئول عن تحويل العضوية وذلك لاعطاء مزيد من اللامركزية ٠

ب ـ الكوادر :

★ ان قضية الكوادر داخل التنظيمات السياسية تعتبر من أهم القضايا حيث لها الاولوية الأولى لأنها فى الواقع تمثل توفر العنصر القادر والمحقق لكل أهداف وأساسيات وخطة التنظيم السياسى ٠٠ وكما يقال ان التنظيم السياسى بلا كوادر ٠٠ تنظيم جامد غير قادر على الحركة أو التطوير « والكادر » هو العنصر القيادى الثورى القدوة فى سلوكه والقدوة فى نضاله والقادر على كسب ثقة الجماهير وتوجيهها فى اطار الوضوح الفكرى والالتزام الثورى والاشتراكى بنظرية التنظيم ومبادئه وبولائه لقيادته وجماهيره » ٠

★ وتعتمد سياسة اعداد الكوادر فى التنظيمات السياسية على أسلوبين كل منهما يكمل الآخر : ـ

ـ أسلوب ينفذ على المدى البعيد ٠٠ ويضمن الاستمرار ٠٠ وغالبا ما تكون وسيلته وأدواته لتنفيذ ذلك منظمات الشباب ٠

ـ أسلوب ينفذ فى فترات زمنية قصيرة ٠٠ ولمراحل وقتية ٠٠ وغالبا ما تكون وسيلته لتنفيذ ذلك هو اعداد القيادات من داخل التنظيم ذاته عن طريق مدارس أو معاهد الكادر ٠

★ **ويعتمد منهج العمل مع الكوادر** على دورة تمر فى العادةعلى ثلاث مراحل متتالية هى : ـ

ـ **العنصر النشط** : وهو المرحلة الاولى ٠٠ حيث يمكن اكتشافه من خلال عمل ومواقف ويشترط توافر ثلاث شروط رئيسية كحد أدنى فى العنصر النشط هى :

أ ـ قدوة فى السلوك وأداء جيد فى العمل ٠

ب ـ ميل طبيعى للخدمة العامة والعمل الوطنى ٠

جـ ـ عدم تعارض فكره أو تركيبه الاجتماعى والطبقى مع أهداف وبناء التنظيم ٠

ومن خلال برامج واعداد معين لهذا العنصر النشط يمكن أن ننتقل به الى المرحلة التالية ٠

ـ **احتياطى الكادر** : وهو ما يجب أن تتوافر فيه الوضوح الفكرى لنظرية التنظيم والنظرة العلمية للامور والحركة والمهارات المختلفة للعمل السياسى بالاضافة الى ضرورة وأهمية التأكد من التزامه خلال الممارسة والمواقف المختلفة التى يتعرض لها ٠

ـ **الكادر** : وهو المرحلة الأخيرة ٠٠ وسبق تعريفه ٠٠ وهو فى العادة

يجب تسكينه فى المستويات التنظيمية القيادية ·· واذا لم يتوافر هذا فيستفاد به فى اعمال فنية داخل هذه المستويات حيث أن وجوده داخل هيكل المستوى كقيادى أو كفنى يمثل فى الاساس ويطابق التعريف السابق للكادر ·

★ أما منهج اعداد الكوادر فيمكن تقسيمه الى ثلاث نقاط هي .

أ ـ **الاختيار والترشيح** : ويقصد به اختيار ثم ترشيح للعناصر النشطة سواء كانت عناصر سياسية أو فنية أو اداريه ·· والتى من خلال بعض التكليفات البسيطة والاولية يمكن التأكد من مطابقه الشروط الثلاثه السابقة والخاصة بالعناصر النشطة عليهم ·

ب ـ **الاعداد والتدريب** : وهو يعتمد فى الاساس على (جانب فكرى أو عقائدى مرتبط بفلسفه وأهداف نظرية التنظيم السياسى وجانب يدور حول المنهج والاسلوب العلمى سواء كان من حيث الفكر أو القوانين الموضوعيه لحركه المجتمع وجانب ثالث يتمثل فى الأسس والمفاهيم الرئيسية للعمل السياسى والمهارات التى تخدمه) بحيث يصل بهذه البرامج وهذا الاعداد والتدريب الى توحيد فكرى وتنظيمى مع التنظيم وأهداف وحركة قياداته وأعضائه ·

ويمكن أن يتعمق الاعداد والتدريب بالنسبة لاحتياطى الكوادر ذاتها بنوع من البرامج التخصصية العلمية والسياسية الكاملة ·

جـ ـ **التنمية والمتابعة والتسجيل** : وتم من خلال خطة خاصة للعمل واعداد الكوادر والتى يمكن أن تشتمل على الجزاء الخاص الضامن لتوزيع الكوادر وتنميتها المستمرة وتسجيل نموها من عدمه ·· الخ ·

ج ـ الهيكل التنظيمى :

يعبر الهيكل التنظيمى فى الواقع عن المستويات التنظيمية داخل التنظيم وهناك نوعان من المستويات ·

الأول : المستويات التنظيمية : وهى تبدأ من المستوى التنظيمى للوحدات الاساسيه (جماهيرية وسكنية) حتى المستوى المركزى وبالضرورة تحديد هذه المستويات من خلال النص عليها فى **لائحة التنظيم** ·

الثانى : أشكال تنظيمية مساعدة : وهى تبدأ جنوب (أسفل أو أدنى) من المستوى التنظيمى القيادى للوحدات الاساسية وتأخذ أشكالا عدة قد تكون جغرافية تصل حتى مستوى الورشة فى المصنع مثلا والفصل فى المدرسة والعمارة فى الشارع ·· وهكذا ·· وتأخذ أشكالا نوعيه للنشاط وليس بالضرورة أن يوجد نص فى اللائحة التنظيمية على الاشكال التنظيمية المساعدة بمعنى أن الهيكل التنظيمى فى الواقع يجب أن يعطى اجابة واضحه ودائمة على السؤال الهام وهو ما هى المستويات التنظيمية أو الاشكال التنظيمية المساعدة التى تكفل للتنظيم الوصول والالتحام مع كافة الجماهير وبالتالى السيطرة والتوجيه والتنظيم لحركة الجماهير فى نفس اتجاه حركة التنظيم ·

★ وفى الأساس يوجد ثلاثة مستويات تنظيمية داخل أى تنظيم سياسى لكل منها سمات معينة وهى : ـ

★ **المستوى الأول : المستوى القاعدى أو الأساس :**

ويتمثل فى المستوى التنظيمى القيادى للوحدات الاساسية « جماهيرية وسكنية » ويتميز بسمتين هما : التنفيذ والتحديد .. بمعنى أن الوحدة هى نقطة الالتقاء بين التنظيم والجماهير .. وطبقا لمفهوم العمل السياسى الوارد فى أول هذا الموضوع .. فانه مهما وضع من أفكار وبرامج وخطط عمل ففى النهاية دائما سيكون مصير ذلك هو ضرورة تنفيذ الافكار والخطط والبرامج من خلال هذا المستوى .. ومن هنا تبرز الاهمية الأولى فى كون هذا المستوى فى الواقع هو الذى يقوم بتنفيذ العمل السياسى بمفهومه الحقيقى .

أيضا هذا المستوى وكما تناولنا قبلا ونحن نستعرض العضوية .. هو المستوى الوحيد الذى من خلاله يمكن اكتشاف عناصر جديدة يمكن ضمها للتنظيم وبالتالى فهو المستوى الذى يضمن حيوية التنظيم المستمرة عن طريق تجديد واكتساب دم جديد له باستمرار ومن خلال هاتين السمتين يظهر لنا بوضوح أن العمل السياسى وتنفيذه .. وحيوية التنظيم لايمكن أن تتم الا من خلال هذا المستوى .. وبالتالى يتأكد لنا الاهمية الضخمة لهذا المستوى .

★ **المستوى الثانى : المستوى القيادى أو المركزى :**

ويتمثل هذا المستوى فى قمة التنظيم السياسى بمستوياته المتدرجة التنظيميه (مؤتمر مركزى) أو قومى .. لجنة مركزية .. لجنة عليا أو مكتب سياسى) ويتميز بسمتين وهما : ـ

التخطيط والمتابعة : حيث أن التنفيذ الذى أشير اليه فى البند السابق (المستوى القاعدى أو الاساسى) لا معنى له ان لم يكن تنفيذا ناتجا عن تخطيط كامل وشامل ومحقق لاهداف محددة بالاضافه الى أن التخطيط الذى يتم فى هذا المستوى والتنفيذ الذى يتم فى المستوى الأول القاعدى لم يكن معروفا صحة اتجاهه أو تقييم نتائجه أو تطوير أساليبه ان لم تكن هناك متابعة مستمرة للربط بين التخطيط والتنفيذ والملائمة بينهما .

من خلال هاتين السمتين تظهر لنا بوضوح أهمية هذا المستوى لأنها تكمل سمات وواجبات المستوى الأول القاعدى ..

وبهذه السمات أو الواجبات الأربع التى يتسم بها كل من المستوى القاعدى أو الأساسى والمستوى المركزى أو القيادى من حيث التخطيط والمتابعة والتنفيذ والتحديد .. يمكن أن تتم الدورة الدموية داخل التنظيم السياسى بطريقة صحيحة وفعالة .

★ **المستوى الثالث : مستوى الوسط :**

وهو المستوى الذى يعلو المستوى القاعدى أو الأساسى والذى يدنو

المستوى المركزى أو القيادى ومستوى الوسط وقد يكون درجة أو درجتين أو ثلاث درجات طبقا لظروف المجتمع الجغرافية وطبيعة تنظيمه ٠

وهذا المستوى فى الواقع لا يتسم بسمات معينة ولا يحمل واجبات محددة مثل المستويين السابقين ولكن تبرز أهميته فى اتجاهين ٠٠ أحدهما ايجابى والآخر سلبى ٠٠

الاتجاه الأول : وهو يقوم على المزيد من الربط وسرعة التوصل الهابط والصاعد وقدرة الربط ما بين التخطيط والتنفيذ والمتابعة٠٠اذ بهذا المستوى فى هذه الحالة يصبح اتجاهه ايجابيا بل ويصبح خادما لفاعلية التنظيم وقدرته على الحركة وتحقيق أهدافه ٠٠ ولكن من المحتمل أيضا أن لا يقوم هذا المستوى بواجبه من حيث الربط والاتصال والتنسيق بين واجبات المستوى المركزى والقاعدى وفى هذه الحالة يأخذ هذا المستوى الاتجاه السلبى لانه يصبح عازلا ومانعا بين المستوى المركزى والمستوى القاعدى أى بين التخطيط والتنفيذ والمتابعة ـ وبالتالى يصاب التنظيم بالشلل والجمود ٠

★ المستويات التنظيمية تتضمن شكلا واسعا وهنا يطلق عليها مؤتمرات وأيضا تتضمن فى داخلها شكل ضيق (غالبا متفرغة بعض عناصرها للعمل السياسى) وتسمى لجان أو مكاتب ٠

★ خطوط الاتصال بين الهيكل التنظيمى أى بين المستويات التنظيمية تكون عن طريق قيادة المستوى فى شكله الضيق (لجان أو مكاتب) ٠٠ وهذا الاتصال يأخذ اتجاهين أحدهما اتجاه رأسى والآخر اتجاه أفقى ٠

وبمعنى آخر يكون الاتصال ما بين مؤتمر المحافظة ومؤتمر القسم أو المركز عن طريق لجنة القسم أو المركز بلجنة المحافظة ٠

مثال : المؤتمر القومى العام واللجنة المركزية وقيادتها المتمثله فى اللجنة التنفيذية العليا تمثل المستوى المركزى أو القيادى للاتحاد الاشتراكى العربى ٠

ـ لجان العشرة بالوحدات الجماهيرية أو السكنية تمثل المستوى القاعدى أو الأساسى ٠

مؤتمرات ولجان الأقسام أو المراكز والمحافظات تمثل المستوى الوسطى ٠

★ أسلوب العمل مع المجموعات القاعدية :

يقوم الهيكل التنظيمى لبناء العضوية بالمنظمة على توزيع العضوية داخل الوحدات الأساسية التى تنقسم الى :

١ ـ وحدات سكنية (شياخات)

٢ ـ وحدات تعليمية ٠ وحدات جماهيرية

٣ ـ وحدات انتاج صناعى وخدمات

● أن تنشأ وحدة المنظمة بوجود ثلاثة أعضاء على الاقل ·

● يتشكل الهيكل للاعضاء على أســـــاس أعضاء منضمين لمجموعات قاعدية تضم الاعضاء العاملين والمنتسبين وتشكل كل مجموعة من ٣ : ٢٠ عضوا حسب ظروف العمل لكل وحدة ويتم تقسيمها على أساس التقسيم الادارى بالنسبة للوحدات السكنية التى تصل بالمجموعات حتى مستوى المربعات وجنوب المربعات والشياخات أو على أساس انتاجى فى الوحـدات الانتاجية الصناعية والخدمات التى يمكن أن تصل الى مســتوى مجموعات تتشكل لها لجنة قيادية فى العنبر أو القسم أو الوردية وذلك حسب شكل العمل أو على أساس مجموعات قاعدية على مستوى الصـفوف أو الســنوات الدراسية أو الاقسام التخصصية العلمية فى الوحدات التعليمية والطلابية والتى يتشكل لكل تصنيف منهـــا لجنه قيـــاديه تضـــم المقررين والمقررين المساعدين للمجموعات القاعدية داخل التصنيف الواحد ومن مجموع هـــذه اللجان القيادية تتشكل لجنة قيادية للوحدة سواء كانت سكنية أو طلابية أو انتاجية أو خدمات من مقررى اللجان القيـــادية للتصـــنيفات المختلفة ·· ومن بعضهم اذا كان عدد مقررى اللجان (المجموعات القاعدية) كبيرا حيث ان اللجنة القيادية للوحدة يكون عادة عددها متلائما مع حجم العضوية بالوحدة بشرط أن يتراوح بين ثلاثة الى عشرة أعضاء ·

(٢) المبادىء التنظيمية

ان المبادىء التنظيمية داخل التنظيم السياسى ليست مجرد شـــعارات بل انها فوق كونها ارساء لتقاليد وأدبيات للعمل الســـياسى الواعى المنظم فانها بواقع ممارستها الحقيقية والامينة والدءوبة قادرة على دفع فاعلية التنظيم وزيادة قدرة تأثير الحركة بين أعضائه وجماهيره ·· والمبادىء التنظيمية كثيرة ومتشعبة ولكننا سنتناول هنا المبادىء الرئيسية المتعارف عليها والتي وردت أساسا فى ميثاقنا الوطنى ·· وأكدتها تجربتنا السياسية والنضالية ·

(أ) القيادة الجماعية :

* وهى تعنى فى الواقع بديلا ديمقراطيا وصحيحا عن القيادة الفردية التى يمكن أن تتعلق فى أخطاء كثيرة ·· والقيادة الجماعية يجب أن يتضـــح مفهومها بوضوح وتحديد حيث أن الخلط فيها قد يؤدى الى خطأ وشـــلل فى العمل ·

* ان العمـــل أساسا يبـــدأ بفكرة أو هدف ويتدرج منهـــا الى خطة ومسئوليات تنفيذ ثم متابعة وتقييم ·· ومن خلال هـــذه المعـــادلة يمكن أن نوضح مفهوم القيادة الجماعية ··

ففى الفكرة والهدف والاتفاق حول الخطه ومسئوليات التنفيذ ·· يجب أن يسود مفهوم القيادة الجماعية ·· بمعنى مشاركة المستوى فى المناقشـــة

وابداءه لرأيه ديمقراطيا والخروج فى النهاية بحصيلة مثمرة لنتاج هذه المشاركة الجماعية فى النقاش فى صورة اتفاق وقرارات ونقاط محددة حول ما سبق مناقشته ٠

ثم يبدأ بعد ذلك تنفيذ خطة العمل ٠٠ وهنا يسود دور مسئولية الفرد أو أكثر مثل لجنة صغيرة حول التنفيذ طبقا لما تم فى اطار المناقشة السابق ٠٠ (تقسيم العمل ـ وتحديد المسئوليات الفردية فى اطار القيادة الجماعية) ثم يأتى دور المتابعة والتقييم للتنفيذ بالقسم لما تم تحقيقه من أهداف ٠٠ وهنا يسود مرة أخرى مبدأ القيادة الجماعية ٠

* ويتضح مما سبق أن القيادة الجماعية هى فى واقعها تهدف الى تربية الفرد على أساس من احترام العمل الجماعى ٠٠ وتأكيد الديمقراطية واتاحة الفرصة بخروج آراء وقرارات أكثر تعمقا نتيجة للمشاركة الجماعية وليس بأسلوب فردى ٠

وفى نفس الوقت لا تلغى مسئولية الفرد تجاه تنفيذ مسئوليات منوط بها مع التمسك بتطبيق هذا المبدأ وارتباطا بما تقدم يجب أن نشير الى دور الفرد القيادى فى مسئوليته فى اطار القيادة الجماعية :

ـ قدرة المستوى القيادى فى تحريك الحوافز والجوانب الايجابية لمجموعته مع معالجته الجوانب السلبية فى اطار سياسى وتنظيمى وزمنى ٠

ـ قدرته على عدم التحيز الشخصى أو العاطفى فى أى خلاف بين مجموعته وأن يكون قراره فوق أى اعتبار ومرتبط بالصالح العام للتنظيم ومبادئه ٠

ـ قدرته على الالتزام التنظيمى وتطبيقه والاتصال الامين والمنظم بين مستواه والمستويات الاعلى والادنى دون ما مزايدات أو مناقصات ، أى دون تقرب المستوى الاعلى على حساب المستوى الادنى ٠٠ أو تقرب المستوى الادنى على حساب المستوى الاعلى ٠٠

ـ قدرته على الاعطاء لزملائه عن طريق المشاركة ٠

ـ قدرته على تقسيم العمل واحساسه بالقدرات ووضع الخبرات والقدرات المناسبة فى مكانها السليم ووجود الترابط التنظيمى والانسانى بين هذه المستويات الناتجة من تقسيم العمل ٠

* ويخلص من هذا كله أن القيادة الجماعية هى أولى المبادىء الرئيسية التى يجب أن تمارس فى تطبيقها جديا ٠٠ حتى يصبح العمل ثمرة الجميع٠ والمناخ الديمقراطى متوفر وسائد ٠٠ وهذا لا يلغى المسئولية الفردية فى اطار هذه الجماعية فى القيادة الجماعية ٠٠ وتقع المسئولية الأولى لتنظيم ذلك على عاتق القيادة التنظيمية لكل مستوى تنظيمى ٠

(ب) النقد والنقد الذاتى :

النقد أداة يمكن عن طريق ممارسته كشف الأخطاء أو القصور ٠٠ وتصحيح العمل وتطويره ٠

والنقد بصفة عامة هو عملية ايجابية وحيوية ، ولكنه يجب أن يتضمن الاعتبارات التالية :

* النقد له وجهان دائما : (الجيد والردىء .. الصحيح والخطأ .. التكامل والقصور ..) وبالتالى يجب أن يتضمن النقد فى ممارسته كلا وجهيه . وليس واحدا دون الآخر .

* النقد قد يصبح عملية هدم وتشكيك .. دون أن يخدم معالجة الخطأ والقصور وتطوير العمل .. الخ . وفى هذه الحالة فانه لا يكون نقدا هداما فقط .. بل يصبح اتجاها مضادا .. وحتى نتفادى ذلك يجب أن يكون مصحوبا بالحلول والاقتراحات البناءة وحتى يصبح النقد بناء ويخدم هدفه ولا ينزلق فيصبح اتجاها هداما أو مضادا يجدر ان نراعى الآتى :

— أن يكون محددا دون ما مبالغة أو تعميم .. بمعنى انتهاج الموضوعية والعلمية والتحديد بعيدا عن الذاتية .

— أن يكون بعيدا عن التشاؤم أو التشهير .

— أن لا نقف به عند حد القصور أو الخطأ أو السلبية بل من الضرورة يجب أن يتجاوزه بتقديم الاقتراحات والحلول .

— أن يمارس بالتدرج .. وفى اطار وأسلوب اللائحة التنظيمية للتنظيم السياسى .

— أن يكون واضحا لدينا الفرق بين المبدأ والتطبيق .. وبالتالى فنقد الاهداف العامة الاستراتيجية أو التكتيكية لنا مثل « حتمية التحول الاشتراكى ، الاصرار على النضال حتى النصر ، وجود القطاع العام » هذه الأهداف والمبادىء الأصيلة لا تتغير ، وفى نقدنا لها هجوم وتصادم مع المبادىء والأهداف ومصلحة الجماهير والتنظيم وخطه العام .. ولكن بالنسبة للتطبيق مع الأخذ بما سبق من اعتبارات فانه يمكن أن يمارس النقد فى صورة بناءة وفى الاطارات والأساليب التنظيمية لذلك .

*** النقد الذاتى :**

فى العادة هو نقد عضو أو مجموعة أو مستوى تنظيمى .. لنفسه أو لعمل قام به فى شجاعة وصلابة .. ايمانا منه بضرورة هذه الممارسة لكشف الخطأ والاعتراف به والتأكيد على تجنبه وتصحيحه .. والنقد الذاتى بطبيعته .. مبدأ وممارسة تعمل على تربية القيادات وغرس روح الشجاعة ومواجهة النفس والمسئولية فى اطار موضوعى لصالح العمل ولصالح التنظيم .

بهذا نرى أن هذا المبدأ بشقيه (النقد والنقد الذاتى) والاعتبارات التى تضمن سلامة تطبيقه وصحة ممارسته .. هو فى الواقع تأكيد لديمقراطية العمل .. محافظا على ثورية التنظيم ووحدته .. مختصرا للوقت من حيث المعالجة والتصحيح والتطوير ، مدرسة للتربية التنظيمية .. تكسب الشجاعة والصلابة والمواجهة فى موضوعية .

● **الديمقراطية والالتزام التنظيمى (المركزية الديمقراطية) :**

ان هذا المبدأ يعتبر من أهم المبادىء على الاطلاق .. بل يقترب من أن يكون مقوما خاصا لمقومات التنظيم السياسى ... لأنه بالاضافة الى كونه مبدأ تنظيميا فان له فعلا ديناميكيا اذا توضحت مفاهيمه ، فانه يمكن بالممارسة والتطبيق مضاعفة فاعلية التنظيم فى حركته وتأثيره وبالتالى فى تحقيق أهدافه .

الديمقراطية : دون الدخول فى تفصيل تعريفها فهى تمثل الأساس والوسيلة التى تعبر عن جماهيرية التنظيم وحرية التعبير والمناقشة .. الخ. ويفهم ضمنا الديمقراطية هنا ـ ليست هى القصور الذى يحول فى بعض الأفكار الذاتية أو الخيالية فى أنها شىء تجريدى ليس له حدود أو قواعد .. وانها شكل بلا مضمون .

ولكن يقصد بها هنا الديمقراطية السياسية فى اطار المجتمع المتحول الى الاشتراكية فى اطار تنظيم سياسى له نظريته وبالتالى فلسفته وأهدافه وله مبادئه وقواعده من خلال لائحته التنظيمية .

المركزية : وهى تعنى الالتزام التنظيمى ... فى صورة اطاعة المستوى الأدنى للمستويات الأعلى واصدار القرارات من المستوى القيادى والالتزام برأى الاغلبية .. الخ . وقد يفهم للوهلة الأولى أو كما يحدث دائما من خلط بأنها تعنى الالزام . وحتى يمكن أن نتفادى ذلك فنتعرض للمعانى الآتية :

(الالزام) : هو الطاعة الادارية لتنفيذ شىء ما دون ما اقتناع ، وهذا المعنى أى الالزام بعيد كل البعد عما نقصده من الالتزام التنظيمى .

(الالتزام) : هو اقتناع فرد أو مجموعة بمبدأ أو فكرة أو قضية أو نظرية ثم الايمان بها والاستعداد للعمل من أجلها مهما كانت التضحيات والبذل .

(الالتزام التنظيمى) : وهو يعنى نفس المعنى الخاص بمفهوم الالتزام ولكن يضاف عليه أساسا أنه فى هذه الحالة محدد من حيث الاقتناع والايمان بنظرية التنظيم ولائحته التنظيمية والعمل على تحقيق برنامج عمله ... لأنه التزام تنظيمى من خلال اطار محدد وهو التنظيم السياسى .

ومع هذا كله فانه أيضا قد يفهم أنه يوجد قدر من التناقض بين مفهوم الديمقراطية والالتزام التنظيمى فى وجودهما معا ...

لكن الواقع يثبت أنها معادلة ذات شقين .. وأن الديمقراطية الملتزمة والالتزام التنظيمى المبنى على الديمقراطية ... كل شق منهما يعمل ميكانيكيا فعله ، ويتلوه الآخر وهكذا بالتوالى والتلازم لكلا الشقين .. والمهم هنا أن نعى الحقيقة فى عمل كل منهما وتوقيته الصحيح وممارسته السليمة ... بحيث ندفع بتطبيق هذا المبدأ ونحن نملك زمامه .. وبالتالى تتحول هذه الميكانيكية الى عملية ديناميكية تعطى للتنظيم فاعليته وقوته وصلابته .

مثـــال :

انتخاب لجنة العشرة فى الوحدة ·· يبدأ هذا العمل بأن يتقدم ثلاثون مرشحا مثلا للترشيح فى هذه الوحدة ويعقب ذلك :

* اعلان المرشحين عن أنفسهم ·· ودعوة الجماهير لتزكيتهم انتخابيا ·· ومناقشة الناخبين لكل اسم ورأى كل ناخب فى هؤلاء المرشحين ·· الخ هذه العملية أساسا ديمقراطية (أى يعمل الشق الأول من هذا المبدأ وهو الديمقراطية) ·

* فى يوم الانتخابات سيتقدم كل ناخب بحرية لابداء رأيه واختيار عشرة مرشحين من الثلاثين المتقدمين يعتقد من وجهة نظره أنهم الأحسن ويتم ذلك أيضا بصورة ديمقراطية وهذه عملية أساسا ديمقراطية ·

(أى يظل يعمل الشق الأول من هذا المبدأ) ·

* فى نهاية يوم الانتخاب وبعد التصويت ·· يجرى الفرز عادة ·· ويعلن عن العشرة الذين فازوا بثقة الجماهير ـ طبقا لقوانين ديمقراطية تعطى للأكثر فى عدد الأصوات المتحصل عليها حق الفوز مع مراعاة تمثيل الـ ٥٠٪ على الاقل من العمال والفلاحين وهكذا · (وهى أيضا استمرار لعمل الشق الاول لهذا المبدأ وهو الديمقراطية) ·

* بعد اعلان نتيجة الفرز واعتمادها وتولى العشرة لمسئولياتهم داخل الوحدة يظهر هنا الشق الثانى من المعادلة وهو الالتزام التنظيمى ·

مثال آخر :

* فى مستوى تنظيمى معين (لجنة أو مؤتمر) ·· ثم طرح موضـــوع معين ·· فانه يترك لحرية النقاش ، ويكون هناك ما بين مؤيد ومعارض ومجدد لفكرة ·· الخ ·

وهذه عملية ديمقراطية (الشق الأول من المعادلة) ·

* بعد وقت معين تقوم قيادة الجلسة بوضع الموضوع نتيجة لهـــذه لمناقشة فى صورة اقتراحات محددة ثم تطرح للتصويت على المستوى ·

وهذه عملية ديمقراطية (الشق الأول من المعادلة) ·

* بعد التصويت سوف يفوز أحد هذه الاقتراحات نتيجة حصوله على غلبية الاصوات وهذه عملية ديمقراطية (الشق الأول من المعادلة) ·

ـ بعد اقرار الاقتراح الفائز ·· يظهر الشق الثانى من المعـادلة وهو لالتزام التنظيمى ·· بمعنى أنه سوف يعمل كل المجتمعين على تنفيذ هـذا لاقتراح بصرف النظر عن رأيهم الشخصى السابق فى فترة النقاش فى هذا لاقتراح حتى ولو كانوا مختلفين ومخالفين له ··

* بهذه الأمثله التطبيقية يتضح لنا مثل هذا المبدأ بشقيه بطريقـــة يكانيكية متتالية ·· ولكن كما أشير سابقا الى أهمية هـذا المبـدأ فى أنه بس فى معرفته ولكن فى دفعـه للعمـل ·· بمعنى أن القيـادات يجب أن نضيف الى وعيها ·· ما هو التوقيت الصـحيح لممارســة الشـق الأول فى

المعادلة الديمقراطية مثلا ·· وفى خلال هذه الفترة تترك للديمقراطية الملتزمة حقها فى الممارسة ·· والا أصبح هناك نتيجة لذلك تسلط وفردية وبالتالى قصور وسلبية فى العمل السياسى ونتائجه ·

وفى نفس الوقت أيضا يعرف القيادى ما هو التوقيت الصحيح لممارسة الشق الثانى من المعادلة وهو الالتزام التنظيمى ·· وفى خلال هـذه الفترة يترك للالتزام التنظيمى حقه فى الممارسة ·· والا أصبح هناك نتيجة لذلك تميع وتسيب انفراط وسلبية فى العمل السياسى ونتائجه ·· ونخلص من هذا كله بضرورة التمسك بتطبيق هذا المبدأ بوعى وحزم دون ما تطرف فيه أو اغفال لشق من شقيه ·

ونخرج من هذه النقاط التى دارت حول التنظيم السـياسى بالتركيز والتأكيد على النقاط الرئيسية التالية :

١ ـ ان التنظيم السياسى ليس هدفا فى حد ذاته ·· بل الهدف هو نجاح العمل السياسى بمفهومه السابق ·· وهو يمثل لنا الوسيلة لذلك · بل الوسيلة الوحيدة والفعالة ··

٢ ـ ان التنظيم السياسى يستمد قوته وفاعليته من قدرته داخليا على تنظيم حركة أعضائه أولا ثم بعد ذلك ومترتبا عليه قدرته على تنظيم حركة الجماهير ككل ·

٣ ـ فى المراحل الأولى لبناء أى تنظيم ·· قد يـكون الجانب التنظيمى والتثقيفى فى العمل له الاولوية الاولى عما غيره من الجوانب الاخرى ··· ولكن يجب فى نفس الوقت أن نصل الى أن العمل السياسى وحده هو القادر عـلى التنظيم والارتباط مع الجماهير وبها ·

ثالثا : المهارات الأساسية لتحرك التنظيم السياسى

يتضح لنا فيما سبق عرضه فى الجزئين الاول والثانى من محاضرتنا هذه .. أنه حتى يكون هناك تنظيم سياسى فلابد أن تتوافر له مقومات معينة .. وكذلك لكى يتحرك هذا التنظيم السياسى فلابد أن تتوافر له أساسيات ومهارات وأساليب مختلفة تمكنه من الحركة العلمية السليمة مع الجماهير وبها ..

(أ) الهدف وأهمية وضوحه وتحديده :

لكل تنظيم سياسى طبقا للمرحلة النضالية التاريخية التى يمر بها المجتمع .. وفق اطار نظريته الثورية وواقع وأمل ما يبغيه لجماهيره دائما .. هدف عام ..

* هذا الهدف العام هو ما يسمى بالهدف البعيد « الاستراتيجى » .

* ينبثق من هذا الهدف العام أهداف مرحلية قريبة أو ما يطلق عليها اسم الاهداف التكتيكية .

* ما يرتبط بين الهدف العام الاستراتيجى والاهداف المرحلية التكتيكية من تفاصيل وقضايا جزئية واتجاهات رئيسية .. يسمى بالخط السياسى والذى تقرره القيادة السياسية .

* الهدف العام الاستراتيجى والهدف التكتيكى والخط السياسى .. جزء لا يتجزأ من قضية الالتزام التنظيمى .. على أن يؤخذ فى الاعتبار أن الهدف العام الاستراتيجى غير قابل للتغير لأنه أمل دائم ومتجدد (الاشتراكية سوف نسعى دائما لتحقيقها) أما الأهداف التكتيكية فهى متغيرة .

* عادة ما ينبثق عن الأهداف التكتيكية وسائل وأساليب محققة لها وهذه غالبا ما تعرف بالمهام الرئيسية وهى تختلف من موقع الى آخر طبقا لظروفه مثال تطبيق خطة الدفاع المدنى فانها تختلف من محافظة لاخرى ..

* ما يهمنا هنا هو أننا نعمل كقياديين فى أى مستوى تنظيمى عملا سياسيا ، أى نترجم ما سبق بما يوائم اطار علمى وهنا لن يكون هناك خلاف على الأهداف الاستراتيجية .

مثال : هناك هدف استراتيجى وهو وجود منظمة للشباب الاشتراكى وهناك هدف تكتيكى وهو اعادة بناء هذه المنظمة حتى تستطيع أداء دورها

فى مرحلتنا المصيرية لخدمة المعركة · فلو وقفنا عند هذا الحد فلن نستطيع أن ننهج الاتجاه السليم الذى يعطى للعمل السياسى وللتنظيم السياسى الفاعلية والحركة ، ولكن يجب بدورنا أن نبدأ بتحديد واضح للمهام الرئيسية لهذا الهدف التكتيكى فى اطار الخط السياسى ·

* ويمكن من خلال الأمثلة السابقة أن نطبقها بالنسبة لدور القيادى فى كل مستوى وبالنسبة لكل واجب أو خطة سوف يختلف الوضع من مستوى لآخر بمعنى أن مستوى القسم مثلا سيكون الهدف أكثر تفصيلا وتحديدا من الهدف على مستوى المحافظة وهكذا ·

* هذا التحديد والوضوح الموضوعى لهدف كل عمل سياسى ضرورى لتحرك العمل السياسى والتنظيم السياسى ·

* بعد تحديد ووضوح الهدف وهو جزء نحو أساس تحرك التنظيم يستتبع ذلك معرفة كيف يحقق هذا الهدف وما أسلوب ووسيلة تحقيقه ·· والجواب الوحيد أن الاداة الأساسية والوحيدة هى ما يعرف بخطة العمل السياسى ·

(ب) خطة العمل السياسى :

● ان خطة العمل السياسى تعتبر بالضرورة الاداة العلمية والتنظيمية المحققة للمهام الرئيسية والاهداف التكتيكية والخط السياسى للتنظيم ومصادرها الأساسية هى برنامج عمل التنظيم السياسى فى اطار نظريته وخطه السياسى وقرارات وتوجيهات القيادة السياسية العليا للتنظيم ، ولكن لتجدد مشاكل الجماهير وتغيرها ·· وللحركة الدائمة والمستمرة ، كل ذلك يجعل خطة العمل السياسى متجددة ومتتالية لكل فترة زمنية معينه ·

وخطة العمل السياسى من حيث الأساس والأسلوب يجب أن تأخذ بالتأكيد الاسلوب العلمى ·· كأى خطة عمل تهدف الى انجاز أهداف بأسلوب ووسائل صحيحة والوصول الى نتائج محسوبة ودقيقة ·

* الا أن من أهم ما يميز خطة العمل السياسى عن أى خطة علمية اخرى هو سمة عامة ومحددة من حيث أنها تنقسم الى ثلاث جوانب أو مجالات تخدم بعضها الاخرى ·· وتتأثر وتؤثر فيه وترتبط به ·

* ان الثلاث مجالات أو الجوانب المحددة والثابتة نذكرها تفصيلا ·· وهى :

- الجانب التنظيمى ·
- الجانب الفكرى والتثقيفى ·
- الجانب السياسى والانشطة ·

١ - الجانب التنظيمى - « مجال العمل التنظيمى » :

- هذا الجانب فى الواقع يمثل القاعدة والاعمدة الخرسانية لأى بناء

شاهق .. وبدونه يمكن أن يصبح البناء على رمال .. وبالتالى يمكن للبناء أن يتساقط فى أى وقت .

والعمل التنظيمى بالاضافة الى أن له قواعد علمية كتطبيق يحتاج الى قدرات فنية وخبرة وممارسه وهو يعنى فى الواقع المحرك الرئيسى للتنظيم فى حركته المخططة المنضبطة وتأثيره وارتباطه مع الجماهير .

ومهما قيل فيها من تعاريف مختلفة .. عليهم أن يجيب دائما على هذين السؤالين ؟.

* هل التنظيم يصل الى مواقع الجماهير .. وكيف ؟.

* هل التنظيم يدعم نفسه باستمرار بقيادات (كوادر) مرتبطة . وملتزمة وقادرة على دفع العمل وزيادة فاعلية التنظيم .. وكيف ؟.

هذان السؤالان يجب فى النهاية أن يجيب عليهما . فالعمل التنظيمى فى كل خطة يسعى دائما لتحقيق الاجابة عنهما .. وحتى يستطيع الجانب التنظيمى أن يجيب على ذلك .. فانه يتضمن داخله على كثير من العناصر ومجالات العمل .. من خلالها .. يمكن أن يعطى اجابات ونتائج مستمرة لهذين السؤالين .

* والعمل التنظيمى يشمل ويتضمن عادة ما يعرف :

١ ـ العضوية والاشتراك .

٢ ـ الكوادر .

٣ ـ الاجتماعات التنظيمية المقررة .

٤ ـ المتابعة والتقارير الدورية .

٥ ـ الاتصال .. والرأى العام .

٦ ـ البيانات والتسجيل .

٧ ـ الاستدعاء السياسى .

٨ ـ الرصد للاتجاهات أو العناصر المنحرفة والمضادة .

٩ ـ بعض الجوانب الادارية أو المالية .

٢ ـ الجانب الفكرى التثقيفى « مجال التربيه الفكرية والعمل التثقيفى » :

وهو الجانب من خطة العمل الذى يجب أن يخدم دائما خلق الوحدة الفكرية والعقلية من قيادات التنظيم وأعضائه ويسعى لدعمها وتدعيم بالمهارات والتنمية والصقل المستمر والمتجدد باستمرار .

بالاضافة الى ذلك فان هذا الجانب يجب أن يلعب دورا رئيسيا فى تعبئة الجماهير وحشدها حول التنظيم وأهدافه وخطه السياسى ، وفى نفس الوقت كشف القوى المضادة وأساليبها وطرق التصدى لها ..

من هنا تبرز أهمية هذا الدور وتكامله مع الجانب الذى سبق وهو الجانب التنظيمى ·· وبالفعل يفيد ما يصبح هناك وحدة تنظيمية وفكرية داخل التنظيم ·· يصبح التنظيم قادرا وفعالا تجاه واجبه الرئيسى وهو الجانب الثالث « جانب العمل السياسى » ، وفى هذا الجانب يجدر أن نشير سريعا لمجالاته وأساليبه ووسائله ···

والتربية السياسية عموما تستهدف الاعداد والتنمية بغرض خلق وحدة المفاهيم أو الوحدة الفكرية ، وأيضا تستهدف التعبئة من جانب الجماهير تجاه مواقف محددة ·· وسميت بالتربية السياسية للتفرقة بينها وبين أى نوع من التعليم الاكاديمى للعلوم السياسية والاقتصادية ·

والتربية السياسية تنقسم الى مجالين أو أسلوبين :

* **التربية الفكرية** : وهى تعنى اعداد القيادات أساسا ·· عن طريق اعطائهم الفكر الذى فى اطار النظرية الثورية للتنظيم ·· والمنهج والاسلوب العلمى للتفكير والحركة ·· والمهارات المختلفة لجوانب العمل السياسى ·

* **العمل التثقيفى** : وهو اما أن يقوم بتنمية قيادات سبق أن أعدت عن طريق أسلوب ومجال التربية الفكرية ··

أو أنه يقوم باعطاء وضوح ومعلومات حول مواقف واتجاهات محددة ·

والعمل التثقيفى يعتمد فى الاساس على المعلومات أكثر منه على اعطاء فكر ومنهج وأسلوب مثل التربية الفكرية ·

● **الوسائل المحققة لهذا الجانب أهمها :**

ـ المدارس أو المعاهد ··· وهى وسيلة مثلى فى اعداد القيادات والتربية الفكرية ·

ـ الدورات ··· وهى وسيلة مثلى فى العمل التثقيفى لتقوية القيادات·

ـ الفصول المسائية أو الحلقة الدراسية ·· وهى تملك مزايا الاثنين السابقين نسبيا ·

● **الاساليب المرتبطة بهذا الجانب ·· وأكثرها ممارسة هى :**

ـ **الحلقة النقاشية** : وهى أحسن الاساليب لخلق وحدة فكرية ··· وهى أسلوب أساسى فى اعداد القيادات ·

ـ **المحاضرة ··· الندوة** : ويستفاد بها حول اعطاء معلومات ووضوح تجاه مبدأ أو قضية أو موضوع ·· ولا غنى عنها فى العمل التثقيفى ·

ـ **الفترة التثقيفية** : وهو أسلوب غالبا ما يمارس داخل الاجتماعات التنظيمية وهو جيد لو أخذ طابع الحلقة النقاشية ·

وفى الغالب يستخدم هذا الاسلوب فى تلقين تثقيفى أو أجوبة ووضوح حول تساؤلات تجاه موضوع أو موقف أو قضية ·

وقبل أن نترك هذا الجانب (الفكرى والتثقيفى) من خطة العمل وننتقل الى الجانب الثالث (العمل السياسى) يجدر أن نشير بأن :

* الجانب التثقيفى يجب أن يكون فى خدمة الجانب التنظيمى طوال فترة بناء التنظيم ·· ثم ينتقل دوره بعد ذلك مع الجانب التنظيمى لخدمة الجانب السياسى ·

وهذه الملاحظة مع أهميتها لا تعنى أن يغفل الجانب التثقيفى عما يدور فى المجتمع ويؤدى دوره لانجاحها ·· ولكن يعنى أنه كأساس للتحرك الصحيح للتنظيم فانه فى فترة بنائه أو استكماله فان السيادة للعمل فى هذا التنظيم يجب أن يخدم الجانب التنظيمى بكل عناصره ومجالاته ·

* وأيضا نشير الى أهمية التثقيف الذاتى لقيادات التنظيم وأعضائه بشرط أن يكون نتيجته هو فى خدمة التنظيم وأهدافه وليس لخدمة ذات الفرد فقط ··

والتثقيف الذاتى لا يعنى فقط الالمام بالثقافة العامة أو ممارسة وقراءة التجارب الناجحة ·· الخ بقدر ما يجب أن يسير فى منهج متدرج معين حتى يفيد صاحبه وبالتالى يصبح قادرا على افادة الآخرين فى خلال تثقيفه الذاتى مع تحفظ رئيسى وأساسى وهو أثناء التثقيف الذاتى يجب أن يسترشد العضو أو القيادى عن طريق التنظيم السياسى بنوعيات ما يقرأ أو يأخذ ايضاحات عما يقرأ ·· كل ذلك حتى يكون التثقيف أداة تطوير وصقل ، ولكن بالضرورة فى خدمة تعميق وتأكيد فكر العضو أو القيادى والتزامه بطبيعة مجتمعه وأهدافه والخط السياسى للتنظيم · حتى لا يصبح التثقيف الذاتى مناخا يمكن أن تتصيده أى عناصر أو اتجاهات مضادة ·

٣ ـ الجانب الثالث من الخطة « جانب أو مجال العمل السياسى » والانشطة :

ودون تكرار ·· فان هذا الجانب اذا كان يمثل وسيلة فى حالات بناء التنظيم السياسى حيث تكون أهمية العمل وتركيزه وسيادته للجانب التنظيمى والتثقيفى فى هذه الحالة ·· الا أنه فى النهاية ·· وعند تكامل بناء التنظيم السياسى · فان هذا الجانب هو الغاية النهائية ·· والجوانب الاخرى يجب أن تكون دائما فى خدمته ·· ويتبلور فى خدمة الاهداف العامة للمجتمع والثورة والاشتراكية، وأهداف وحل مشاكل الشباب ·· وخدمة المعركة ·

● **أما جانب الانشطة فانه يتحدد طبقا للاهداف التالية :**

* ان وراء هذا النشاط حقائق رئيسية تكمن فى :

ـ ان للشباب ميولا واحتياجات أساسية تفرضها طبيعة مراحل نموهم المختلفة وان علينا أن نواجه هذه الميول والاحتياجات عن طريق اتاحة أوسع الفرص للشباب لممارسة برامج النشاط التربوى الموجه فى مجالاته المتعددة كوسيلة لمساعدته على تحقيق النمو المتوازن المتكامل فى النواحى البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية ·

ـ ان تجمعات الشباب الطبيعية خلال ممارستهم للانشطة المختلفة المحببة الى نفوسهم هى الميدان العملى الذى يسمح باكتشاف قدراتهم واتجاهاتهم ٠

ـ ان قدرة الشباب وطاقته على البذل والعطاء من أجل تدعيم المجتمع الاشتراكى وحمايته وتطويره تتناسب تناسبا طرديا مع ما يقدمه له التنظيم لمواجهة احتياجاته وميوله الطبيعية ولمساعدته على ادراك أساليب الحياة المتكاملة فى المجتمع الذى يعيش فيه ٠

ـ ان منظمة الشباب ـ وهى منظمة جماهيرية تسعى لتوسيع قاعدتها باستمرار لابد أن تتجه بحركة أعضائها الفعالة وسط جموع الشباب وفى مواقع اهتماماتهم الطبيعية فى الملاعب الرياضية والمعسكرات والرحلات والاندية ومراكز الشباب وقصور الثقافة ٠

ـ أن تتضمن الانشطة المجالات الآتية :

١ ـ النشاط الثقافى (الفنى والادبى والعلمى) ٠

٢ ـ النشاط الرياضى (المسيرات ـ الرحلات ـ المسابقات الرياضية المختلفة ـ معسكرات العمل والخدمة العامة) ٠

٣ ـ تدريب كوادر الانشطة واعداد البرامج الخاصة بالاعياد والمؤتمرات والمهرجانات ٠

هذا من حيث تفصيل سريع للجوانب الثلاثة للخطة والتى يجب أن تشملها أى خطة عمل سياسى ٠٠

ويجدر هنا أن نؤكد النقاط الآتية حول الاسلوب العام للخطة بجوانبها الثلاث :

* وهناك ترابط وتفاعل بين الجوانب الثلاث للخطة ٠٠ وتمثل وحدة واحدة ٠٠ وبالتالى يجب حينما نضع خطة عمل سياسى لتحقيق هدف معين أن تكون هذه النظرة الشاملة موجودة ٠٠ ولا يصح مطلقا أن يكون هناك انفصال حول واجبات تنفيذ هذا الهدف بالنسبة لكل جانب على حدة ٠

* الخطة عموما فى جوانبها الثلاث يجب أن تنتهى الى (هدف + تنفيذ يتضمن أسلوب ووسائل معينة للتنفيذ + برنامج زمنى عبارة عن مراحل وتوقيتات زمنية تحدد كل خطوة من خطوات التنفيذ + اسلوب متابعة + نتائج وتقييم) ٠

هذا ويوضع فى الاعتبار داخل هذه المعادلة السابقة أهمية تحديد كل مستوى من حيث مسئوليته فى التنفيذ أو المتابعة أو التقييم (سواء كان فردا أم جماعة) ٠٠ أى يجب ابراز أهمية المحاسبة ثوابا وعقابا ٠

* يجب أن نراعى دائما أن كل خطة عمل هى حلقة فى سلسلة يجب أن تبدأ من حيث انتهت نتائج الخطة السابقة وتسير بها حتى وضع الخطة التالية لها ٠٠

* خطة العمل أولا وأخيرا دائما تقاس بشيئين :

– مدى امكان تنفيذها ..

– تقييم نتائجها بالنسبة للهدف وبالاخص ما فعلنه حول ربط التنظيم بالجماهير وتنظيم حركتها والتقدم بها .

● **كيف تضع خطة .. وما هي مصادرها وعناصرها ؟. :**

ان وصولنا الى معايير محددة على أساسها يتحدد الشكل الذى يمكن أن نضع به خطة عمل فى وحداتنا بعد اتفاقنا على أن خطة العمل السياسى تعتبر محققة للمهام الرئيسية والاهداف التكتيكية .

مصادر الخطة :

١ – برنامج عمل التنظيم السياسى من خلال قراراته وفى اطار نظريته وخطه السياسى كاطار عام مركزى .

٢ – الواقع الموضوعى والميدانى للمجتمع ككل والبيئة وحجم وقدرة المنظمة .

٣ – التناسق مع أهداف وقرارات التنظيم القائد (الاتحاد الاشتراكى العربى) وتنفيذ تكليفاته .

٤ – الاستفادة من مخططات المؤسسات الاخرى المعنية بالشباب فى اجهزته المختلفة .

وعادة ما تكون الخطة على فترات زمنية تتراوح ما بين السنة والستة شهور واثلاثه شهور .

يتم بعد ذلك ترجمة الخطة طبقا للفترة المحددة فى الاطار المركزى الى توجيهات وخطة تفصيليه كالتالى .

أهم شيء يمكن أن يعوق خطة العمل السياسى ويجعلها شيء أصم معوق لحركة التنظيم السياسى فى حين أنها اداة لازمه لتحقيق أهدافه هو مدى قدرتنا بتوصيل التوجيه العام الى قرار خاص (أو ما يعرف بترجمه القرار المركزى مثلا خطة على مستوى المحافظة) (وترجمة جعله المحافظه خطة على مستوى الاقسام والوحدات) .

وان كانت ترجمة القرار والخطط أداتها الوحيدة والاساسية هى الكوادر الا أنه توجد عدة وسائل باتباعها وتطبيقها يمكن أن نصل الى الترجمة الصحيحه لاى قرار .. وهى

* يجب على المستوى المعين أن ينظر الى القرارات ويدرسها على أنها واجبة التنفيذ فى اطار موقعه وصلاحياته .. ومن هنا ستكون المناقشة والتفصيل من العام الى الخاص .. من التصور النظرى الى التصور التنفيذى والتفصيل فى اطار خصوصية هذا الموقع وظروفه وصلاحيته .

* الوصول الى تجزىء القرار أو الخطة الى جزئيات تفصيلية أصغر فى حجمها ولكن أعرض فى تفصيلها ٠

ويتبع على جزئيات هذا القرار والخطة نفس الخطوة السابقة :

* يحدد المستوى المسئول عن التنفيذ بالنسبة لكل عنصر مجزأ ٠٠ والتصور المطلوب للفترة الزمنية فى انجاز هذا التنفيذ ٠٠ كل ذلك فى اطار ظروف وموضوعية الموقع والمستوى المسئول عن التنفيذ ٠

* يجب أن تنتهى الترجمة فى النهاية الى خطة لا تصلح من حيث التنفيذ فقط الا لهذا الموقع الذى قام بهذه الترجمة أو نسبيا للمواقع المشابهة له ٠

شبكة الاتصال داخل التنظيم

لا يتم بناء التنظيم ما لم يتضمن هذا البناء وجود شبكة للاتصال قادرة على نقل التوجيهات العامة والتكليفات من المستويات العليا الى المستويات الدنيا وتصعيد الاحاسيس وأفكار وآراء الجماهير من القواعد العريضة الى كافة مستويات التنظيم ٠٠ أى أن شبكة الاتصال داخل التنظيم هى التى تحمل نبض الحياة والحركة والنشاط داخل التنظيم وهى معيار هام لامتحان مستوى الانضباط بين الاعضاء ومدى تمسكهم بروح الالتزام فى العمل السياسى ٠

وشبكة الاتصال فى أى تنظيم لا تولد كاملة وانما تنمو داخله نموا تدريجيا حسب الاحتياجات المتزايدة للعمل السياسى وحسب النمو المطرد فى هيكل التنظيم ، وكذلك تتطور تطورا نوعيا بحيث تتباين أسلاكها ووسائلها بصورة تسمح باستخدامها وفاعليتها فى كافة الظروف والطوارىء، فشبكة الاتصال قد تستخدم أسلوب الاجتماع أكثر من الكلمة المكتوبة والكلمة (المنقولة) كالتليفون أو التجميع القيادى أو السكنى ٠

وتتكون شبكة الاتصال ـ عادة ـ من الوسائل (أو الاسلاك) التالية :

- الاجتماعات المقررة ٠
- التقارير الدورية ـ والمتابعة الميدانية ٠
- البلاغ اليومى المنظم ٠
- الاستدعاء السياسى ٠
- النشرات الدورية :

● أهدافها :

١ ـ تحقيق الارتباط بين كافة الاعضاء ومستوياتها المختلفة ٠

٢ ـ نقل توجيهات المستوى الاعلى الى المستوى الادنى ٠

٣ ـ تصعيد أحاسيس ونبض المستوى الادنى الى المستوى الأعلى ٠

٤ ـ رصد وتوجيه حركة التنظيم على جميع المستويات بما يضمن :

(أ) انضباط الحركة داخل التنظيم ٠

(ب) وحدة الحركة للتنظيم من القاعدة ٠

٥ ـ ضمان الاستفادة من الخبرات والتجارب الرائدة لكافة المستويات٠

١ ـ الاجتماعات التنظيمية المقررة

المضمون الحقيقى للاجتماعات الديمقراطية أنهـا تتيح للفرد فرصة التعبير الحر عن أفكاره وطرحها للمناقشة والحوار ومن خلال انتحام الافكار وتصارعها نصل الى قرارات تجمع الافكار المتباينة فى عجينة واحدة يقبلها المجموع أو تؤيدها الاغلبية ويلتزم بها المجموع وذلك فى اطار المبادىء والاسس والاساليب التنظيمية ارتكازا على الديمقراطية المنظمة الملتزمه ٠٠ ومهما تنوعت الاجتماعات فى أشكالها وأهدافها فانها تخضع من حيث طريقة ادارتها لقواعد وآداب محددة ما ينبغى أن يكون أفراد التنظيم على وعى كامل بها وأن يلتزموا بها ولا يكفى الاستيعاب النظرى لهذه القواعد بل ينبغى تثبيتها بين الجماعات من خلال الممارسة والرقابة الدائمة والنقد حتى تصبح جزءا من سلوك الجماعة بل وسلوك الجماهير ٠

(أ) أهميتها :

ـ تدعيم الارتباط بين كافة المستويات ٠

ـ تحقيق الالتقاء المشترك بين المستويات المختلفة ٠

ـ عرض مشاكل العمل ومحاولة ايجاد الحلول لها ومتابعة ذلك باستمرار ٠

ـ العمل الجماعى وممارسة النقد والنقد الذاتى ٠

ـ نقل الخبرات وتبادلها مما يضمن الحيوية والحركة داخل التنظيم ٠

(ب) دورة الاجتماعات :

تأخذ الاجتماعات الدورة التالية :

ـ ما قبل الاجتماع ٠

ـ أثناء الاجتماع ٠

ـ ما بعد الاجتماع ٠

*** ما قبل الاجتماع :**

ـ اعداد مشروع جدول الاعمال لدراسة جوانب العمل الثلاثة وأن

يكون هناك نقاط محددة لكل بند ، ولتقييم العمل في الفترة ما بين الاجتماعين ووضع خطة المرحلة القادمة .

– أن تعد دراسة للموضوعات التي ستعرض في الاجتماع وأن ترسل وبرفقتها مشروع جدول الاعمال الذي يجب أن يكون متضمنا بيانا بالآتي :

مكان الاجتماع – موعد الانعقاد : اليوم – الساعة .

موضوع الاجتماع أو جدول الاعمال .

ويمكن متابعة الاخطار بالاتصالات التليفونية للتأكد من وصوله في الوقت المناسب .

– أن يكون مشروع جدول الاعمال في حدود الوقت المحدد .
– أن يكون واضحا لا غموض فيه .

– أن يكون جدول الاعمال حلقة تربط الاجتماعات السابقة بالاجتماع المقبل .

– أن يتم اعداده بالاتفاق بين رئيس الاجتماع ومن يتولى السكرتارية مع الالتزام بقرارات الاجتماع السابق فيما يتصل بالمسائل المطلوب ادراجها

*** أثناء الاجتماع :**

– أن يحضر المستوى القيادي قبل موعد بدء الاجتماع .

– ضرورة بدء الاجتماع في موعده المحدد مهما كانت الاسباب .

– أن يكون المستوى القيادي هو رئيس الاجتماع وسكرتيره اللذان يتحملان مسئوليات محددة مما يجعل أدائهما لهذه المسئوليات والطريقة التي يتم بها هذا الاداء أمرا حيويا لنجاح الاجتماع .

فرئيس الاجتماع مسئول عن حصر الحاضرين للتأكد من صحة الانعقاد فاذا كان الانعقاد صحيحا فانه يعلن استمرار الانعقاد ويكلف السكرتير بقراءة جدول الاعمال ، ويجب على رئيس الاجتماع أن يراعي القواعد والآداب المرعية وأن يكون مستعدا عند نشوب خلاف أن يقدم الرد الصحيح الشافي باستمرار ، وسكرتير الاجتماع مسئول عن تدوين ما يجرى في الاجتماع ، وأن يسجل ما يتخذ من قرارات كما أنه مسئول عن مباشرة المراسلات وكتابة محضر الاجتماع .

– أن تكون المناقشة في اطار جدول الاعمال طبقا للآتي :

هناك قواعد أساسية ينبغي أن نلتزمها في المناقشة وهي تؤلف في مجموعها ما يمكن أن نسميه « آداب المناقشة » والتي تقوم أساسا على تبادل الافكار والتجارب والخبرات والآراء من أجل اتخاذ قرار موحد ويجب أن تكون سعيا دائبا للكشف عن الحقيقة وتوحيد الفكر وتحديد عمل مشترك وهذا يضع أمامنا عددا من القواعد الاساسية للمناقشة :

(أ) ضرورة احترام حق الآخرين فى التعبير عن آرائهم .

(ب) قبول تعديل الرأى والآراء من خلال المناقشة للوصول الى رأى أكثر نضجا باستمرار .

(جـ) الالتزام برأى الاغلبية وقرارها النهائى .

وتنبثق عن هذه القواعد مسئولية رئيس الاجتماع فى تنظيم حق الكلام بين الحاضرين حسب ترتيب طلب الكلمة ، ومنع المقاطعات الا فى حالات الطلب على أساس (نقطة النظام) ويقصد بها حق العضو فى :

- طلب تصحيح .
- طلب معلومات
- رد المتحدث لخروجه عن الموضوع المطروح .
- تكرار المتحدث لموضوعات نوقشت قبلا .

ويجب التنبيه لكل محاولة لاساءة استعمال هذا الحق أو المبالغة فى استخدامه لمنع تقدم المناقشة نحو نتائجها الحتميه .

* ويمكن الوصول الى قرارات عن طريق

- يبدأ القرار بفكرة أو اقتراح ايجابى أساسى حول الموضوع المطروح على بساط المناقشة .

- يجب على رئيس الاجتماع أن يتيح الفرصة لصاحب الاقتراح لكى يوضحه ويدعمه بالاسانيد والحجج التى يراها .

- يفتح باب المناقشة حول الاقتراح المقدم على أن يعطى الكلمة لمؤيد ويتبعه بمعارض .

- يسمح فى خلال هذه المناقشة بتعديل القرار الاصلى وتعديل التعديل بحيث ينمو الاقتراح نموا مطردا خلال المناقشة الى أن يصل الى مرحلة التصويت عليه .

- يراعى الانتهاء من مناقشة كل تعديل على حدة والتصويت عليه (اذا كان ذلك ضروريا) مثل اقتراح تعديل آخر .

- يصاغ الاقتراح على أساس التعديل المقبول ثم تبدأ المناقشة حوله من جديد فى مسيرة فكرية صاعدة بين مؤيد ومعارض الى أن يتم التصويت النهائى عليه .

- يجب أن يكون جو الاجتماع انسانيا بعيدا عن العوامل المنفرة .

- تسجيل ما دار فى الاجتماع .

- الوصول الى قرارات محددة فى كل بند من بنود جدول الاعمال .

- تبليغ لجنة الاتحاد الاشتراكى على المستوى المقابل بموجز لأهم ما دار فى الاجتماع عن طريق أمين الشباب فى المستوى .

كل ذلك فى اطار وبشرط عدم خروج أى قرار أو توصية عن أهداف الخط السياسى للتنظيم ٠

*** ما بعد الاجتماع :**

اعداد محضر الاجتماع بحيث يتضمن :

ـ الحضور ـ الغياب باذن ـ الغياب بدون اذن ٠

ـ جدول الاعمال ٠

ـ موجز لما أسفرت عنه المناقشات فى كل موضوع تم عرضه ٠

ـ التوصيات والمقترحات والاستفسارات المرفوعة للمستوى الاعلى ٠

ـ حصر التكليفات والقرارات وتحديد أسلوب متابعتها ٠

ـ ضرورة قيام المستوى الاعلى بتحليل المحاضر المقدمة والرد على المستوى الادنى قبل موعد الاجتماع التالى ٠

٢ ـ المتابعة

أ ـ أهداف المتابعة :

١ ـ ضمان تنفيذ خطط وبرامج العمل من خلال النزول الفعلى والمشاركة فى تدعيم العمل لضمان التطبيق السليم للخطة الموضوعة ٠

٢ ـ نقل وتعميم التجارب الرائدة ٠

٣ ـ تدعيم العلاقات التنظيمية والانسانية بين القيادات والقواعد وتحقيق التلاحم بينها ٠

٤ ـ تحديد مشاكل العمل ومعوقات التنفيذ والمشاركة فى حلها والعمل على التطوير المستمر لاساليب العمل بما يضمن تحقيقها الى أقصى ايجابية ممكنة ٠

٥ ـ اكتشاف ومتابعة الكوادر والعناصر النشطة ٠

ب ـ مستويات المتابعة :

١ ـ لجنة المحافظة ومسئولى المناطق لمتابعة الاقسام والوحدات متمثلا فى أعضاء لجنة المحافظة وسكرتارياتها النوعية والفنية ومسئولى المناطق ٠

٢ ـ لجان الاقسام لمتابعة الوحدات الاساسية على أن يحدد جدول بالوحدات التى يتولى متابعتها أعضاء السكرتارية لتحديد المسئوليات به ٠

٣ ـ اللجان القيادية للوحدات وهى التى تقوم بمتابعة العمل اليومى بالمجموعات القاعدية ٠

ج ـ اسلوب المتابعة :

١ ـ المتابعة من خلال التقارير وتعتمد على :

* تحليل كافة أنواع التقارير (الشهرية والربع سنوية) مع رصد التجارب الرائدة والمبادرات وتحديد مشاكل العمل ومعوقاته ومقترحات حلها ·

* تحليل محاضر الاجتماعات ·

* ارسال التوجيهات والملاحظات حول تلك التقارير والمحاضر الى المستويات الادنى ضمانا لحسن سير العمل وتوجيهه وضمان التنفيذ السليم للخطة ·

* يقوم كل مستوى باعداد ملف للمستويات الادنى يضم كافة التقارير المقدمة منها كما يتضمن تحليلا لها ولمحاضر اجتماعاتها ولكل مجالات نشاطها بحيث يمكن الرجوع اليه قبل النزول للمتابعة الميدانية ·

٢ ـ المتابعة الميدانية وتعتمد على :

* زيارة ميدانية لمواقع العمل ولقاءات مع أعضاء التنظيم فى الوحدات أثناء عملهم وأثناء مزاولتهم لنشاطهم السياسى ولا يجب أن تقتصر تلك الزيارات على الاجتماعات ·

* معايشة كاملة للمستويات المتابعة مع المشاركة الفعالة فى حل مشاكل العمل اليومى ·

* لقاءات مع العناصر النشطة ومجموعة النشطاء ·

* اشتراك القائمين بالمتابعة فى بعض الانشطة مع الوحدات التى تجرى متابعتها ·

* دورات ولقاءات لتبادل الخبرات ·

٤ ـ دورة المتابعة :

ـ يقوم كل مستوى بوضع برنامج زمنى للمتابعة ·

ـ يحدد مع البرنامج (كارت للمتابعة) يتضمن أهم الواجبات التى تتضمنها الخطة ·

ـ يقوم كل مستوى مشترك فى المتابعة بعد انتهاء المتابعة بتسجيل نتائج المتابعة مع التركيز على مشاكل العمل وأسلوب حلها والتجارب الرائدة والمبادرات ·

ـ يقوم كل مستوى من واقع تحليل نتائج متابعته باخطار المستوى المتابع بتوجيهاته لضمان حسن سير العمل ·

٣ ـ التقارير الدورية

١ ـ اهميتها :

تسجيل حياة التنظيم ونشاطه وحركته وسط الجماهير وينفرع من ذلك أن التقارير ليست عملية مكتبية بل هى جزء لا ينفصل عن العمل التنظيمى والتثقيفى والسياسى ٠

*** الاهمية التنظيمية للتقارير :**

ـ تساعد على دعم الارتباط بين مستويات التنظيم ٠

ـ متابعة نزول التوجيهات الصادرة من المستوى الاعلى ٠

ـ الكشف عن أى خلل داخل المستويات الادنى ٠

ـ رصد العناصر البارزة والعناصر السلبية ٠

*** الاهمية التثقيفية للتقارير :**

ـ تبادل الخبرات من خلال ما يرد به من تجارب رائدة وأساليب جديدة

ـ ضمان سير العمل فى الاتجاه المحدد له وتحديد ابعاده وأسلوب توجيهه ٠

*** الاهمية السياسية للتقارير :**

ـ عرض المشاكل من خلاله ٠

ـ ممارسة النقد والنقد الذاتى ٠

ـ التعرف على معدل انجازات العمل بالنسبة للخطة ٠

ـ ضمان سير العمل فى الاتجاه المحدد له وتحديد أبعاده وأسلوب توجيهه فى العمل السياسى ٠

٢ ـ الشكل الصحيح للتقارير : (يجب أن يكون موحدا لكل مستوى) ٠٠

ـ أن يكون نموذجا مبسطا ٠

ـ أن يعتمد على العرض الاحصائى ٠

ـ أن يعتمد على التحليل لما جاء به ٠

ـ الدقة العلمية الكاملة والامينة ٠

ـ أن يستمد مصادره من المستوى الادنى وان يراجع جماعيا ٠

ـ مناقشة المستوى الاعلى للتقارير المقدمة من المستوى الادنى مع دراستها ومطابقتها على الخطة وتوجيه العمل ٠

٣ ـ دورة التقارير :

تتحدد دورة التقرير فى :

استقبال ـ اعداد ـ دراسة ـ تحليل ـ توجيه ـ حفظ .

ـ أن يتم استقبال التقرير ومراجعته على المستوى الذى يقدمه .

ـ أن يتم اعداد التقرير بناء على مصادر التقارير الواردة من المستوى الادنى .

ـ يتم دراسة التقرير ومطابقته للخطة .

ـ توجيه العمل من خلال ايجابيات وسلبيات ما جاء بالتقرير .

ـ حفظ التقرير بعد رصد ما جاء به فى سجلات خاصة .

٤ ـ الرأى العام وأهميته وكيفية استطلاعه

مفهوم الرأى العام :

هو الرأى السائد بين مجموعة أو فئة أو جماعة ما . ويصحبه اتخاذ موقف معين تجاه قضية أو ظاهرة أو حدث من الأحداث .

أهميته :

تأتى أهمية وخطورة الرأى العام من كونه يمثل رأى الجماهير أو قطاعات منها أو نوعيات داخل هذه القطاعات .

المؤثرات :

الرأى العام يلعب دورا فى تشكيله أو التأثير عليه عدة مؤثرات يجب التعمق فى دراستها وصولا الى تحديد الاسلوب الذى يعمل على حمايه الرأى العام من الاتجاهات المضادة والتأثيرات الذاتية الانفعالية وأهم هذه المؤثرات :

١ ـ الاوضاع الاجتماعية :

لا شك من تأثير مواقف الأفراد وسلوكهم وبالتالى الرأى العام بالاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وما تعارفوا عليه من عرف وتقاليد وما ارتضوه من قوانين وانظمة .

٢ ـ الاحداث :

ان الاحداث بكل أبعادها تعتبر موضوعا للرأى العام تدور حولها الاتجاهات تأثيرا وتأثرا .

٣ ـ الشائعات والنكت السياسية :

تلعب دورا فى التأثير على الرأى العام وهى سلاح مدمر حينما تحسن القوى المضادة استخدامه للتأثير على الرأى العام .

٤ ـ العوامل النفسية :

وكما تلعب العوامل النفسية دورا فى تحديد وتوجيه سلوك الافراد فهى تلعب نفس الدور بالنسبة للرأى العام باعتباره محصلة آراء مجموعة من الأفراد ٠

٥ ـ أجهزة الاعلام والدعاية :

وهما من أدوات التأثير على الرأى العام الهامه بما لها من أساليب متعددة تستخدمها لتوجيه مواقف الأفراد والجماعات ٠

وتأتى أهميتها من ارتباطها بحياة الجماهير اليومية واعتماد مجموعات كثيرة من الأفراد عليها فى استيضاح أمر من الامور أو تحرى حقيقة من الحقائق وكثيرا ما يبنى الشخص آراءه على حصيلة ما خرج به من وسائل الاعلام والدعاية وهما سلاح خطير اذا ما أسىء استخدامه ٠

رابعا : اهمية قياس اتجاهات الرأى العام :

تأتى أهمية قياس اتجاهات الرأى العام من المواقف التالية :

١ ـ تحتاج القيادة المرتبطة بجماهيرها المعبرة عن آرائها وآمالها أن تتعرف على آراء الجماهير ومواقفها تجاه القضايا والأحداث والظروف التى تجابهها ٠

٢ ـ الجماهير فى حاجة لمن يضع أمامها حقائق الأمور موضحا لها الظروف تحصينا لها من مواجهة المؤثرات المضادة والاتجاهات السلبية التى تريد أن تتسلل الى مواقع الجماهير بهدف ضرب خطها السياسى ٠

٣ ـ القيادة المعبرة عن آمال الجماهير تقتضى توفير العدالة والرفاهية لها فهى تعمل على التعرف على مشاكلها ومطالبها فتعمل على ازالة هذه المشاكل والاستجابة لهذه المطالب ٠

٤ ـ أن هذا كله يتكفل به تقرير قياس اتجاهات الرأى العام الذى يعبر عن اتجاهات ومواقف الجماهير بصدق ووضوح وأمانة والتنظيم السياسى فى مجتمعنا هو تنظيم الجماهير وأداتها فى تحقيق أهدافها وصولا لمجتمع الكفاية والعدل ٠

٥ ـ الاستدعاء السياسى

اهميته :

* يقصد بالاستدعاء السياسى بانه التجمع المفاجىء من أجل اعطاء واجبات عمل عاجلة فى ظروف طارئة ٠٠ طبقا لتكليف القيادة السياسية ٠

ويستخدم كوسيلة لامتحان اليقظة الثورية لدى القيادات واختبار شبكة الاتصال بكل أشكالها ٠

ويجرى الاستدعاء عادة بصدور أمر من القيادة أو المستوى الأعلى يحدد فيه التجمع ومكانه وعدد المطلوب تجمعهم وموعده ٠

ويجب أن يراعى أن يكون وراء كل استدعاء سياسى هدف محدد منه يخدم أهداف التنظيم ٠

جـ ــ الاهتمام بحصر وربط التنظيمات الجماهيرية المساعدة بالتنظيم السياسى :

أن الجماهير فى النهاية موجودة داخل أشكال أو مؤسسات معينة ٠٠٠ فمثلا فى تنظيمات مساعدة « شباب ــ نساء ــ نقابات » أو أشكال تنظيمية مساعدة أو كما تسمى مواقع الاتصال بالجماهير « جمعيات ٠٠ أندية ٠٠ هيئات » وبالتالى فأن التنظيم السياسى حتى يتحرك بجماهيره الحركة التنظيمية الصحيحة ٠٠ يجب أن يتفهم دور هذه المنظمات المساعدة ٠٠ ومدى فاعليةكل منها ٠٠ ومن خلال ارتباط التنظيم السياسى بها ٠٠ ستتوسع قاعدة جماهير هذا التنظيم ٠٠ بل أن هذا يمكن التنظيم فى الواقع من أساس ضرورى للحركة السليمة ٠٠ لان الهدف دائما ليس هو تحريك التنظيم بمن داخله ولكن فى ربط التنظيم بمن داخله مع حركة الجماهير لتنظيمها وتوجيهها الى أهداف التنظيم ٠

وأسلوب وصول التنظيم السياسى الى هذه المنظمات والاشكال والمواقع المساعدة للجماهير دائما وبالضرورة يجب أن تأخذ وتنطبع بالأسلوب السياسى أيضا ٠٠

بمعنى أن أى قرار ادارى مهما كان شكله الظاهرى مفيد الا أنه واقعا لن يؤدى الى النتيجة والهدف المطلوب أساسا لتحرك التنظيم بأكبر قاعدة من الجماهير ٠

مثال : منظمة الشباب اذا اقتصرت حركتها ونشاطها على عضويتها فقط وأغفلت جماهير القواعد الشبابية الموجودة فى الاندية ٠٠ وجمعيات الكشافة والاتحادات الرياضية والمراكز والساحات الشعبية ٠٠ الخ لن تستطيع حقيقة أن تكون تنظيما سياسيا شبابيا جماهيريا مؤثرا وفعالا فى القاعدة من ملايين جماهير الشعب ٠ وبالتالى فأن القصد هنا أن ينهج التنظيم النهج العلمى حول وصوله لتلك التنظيمات عن طريق حصرها ٠٠ ودراستها وقياس امكان التغلغل فى عضويتها ٠٠ والتجنيد السياسى من عناصرها النشطة والأخص بالنسبة لقياداتها الطبيعية ٠٠ والوصول الى مراكزها القيادية ديمقراطيا ٠٠ الخ ٠

المحاضرة السادسة

العلاقة بين الدين والعلم والتطور

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته وسار على سنته الى يوم الدين .

اننى أود ؛ وقبل أن أبدأ حديثى اليكم ؛ أن اشكر الاخوة القائمين بأمر هذا المعسكر لاتاحتهم لى هذه الفرصة الكريمة لالتقى بحضراتكم كى أتناول الموضوع الخاص بالعلاقة بين الدين والعلم والتطور ، والذى سبقنى فى الاشارة اليه الاخ عبد الهادى ناصف ؛ وفى حقيقة الامر فان محل البحث فى هذا الموضوع لا يقتصر على رأس واحد فقط ؛ وانما يتعداه الى رؤوس متعددة ، لهذا أرى أنه لزاما على أن أحدد المفاهيم الثلاثة التالية :

أولا : ما المقصود بالدين ؟

ثانيا : ما المقصود بالعلم ؟

ثالثا : ما المقصود بالتطور ؟

ثم نحاول — بعد تحديد المفاهيم الثلاثة السابقة — أن نقيم معبرا لهذه المفاهيم كلها ؛ وهذا المعبر يقوم أساسا على مستويين رئيسيين :

أولهما : المستوى النظرى .

وثانيهما : المستوى التطبيقى .

وفى واقع الامر فان هناك جوانب أخرى متعددة لهذا الموضوع ، ولكن نظرا لضيق الوقت بنا الآن حيث سيتم بعد قليل لقاء آخر بينكم وبين الاخ العزيز الدكتور محمد لبيب شقير ، لهذا فانى سأقصر حديثى على لمحات سريعة أتلمس بها الجوانب التى ذكرتها مسبقا ، ولعلى أكون مؤمنا ايمانا كاملا بأن حضراتكم ستقومون بعد ذلك بمتابعة الدراسات الخاصة بهذه الجوانب بشىء من التفصيل ، وبخاصة أن لديكم والحمد لله الاساس العلمى الذى تستطيعون به أن تقيموا هذا البناء الفكرى الشامخ ، ولنبدأ الآن فى تحديد المفاهيم الرئيسية الثلاثة لهذا الموضوع .

فبالنسبة للمفهوم الاول الخاص بالدين ، فكلنا يعلم أن الدين هو الصلة القوية التى تربط بين الخالق ومخلوقه ولهذا فلا يمكن أن نعتبر هذا الدين قاصرا على نبى واحد ذلك أن كل نبى من الانبياء انما جاء معترفا بمن سبقه من الانبياء الآخرين وتحقق بذلك أن الرسول هو خاتم الانبياء . ولهذا فاننا نرى أن الرسول قد حدد العلاقة الكريمة بين الدين الاسلامى وبين سائر الاديان السماوية الاخرى فيقول فى حديثه الشريف « مثلى ومثل الانبياء من قبلى كرجل بنى بيتا ينقص فيه موضع لبنة ... » فهو لم يعتبر نفسه قد بدأ من فراغ وانما جاء ليتابع عمل أنبياء كثيرين منهم من

قصه الله تعالى فى القرآن الكريم ومنهم من لم يقصص ؛ حتى النبوة لاتستطيع أن تقول انها تستغرق كل العلاقه بين الخالق والمخلوق ، فانت اذا نظرت الى القرآن الكريم وجدت أن معظم آياته البينات انما هى قصص عن الانبياء الصالحين ومنهم على سبيل المثال ؛ فى سورة الانبياء : ابراهيم ؛ اسماعيل ؛ اسحق ، يعقوب ، موسى وعيسى ، فقال تعالى فى سورة البقرة « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » ... وجاء فى قوله تعالى « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ... ونحن نرى هنا ومن خلال هذه النصوص التى تضمنت منها قصص الانبياء ؛ أن المقصود من سرد هذه القصص هو أن هذه الامة انما هى أمة واحدة وأن تعدد أنبيائها ، ذلك أن هؤلاء الانبياء انما هم جميعا أصحاب رسالات سماوية سامية .. ثم يحذرنا سبحانه وتعالى بعد ذلك من الفرقة ويدعونا الى التماسك ، وقد تجلى ذلك فى قوله تعالى : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء انما أمرهم الى الله » ، هؤلاء جميعا سيحاسبهم ربهم يوم القيامة .

ثم أوضح الله تعالى مصير المؤمنين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولم يجعل الاسلام مقتصرا على المسلمين بالمعنى الضيق ؛ فقد جاء على لسان ابراهيم ؛ ان الله سبحانه وتعالى يقول : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ، ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين » . ثم بين سبحانه وتعالى ما هو مرد الاسلام ؟ فقال تعالى « اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » .

ونلاحظ أن أهم ما تضمنته هذه الآية الكريمة هو العقيدة الراسخة الممثلة فى قوله تعالى « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون » .. كما أنه يلاحظ كذلك ايراد لفظ « اسلام » فى الكثير من الآيات البينات والتى سبق الاشارة الى بعض منها ، وهذا يدل على طبيعة الصلة بين الخالق والمخلوق ؛ وقد فهمت هذه الصلة عبر التاريخ بصورتين :

الصورة الاولى : وهى صورة سلبية ، تميزت بها بعض العصور الاسلامية التى اتسمت بالتواكل فى العمل ، وعلى سبيل المثال فاذا سألت شخصا عما سيفعله بشأن موضوع معين ، فانه يجيب عليك بقوله أنه قد ترك هذا الموضوع لله وحده أن يصرف شئونه !. ثم تسأله مرة ثانية ما هى جهوده فى شأن هذا الموضوع ؟ ؛ فيجيب بقوله ان الله هو الذى سيفعل ما يريد ! وبهذا نرى أن هذا نوع من الاسلام يحتاج فى حقيقته الى اسلام ... وكما

يقول السهرودى أن من الناس أناس يستغفرون ربهم استغفارا يحتاج الى استغفار ، فليس الاستغفار قاصرا على امساك المسبحه وكثير من المسلمين يحتاج اسلامهم الى اسلام والى تجديد وتصحيح ٠

أما الصورة الثانية : فهى تمثل المعنى الحقيقى للاسلام ، فالمقصود من الاسلام هنا هو تسليم نفس المسلم كى تواجه ما عليها من التزامات معينة تجاه مجتمعها الذى تعيش فيه بايجابية وعلى سبيل المثال ؛ فاذا كنت تعيش فى معسكر ٠٠ فمعنى ذلك أنك تسلم نفسك فى هذا المعسكر كى تفى بالتزاماتك ٠٠ فمثلا اذا كان من الواجب عليك أن تنتظم فى طابور الرياضة ؛ فانه من الواجب عليك حينئذ الوفاء بهذا الالتزام ولا تتهرب من هذا الطابور لانه من الواجب عليكم جميعا أن تكونوا أكثر حرصا على الاسلام ، عن طريق الوفاء بالالتزامات ، وعلى ذلك فان المعنى الحقيقى للالتزام فى أى مجال من المجالات هو أن تكون على معرفة بما لك من حقوق وما عليك من واجبات وفى هذا الصدد يقول الشاعر الكبير والفيلسوف الباكستانى العظيم محمد اقبال : ان المؤمن الضعيف يحتج دائما بقدر الله ، وان الله يريد ذلك ، أما المؤمن القوى فهو قدر الله فى أرضه ينفذ الله به ، وبذلك يفهم منه أن الانبياء وأصحابهم غيروا وجه الحياة ، فكانوا قدر الله ، لذلك فان جيلنا يجب أن يكون ايمانه قويا حتى يكون قدر الله فى أرضه ولينفذ مشيئته سبحانه وتعالى ، لانه من غير المعقول أن ينزل الله ملائكته كى يحافظوا على ارادته ، أو أن يتخلصوا من اسرائيل ، أو يقوموا ببناء مصانعنا مثلا !٠ وأنهم اذا صنعوا ذلك فانما ذلك تنفيذ لمشيئة الله فى أرضه٠

وبناء على ذلك فيمكننا أن نخلص الى أن المعنى الحقيقى للاسلام هو أن يكون الانسان ملتزما فى حياته بأن يكون ايجابيا فى ذاته ، وهذه الايجابية فى ذاتها وهذا الالتزام فى ذاته هو أعلى درجات الحرية ٠ وقد يتبادر الى أذهان حضراتكم الآن السؤال التالى :

كيف يكون الاسلام التزاما ؛ وكيف يكون حرية فى نفس الوقت ؟

واسمحوا لى ؛ للاجابة عن هذا السؤال ؛ أن أضرب لحضراتكم بعض الأمثلة الآتية من حياتنا :

لو افترض أن شخصا ما يريد أن يتعلم رياضة السباحة فهو يستطيع أن يفعل ذلك بأن يرمى بنفسه فى المياه حتى يتعلم أصول هذه الرياضة ٠ ولا شك أن هذا يمثل منتهى العبودية وليس الحريه ٠

كذلك لا يمكن لشخص ما أن يقود سيارة دون أن يتعلم وأن يتقن فن قيادة السيارات ٠

ونخلص من المثالين السابقين أنه ، لكى يصبح الشخص سباحا أو يتمكن من قيادة السيارات أن يخضع خضوعا كاملا للتدريب فى مرحلة معينة حتى لا يقع فى الخطأ ، واذا وقع فيه فانه ينبغى عليه تصحيح هذا الخطأ ، ثم

بعد هذا التصحيح ـ نتيجة للتدريب المستمر ـ يصبح الشخص حرا وطليقا بمعنى أنه يكون قادرا على السباحة ؛ ويكون قادرا على قيادة السيارات فى حرية تامة ومن هنا تتضح أهمية الالتزام بالنسبة للحرية فان هذا الالتزام هو الطريق الوحيد لاستطيع أن أكون حرا ؛ فبالتزام الشخص بالتدريب المستمر لتعلم أصول السباحة وقيادة السيارات أصبح حرا طليقا عند مزاولتهما . كذلك يعلمنا الله سبحانه وتعالى أن الخضوع للاهواء عبودية .. « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم » .

وبالاضافة الى ذلك فان هناك توازنا بين جانبين أساسيين فى المفهوم الخاص بالدين :

الجانب الاول : هو وضع المبادىء والعقيدة فى المرتبة الاسمى .

والجانب الثانى : هو الالتزام أساسا بواجباتك نحو وطنك وبخاصة فى الفترات العصيبة مثل التى تمر بها بلادنا الآن .

وبناء عليه فان من يسير وفق هذين الجانبين يجد نفسه سائرا فى خط سليم ومنتظم ، وفى هذا الصدد يقول الله تبارك وتعالى « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .

وهناك بعض الالفاظ التى تعودنا نطقها باستمرار وفى حالات معينة من العمل القائم فى مختلف المجالات مثل المصانع وميدان القتال ؛ وهذه الالفاظ مثل « الله أكبر » مما لها أكبر الاثر النفسى على الاشخاص الذين يرددونها بصدق وبايمان ، فيقول تعالى « اذكرونى أذكركم » ، وعلى سبيل المثال فاذا عمل أحدكم عملا ما فلا ينتظر ثوابا من أحد الا سبحانه وتعالى ، وعلى سبيل المثال فان الجندى على خط النار يتصارع مع نفسه ويتحارب معها بين الاقبال والادبار ، وبين الثبات والتأخر ، وبين الانتصار على عدوه وبين أولاده وأهله الذين تركهم وراءه ، فان هذا الجندى المحارب اذا تذكر أن الله أكبر فان الله لن يضيع عمله ولن يهمل أهله ؛ لانه يذكر الله ؛ أما أن يعيش هذا الجندى ساعة الإنتصار ، واما أن يستشهد فيلقى ربه فى جنته مع الشهداء الابرار ، وهناك نصوص قرآنية كريمة تحدثت عن الشهداء أكثر مما تحدثت عن الاحياء ، وقد قال الله تعالى فى محكم آياته « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » ؛ وهنا نجد عند تحليل هذا النص القرآنى الكريم أن لفظ « ولا تحسبن » يعطى هنا معنى التأكيد لما يليه من معنى وهو « الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحيا وهنا يعطى صفة الحياة للشهداء .. ؛ ثم « عند ربهم يرزقون » وهنا يأتى ثواب الشهداء وجزاؤهم ؛ ويتمثل فى أنهم فى عالم آخر مقربين فيه من الله سبحانه وتعالى يرزقهم من طيب جناته ؛ وهذا العالم هو أفضل بكثير من الذى يحبونه .

وفى الصلاة نجده تبارك وتعالى يقول « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » ؛ كأن الصلاة هنا تعلمنا بهذا النظام

الذى يتمثل فى الحركة الجماعية للصلاة ؛ وفى دقه توقيتهـــا لمواعيـــد القياء بها ٠

والدين فى واقع الامر انما يعطى العقل ، والتفكير ، والمكانة الكريمة ، والدين يحذرك من أن تسير دون أن تكون على بينة من أمرك ؛ يقول تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤادكل أولئك كان عنه مسئولا » وهو يدعوك الى التفكير والتأمل ٠

كذلك فان الدين الاسلامى يمتد امتدادا يشمل أقطار الارض كلها ، فهو ليس دعوة مقتصرة على وطن أو شعب أو لون معين ، بالاضافة الى ذلك فان الدين يدعونا الى الاتقان والى الاجادة فى كل شىء نفعله فى كل نواحى الحياة ، فيقول الرسول « صلعم » ان الله قد كتب الاحسان ٠٠٠ وان الله يحب اذا عمل ٠٠٠ »

والدين بهذا يمس الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية ويدعوك ربك الى ان يكون بين يديك ميزان ترجح به جانب الخير ومصلحة الجماعة ولو كان العمل سرا «كتب عليكم القتال وهو كره لكم » ٠

كان هذا فيما يتعلق بالمفهوم الاول الخاص بالدين ٠

أما بالنسبة للمفهوم الثانى الخاص بالعلم ؛ فانه يلاحظ أن الدين يمجد العلم تمجيدا عظيما ، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى العلم ومشتقاته ، كما نعلم ؛ أكثر من ثمانمائة وخمسين مرة ولا توجد مادة فى القرآن تتردد بهذه الضـــخامة الا تلك التى تتعلق بذكر العقيدة وذكر لفظالجلاله وما يتعلق بذلك ٠

وعندما نتطرق بالحديث عن العلم ، قد يتبادر الى أذهانكم ســـؤال عن ما هو المقصود بالعلم ؟ وأقول اننا نجد أحيانا لفظا أو أى شىء آخر انما هو يتغير ويتطور فى حياتنا بمرور الزمن كذلك فان العلم من وجهة نظر الدين الاسلامى هو المعرفة ؛ وأود الوقوف هنا قليلا عند هذه النقطة ؛ وعلى سبيل المثال ، فالاسلام يعتبر دين العلم ، وقد جاء فى كتابه العزيز « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ٠٠ الخ » فالشهادة هنا بأن لا اله الا الله انما توضح وتدلل على وجوده سبحانه وتعالى ؛ كذلك فالايمان باليوم الآخر من وجهة نظر الاسلام هو علم بهذا اليوم ، فمثلا « ان الله عنده علم الساعة » أى عنده خبر الساعة ؛ اذن فالايمان بالله ؛ والايمان بالجزاء يعتبر فى الاسلام علما ، وعلى ذلك فان المقصـــود بالعلم هنا هو المعرفة ، ولذلك ورد فى أول سورة البقرة « ألم ٠٠ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ٠٠ »

اننا نعلم جميعا أن الدين بايجابياته وشموله وفعاليته فى هذه الحياة انما يرتبط بوجه هذه الحياة الدائمة التغير بصفة مستمرة من مستوى فاضل الى مستوى أفضل ؛ وحتى نتمكن من تحديد المعبر بين الدين والعلم ؛ينبغى علينا أن نوضح مهمة النبى « صلى الله عليه وسلم » ؛ بل ومهمة كل نبى من الانبياء السابقين ، وقد تحددت هذه المهام فى كتاب الله العزيز ، فقـد

حدد الله تعالى مهمة رسوله الكريم محمد « صلوات الله وسلامه عليه حيث قال سبحانه وتعالى « ليحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال ·· الخ »

وبناء عليه ، فلضمان سلامة المقاييس التى نضعها لاى عمل يجب أن تسأل نفسك أولا ، هل سيؤدى هذا العمل الذى سـتقوم به الى تحطيم الاغلال عن الناس ؟؟ ·· فاذا تبين أن هذا العمل سيقوم بهذا الواجب . واذا تأكدت من أن هذا العمل سيطور الحياة الى مستوى أفضل ، وأنه ـ أى العمل ـ سيكون أساسا لتدعيم الاقتصاد مثلا ، فلا شك أنك بقيامك بهـذا العمل نابعا من ايمانك القوى بالله هذا الايمان الذى سـيكون دافعا قويا وعظيما لنا ليصعدنا دائما وأبدا فوق مستوى آلامنا وأحزاننا فقـد قال تبارك وتعالى « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ·· ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » « ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون » فانهم يألمون كما تألمون لانهم من دم ولحم مثلكم ويقول سبحانه وتعالى « وتلك الايام نداولها بين الناس » ·

ولذلك فانه يتحتم عليكم جميعا أن تحيطوا أنفسـكم علما بقانونين أساسيين لهذه المرحلة :

١ ـ قانون النصر ؛ ومعرفته جيدا حتى تنتصروا على أعدائكم ·

٢ ـ قانون الهزيمة ؛ ومعرفته جيدا ؛ حتى تستطيعوا هزيمة أعدائكم
ومن هذا التناقض بين قانونى النصر والهزيمة تجدون أنفسكم أيهـا المناضلون مندفعين للاستفادة من المنهج العلمى فى العمل النضالى ·

وحينما ننظر الى تاريخ هذه المنطقة فى العصر الاسلامى نجـد ان فترات قليلة فقط هى التى تميزت بالصراع بين الدين والعلم ؛ أما معظم الفترات التى تخللت هذا العصر فقد كانت تتسم بالترابط المسـتمر بين الدين والعلم ، فقد كان الدين دائما الدافع الذى يدفع بالناس الى التعلم ليس هذا فقط وانما كان أساس العلم أيضا ؛ ذلك أن الدين الاسـلامى يمثل فى ذاته تخصصـا لاحد نواحى المعرفة ، ولكن هناك فى واقع الامر مشكلة لم توجد فى بلادنا ؛ ولكن وجدت فى بلاد أخرى ؛ ولكنها انتقلت الينا كما ينتقل ميكروب المرض من جسم الشخص المريض الى جسـم الشخص السليم ·

ولنبدأ أولا حديثنا عن العلم فى الدول الغربية فى ذلك العصر ، فقد كان علماء الدين هناك يتميزون بعنف وتعسف شـديدين ضـد الابحاث والاكتشافات العلمية التى ظهرت فى ذلك العصر فى الوقت الذى حافظ فيه المسلمون على التراث الحضارى اليونانى بعد أن تمكنوا من هزيمة اليونانيين على العكس مما فعل هؤلاء ·

ودليل آخر على الارتباط الوثيق بين الدين الاسلامى والعلم ؛ فعندما هزم العباسيون الرومان اشترطوا عليهم ـ ضمن شروط الصلح بينهما ـ تخصيص عدد معين من علماء الرومان لاعادة نسـخ نفائس مكتبة بغداد ·

دليل ثالث على متانة العلاقة بين الدين الاسلامى والعلم ؛ يتمثل ذلك فى غزوة بدر بعد انتصار النبى « صلى الله عليه وسلم » والمسلمون على المشركين ، فعند اجراء مفاوضات الصلح بين الجانبين بشأن اطلاق سراح الاسرى المشركين ، اشترط الرسول « صلوات الله وسلامه عليه » أن يقوم كل أسير بتعليم عشرة من المسلمين .

دليل رابع على قوة الترابط بين الدين الاسلامى والمعرفة ـ أى العلم ـ ويتمثل فى ترجمة جميع التراثات اليونانية والرومانية والصينية والهندية وقد تم ذلك فى العصر الاسلامى .

ننتقل بعد ذلك الى عصرنا الثورى الذى نعيشه الآن ، فنجد أن حكومة الثورة قد أنشأت مجمع البحوث الاسلامية الخاص باحياء التراث الاسلامى العظيم ، ومما يدل على عظمة هذا التراث أن مكتبة جامعة باريس ظلت محتفظة بكتاب العالم الاسلامى الكبير « الرازى » لتدريسه لطلبه الجامعة لمدة ستة قرون متتالية ، وقد تمثلت عظمه هذا الكتاب عندما رفضت مكتبة جامعة باريس اعارته لامبراطور فرنسا فى ذلك الوقت الا بعد دفعه رهنا نظير هذه الاستعارة ، وقد تمثل هذا الرهن فى الذهب ، الفضة ، وبعض الجواهر النفيسة الاخرى وسنعرض للمحتد عن عظمة الطب فى العصر الاسلامى فعلى سبيل المثال كان الطبيب يقوم ، عند الكشف على الشخص المريض بالحديث مع المريض بصوت عال ثم يخفضه تدريجيا حتى يتبين مدى سلامة أذنيه والتأكد من سلامة سمعه دون أن يصاحب هذا الكشف أى فحص مثل الذى نشاهده الآن ، ثم يقوم بعد ذلك بتحديد مدى قوة الابصار وبالنسبة لهذا الشخص عن طريق تحديد أبعاد وأطوال مرمى بصره ؛ ثم يقوم بعد ذلك بدراسة كل حاسة من حواسه على حدة بأسلوب مبسط ينم عن ذكاء وفطنة ؛ وبعد ذلك يقوم هذا الطبيب بالقاء الشخص المريض أرضا حتى يتبين هيكل جسده ؛ومدى تناسق العضلات فيه ؛ ثم بعد ذلك يتأكد من قوة ذاكرته بأن يقول له أحداثا معينة وبعد فترة يسأله عنها ، وفى ختام هذا الكشف الطبى الطويل الدقيق يقوم الطبيب بدراسة الحالة النفسية والعصبية لهذا الشخص عن طريق اثارته أكثر من مرة للتأكد من مدى صلاحيته نفسيا وعصبيا ؛ واذا تبين بعد ذلك فى نهاية هذا الكشف الطبى أن هناك ألما يعانى منه هذا الشخص ؛ فان الطبيب يأمر بادخاله المستشفى ، وكان من المتبع فى هذه الحالة ـ زيادة فى الدقة ـ حجز ملابس هذا الشخص المريض قبل دخوله المستشفى خشية أن تكون محملة بميكروب لمرض معين، وكان هذا النظام النموذجى مطبقا فى مستشفى قلاوون وهى أكبر مستشفى فى العالم حينئذ ، وكان من بعض الطرائف الخفيفة التى تميز نظام الاستشفاء داخل هذا المستشفى ، انه عندما كان المريض يمثل للشفاء يقدم له وجبة عبارة عن دجاجة ؛ فاذا أكلها دون شعور بتعب زيدت له كمية هذه الوجبة الى حد معين للتأكد من سلامة عملية الهضم داخل جسم هذا الشخص .

اننى فى الواقع أعرض هذا النموذج الرائع للطب فى العصر الاسلامى حتى ندرك جميعا مدى أهمية المنهج العلمى ، واذا تعرضنا لنماذج من دراسات العالم العربى الكبير « الرازى » لاحتاج الامر بنا أياما وأيام ، ويكفى القول

هنا بأن كثيرا من المستشرقين كتبوا الكثير عن العلماء العرب الذين تميزوا بالامانة العلمية ، واننى لاذكر على سبيل المثال لا الحصر ، أنه ذات مرة ، وبعد أن تعدى العالم العربى أبو بكر الرازى الثمانين من عمره ؛ فقد طلب طبيبا لعلاج عينيه من مرض العمى الذى تهدده ؛ وعندما جاءه الطبيب سأله العالم العظيم قبل أن يبدأ علاجه عن كيفية تشريح العين ؛ فلما تعثر هذا الطبيب ونشل فى الرد على هذا السؤال ، رفض العالم الكبير أن يعالجه هذا الطبيب قائلا له « اننى مؤمن بالعلم وأمانتى العلمية تقتضينى ألا أسلم عينى لشخص لا يعرف طريقة تشريحها ... » ثم طلب منه ألا يعالج أحدا الا بعد أن يدرس ثانية علم التشريح قبل اجراء أية عملية فى هذا الصدد .

تدهور مجتمعنا للاسف بعد ذلك خاصة بعد الغزو العثمانى واستنزاف قوة هذه الامة بعد أن سلبت من أدبائها وعلمائها وصناعها ، حتى ان التحف الثمينة داخل المنازل قد سلبت هى الاخرى .

وفى خلال القرن التاسع عشر ؛ عندما نشأ الاتصال بالعالم الاوربى الغربى ، اقتبس العرب المفاهيم الغربية دون احياء تراثهم ومفاهيمهم الحضارية القديمة .

ولا شك أن من أهم الجوانب التى إهتمت بها ثورة يوليو العظيمة ؛ هى خلق تكوين الانسان المصرى المتقدم علميا ؛ والمؤمن بدينه وبوطنه ؛ الانسان الذى لا ينظر الى الدين بنظارة أوربية ؛ أو الى العلم بنفس هذه النظارة ، انه الانسان الذى لا يجرد العلم من الخلق ، ولا يجرد الدين من العلم .

كان هذا الحديث متعلقا بالمفهوم الثانى الخاص بالعلم .

أما بالنسبة للمفهوم الثالث والاخير الخاص بالتطور ؛ فمن الناحية الاجتماعية لا شك أن من المهام الاساسية للدين الاسلامى العمل على تطوير المجتمع ؛ وعندما ننظر الى كل من الدين والعلم نجد أن الدين هو الذى يمكن عن طريقه الحفاظ على كيان المجتمع ، بينما نجد أن العلم هو الذى يدفعه الى الامام حفاظا على هذا الكيان ؛ وهنا قد يشير البعض منا الى أن هناك تناقضا بين الاثنين ـ الدين ؛ والعلم ـ ؛ بمعنى أنه كيف يكون كل من الدين والعلم دعاة تطور بينما يأخذ كل منهما اتجاها مغايرا للآخر ؟.. وهنا يجب أن نسأل أنفسنا .. هل كل شىء فى حياة مجتمعنا يجب أن يكون محل تغيير مستمر منا ؟ ان هذه المشكلة تعد فى حقيقتها مشكلة المشاكل ؛ ذلك أننا بهذا نحكم ـ ولا شك ـ على أنفسنا بالموت ؛ لانه اذا غير أى مجتمع من المجتمعات كل شىء فيه فانه يفقد بهذا شخصيته ، والاصل فى الواقع هو أننا فى حاجة الى أصول ثابتة فى مجتمعنا ، وأخرى نلتزم نحن بتطويرها .. ثم يأتى بعد ذلك التساؤل الآتى : ما هى الاصول الثابتة فى مجتمعنا ، وما هى تلك التى نلتزم بتطويرها ؟.. واننى أقول أنه بالاجابة عن هذا التساؤل تتضح لنا العلاقة بين ما نسميه بالاصالة

والتجديد ؛ أو بين ما نسميه بالمحافظة والتقدم ؛ وكل هـذه جوانب فى حقيقتها يمكن تنسيقها داخل بنياننا الاجتماعى ، بحيث تتضح لنا الجوانب الثابتة منها فى مجتمعنا والتى تمثل الاساس الذى يقوم عليه هذا المجتمع . لانه لا يتصور ، بطبيعة الاحوال ، أن يشيد بناء دون أن يكون له أسـاس يرتفع فوقه ، ولعله يكون واضحا أنه كلما توافرت الاساسات الثابتة المتينة لاى بنيان اجتماعى ؛ كلما ازداد تكامل عناصر النجاح لهذا المجتمع ؛ اذن نستطيع أن نقول ونحن مقتنعين تماما أنه لا بد من وجود أشياء ثابتة فى حياتنا ، ذلك أن لكل مجتمع هيكل ثابت ، الذى يكسوه من الخارج أشـياء متغيرة يمكن تطويرها طبقا لمقتضيات هذا التطور ودون المساس بالهيكل الثابت ودون المساس بشخصية المجتمع ... » والسؤال التالى فى هـذا المجال ؛ ما هى الخصائص والميزات التى تميز ويتميز بها مجتمعنا المصرى ؟ وأقول أن موضوع اجابة هذا السؤال من الممكن أن تكون موضع دراسة من أعظم الدراسات الاجتماعية التى يقوم بها السادة المسئولون عن التنظيم السياسى ؛ واننى لارجو الله أن يمنحنى الوقت والصحة كى أسهم بجهـد متواضع فى هذا السبيل مع القيام بهذه الدراسة ؛ التى أرى أن من أهـم الجوانب التى تتضمنها بل ولها الاولوية فى هذه الدراسة هى دراسةتاريخ الشعب المصرى هذا الشعب الذى ظل مؤمنا طوال حياته ولم يكفر يوما خلال مايزيد علىسبعة آلاف أو ثمانية آلاف سنه من حضارة مستمرة لم تنقطع كلها ، تتضمن صورا من الايمان بالله تعالى مرة يتصورها فى أوزوريس والتاسوع المقدس ثم الثالوث فى المسيحية الى أن جاء الاسلام فهناك خط واحدا يدل على وجود أساس ثابت ومشترك ، مما يدل دلالة واضحة قاطعة على شـدة ايمان الشعب المصرى بطبيعته ؛ هذا الايمان الذى يمثـل فى كل نواحى حيـاته ؛ ومن خلال دراسة تاريخ مصر الفرعونية ؛ وتاريخ مصر المسيحية ؛ بل وتاريخ مصر الاسلامية ؛يتضح لنا الدور العظيم والفعال الذى قام بادائه وجل الدين خلال هذه المراحل التاريخية المجيدة .

وعندما نتعرض الى المرحلة النضالية والتاريخية التى تمر بها أمتنا ؛ يتضح لنا الدور العظيم الذى يقوم به التحالف العظيملقوى الشعب العاملة ، هذا التحالف الذى يمثل أصحاب الارادة الحقيقية لهذه الامة التى تميـل بطبيعتها الى الحب والخير والتعاون ، فليس من طبيعه البيئة المصرية الميـل الى الصراع المتسـم بالقسـوة والعنف ، الذى قد تتميز به بعض المنـاطق المعزولة بمصر مثل مناطق أقاصى الصعيد .

وفى حقيقة التحديات التى واجهت هذه الامة ؛ فاننا نجد طبيعة هذه البيئة الجغرافية تتمثل فى وجود واد يعيش فيه أفراد هذه الامة على زراعة أراضيه الخصبة ؛ بينما يحيط هذا الوادى صحراء جرداء ؛ ثم نجـد نهر النيل الذى يشق مجراه فى هذا الوادى وقد كان هذا النهر يمثل تهديدا لحياة هذه الامة ؛ ولكن تمثلت قدرةوعظمة هذه الامة فى تماسكها صفا واحدا لمواجهة هذا التحدى الكبير ؛ وتمكنت من تنظيم حياتهـا بنفسها فقسمت نشاطها الى مواسم تزرع فيها الارض الخصبة ؛ وتروى من هذا النيلالعظيم وبذلك تمكنت من الاستفادة من هذا الخطر الذى كان يتهدد حياتهم بسبب

الفيضان ، فهذه كلها تحديات يمكن التعرض لها عند القيام بدراسة التاريخ المصرى لهذا الشعب العظيم .

وإذا قمنا بدراسة للميثاق الوطنى نجد أن نصوصه متضمنة ملامح هذا المجتمع وقد وردت على لسان احد ابناء هذا الشعب ، وهى نصوص ومبادىء أقرها الشعب كأية مبادىء أخرى متفق عليها : فمثلا قال الله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ؛ فهذه كلها مبادىء نتفق نحن عليها جميعا ؛ ولكن تطبيقها يحتاج منا الى تخصص . وعندما يقول تعالى فى كتابه العزيز « وما النصر الا من عند الله » فهذا مبدأ نتفق عليه هو الآخر ؛ وكل منا يعلمه جيدا ؛ وكذلك بالنسبة لقوله تعالى « ألم نشرح لك صدرك » ... وأيضا للنص الكريم « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ... الخ »

وفى الواقع فان من يقوم أو يهتم بدراسة طبيعة الحياة المصرية عليه أن يتجه الى الريف المصرى ؛ الى أعماقه ؛ حيث تتجسد ملامح حياتنا الاصيلة هناك ؛ ومن هناك كذلك يقدم لنا الريف المصرى الكثير ؛ والكثير جدا ؛ وعلينا أن نقبله منه راضين عارفين بالجميل ؛ فهناك الانسان المصرى الاصيل الذى يضرب المثل لنا فى العمل الجاد والشريف ؛ ان هذا الفلاح المصرى يعمل بصفة مستمرة طوال ثلاثمائة وخمسة وستين يوما فى السنة البسيطة ؛ وثلاثمائة وستة وستين يوما فى السنة الكبيسة ؛ دون توقف ؛ ودون أن يطلب اجازة مرضية أو غيرها كما هو متبع من أسلوب فى نظام العمل الحكومى مثلا ؛ هذا بالاضافة الى المثل العظيم الذى تضربه الاسرة الريفية المصرية فى التعاون والاخلاص والتفانى فى العمل من أجل لقمة العيش ؛ فنرى الفلاح يعمل فى حقله ومن حوله زوجته وأولاده يعملون معه ؛ وهذه صورة تحتاج منا الى نظرة تأمل عميقة ، ورغم وجود بعض السلبيات فى حياة هذا الفلاح ، الا أنه لايجب علينا أن ننسى أن حياة هذا الشعب ترتبط ارتباطا وثيقا بوجود هذا الفلاح ، الذى قاسى الكثير من ألوان الظلم والتى وقع تحت وطأتها فى العهود السابقة ، حتى بزغ فجر الثورة التى فجرها أبناء هذا الريف العظيم فى يوليو سنة ١٩٥٢ الذين رفعوا الظلم عن الفلاح الذى يعطى أكبر وأعظم المثل فى الايمان بالعمل ، واننى لارجو أن يصل هذا الكلام الى الفلاح ، ان المثل الذى يدل على التفانى فى العمل ؛ قد ورثه أبا عن جد ؛ فهذا مثل متأصل فى البيئة الريفية ؛ وفى هذا اشارة الى نجاح هذا الفلاح فى جوانب حياته المختلفة ، دون اقتباس لاى من الاساليب العملية الغربية ، رغم أننا فى حاجة الى نوع من التطوير ؛ ولكن لا بد أن يتبع ذلك الحفاظ على الاصالة ؛ تلك الاصالة التى تتمثل فى الاركان التالية :

١ ـ العقيدة .

٢ ـ العبادات .

٣ ـ الاخلاق .

أما عن العقيدة فمعناها الايمان بالله سبحانه وتعالى ، هذا الايمان الذى

الذى يجمع بين الاشتراكية العربية ، والاشتراكية الاسلاميه ، بينما تطبق الجمهورية العربية المتحدة النظرية الاشتراكيه العربية ، فما هى وجهة نظر يمثل أساس الصلة بين الخالق والمخلوق ، فقد قال تعالى فى كتابه الكريم : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير » .. الخ .

كان هذا بالنسبة للعقيدة .

أما عن العبادات ، فهى التى توطد الصـــــلة بين العبد وربه ، وقد حددها سبحانه وتعالى على النحو التالى :

١ ـ الصلاة .

٢ ـ الصيام .

٣ ـ الزكاة .

٤ ـ الحج .

ولم يجعل الله هذه العبادات محلا للاجتهاد بل حددها .

فعن الصلاة فهى خمســـــة ، صـــلاة الصبح ، وتبدأ من الفجر الى قبيل طلوع الشمس ، صلاة الظهر ، وتبدأ من الزوال الى أن يصير ظل كل شىء مثله ، صلاة العصر ، وتبدأ من انتهاء وقت الظهر ، الى قبيل الغروب ، صلاة المغرب ، وتبدأ من الغروب الى زوال الشفق الاحمر ، صلاة العشاء ، وتبدأ من زوال الشفق الاحمر ، الى قبيل الفجر .. ويقول تعالى « يا ايهـا الذين آمنوا اركعوا واسجدوا وأعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » ، كما يقول تعالى « فولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام » .

وأما عن الصيام ، يبين الله سبحانه وتعالى الحكمة منه وأركانه ، فيقول تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

وبالنسـبة للزكاة ، جاء قوله تعالى موضحا أهميتها للمؤمنين القائمين بها ، فقال : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون » .

ومن الحج فقد أجازه الله لمن استطاع اليه سبيلا ، وجعل الطواف سبع مرات فى اتجاه واحد ، وفى حالة المرض أو العجز ذكر الله تعالى « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

وبالنسبة للركن الثالث الخاص بالاخلاق فهو ليس مجالا للمساومة فى الاسلام ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وســـلم « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » ، وقال تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » .. ويجدر بنا فى هذا المقام أن نشير الى الاخلاق الكريمة التى تميز بها رسول الله ، فقد أوصى المحاربين المسلمين بألا يقتلوا النساء ، الشـــيوخ ، الاطفال ، الاجراء ، وألا يقطعوا شجرة الا لطعام ، ولا يخربوا عامرا ، بالاضافة الى اطعام الاســـير وعلاج

الجريح ، يقول تعالى « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ، ويتيما ، وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » . وفى نفس الوقت يطلب النبى « صلى الله عليه وسلم » من المحاربين الضرب بمنتهى القوة والشدة على رءوس الاعداء .

وأود أن أشير كذلك الى نقطة غاية فى الاهمية ، تتمثل فى العلاقة بين الأب والابن ، هذه العلاقة تمثل ما يسمى بالفجوة بين جيلين ، الجيل القديم الذى يمثله الاب ، والجيل الحديث الذى يمثله الابن ، وفى هذا الصدد يقول تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا » ؛ وأود أن أصل من خلال هذه الآية الى نتيجة معينة ، يقول تعالى « أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما » ، ويلاحظ فى كلمة « أف » أن الهمزة فيها لا تستطيع معها رفع صوتك عند نطقها ، فهى مخفوضة ، مما يعنى أن رفع الصوت فيها ممنوع ، اذن فهذه الكلمة التى يمتنع فيها رفع الصوت هى بالتالى ممنوعة ، أى لا يصح التفوه بها أمام الوالدين ، وعندما ننتقل الى كلمة « ولا تنهرهما » وبتأمل عميق لها يمكن تحليل كلمة « نهر » الى المعانى التالية :

المعنى الأول لكلمة « نهر » ، يقصد به النهر الجارى ، مثل نهر النيل .

والمعنى الثانى لكلمة « نهر » ، بمعنى زجر .

أما المعنى الثالث لكلمة « نهر » أى شق . مثل نهر الارض ، أى شق الأرض .

ثم يأتى المعنى الرابع والأخير لكلمة « نهر نفسه » أى شق نفسه .

وخلاصة القول فان الله تعالى يمنع الابن من نهر والديه ، حتى وان لم يكن يقصد ذلك من وجهة نظره هو ، ولكى أوضح ما أريد الوصول اليه نقول :

بفرض أننى قد اعتدت أن أدخل على والدى كل صباح لاقدم لهما الشاى ثم أقوم بتقبيل يدى كل منهما ، ثم جئت ذات صباح وبعد تقديمى الشاى لهما لم أقم - كالعادة - بتقبيل أيديهما ، فى هذه الحالة فاننى لم أخطىء فى حقيقة الأمر ولكن بالنسبة لهما فان الأمر يختلف ، ذلك انهما لم يتوقعا منى غير ما عودتهما عليه من تقبيل أيديهما ، ولذا فهما يعتبران أن فى هذا نهرا لهما ، وهو ما يمنعنى الله عنه اذ يقول تعالى « ولا تنهرهما » .

وهكذا نرى أهمية العلاقة بين أفراد الاسرة الواحدة ، وهى العلاقة القائمة على احترام الابن لوالديه ، طبقا لما نص عليه القرآن الكريم .

وفى ختام حديثى أدعو الله نصرا عزيزا ، وأن يمنحنا شرف العمل الدائب المستمر فى المعركة ، وأستغفر الله لى ولكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر